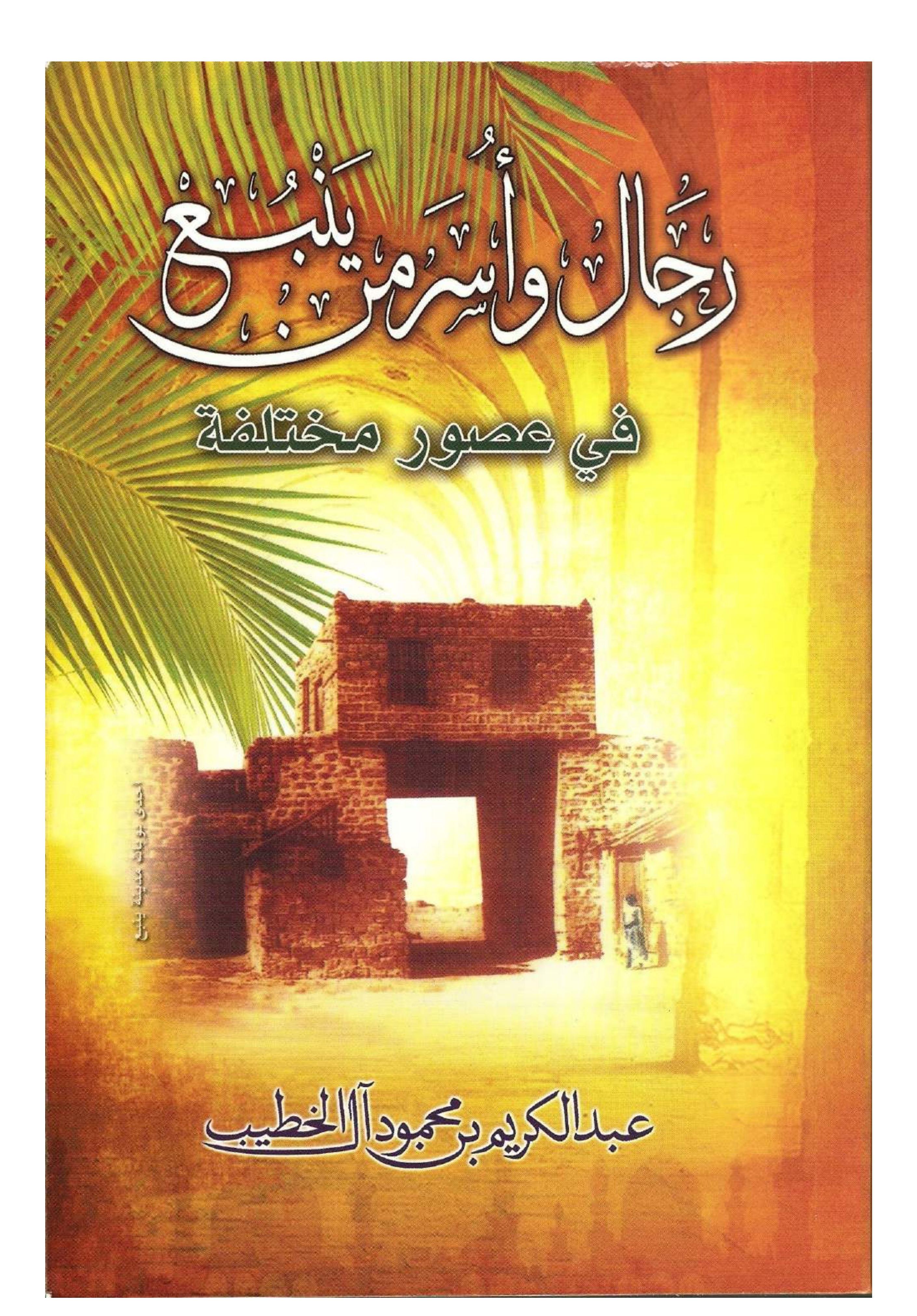

رجال وأسر من ينبع
في عصور مختلفة
احدى بوابات مدينة ينبع
عبدالكريم بن محمود آل الخطيب

تم نشر الكتاب على الشبكة بعد أخذ الموافقة من المؤلف

رجال وأسر من يَنْبُعْ

في عصور مختلفة

عبدالكريم بن محمود آل الخطيب

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخطيب، عبد الكريم بن محمود

رجال وأسر من ينبع في عصور مختلفة./ عبدالكريم بن محمود آل الخطيب- ط٢.- الرياض، ١٤٣٥هـ

٣١٢ ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٩-٣٩٥٦-٠١-٦٠٣- ٩٧٨

١- ينبع (السعودية) ـ تراجم ٢- ينبع (السعودية) ـ تاريخ
أ- العنوان

ديوي ٩٢٠,٠٥٣١٢٥ ١٤٣٥/٨١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٨١٣
ردمك: ٩-٣٩٥٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

الفهرست

○ المقـــدمـــة ٧
○ الشريف قتادة الينبعي ٩
○ أبو سعيد الحسن بن علي بن قتادة. ١٢
○ مخدم بن عقيل ١٤
○ غبير بن مخبار ١٦
○ دراج بن هجار ١٨
○ برهان الدين بن زباله ٢٢
○ حسن بن زيد الحسني ٢٤
○ أحمد بن عبدالرحمن الخطيب ... ٢٦
○ الشريف جابر العياشي ٢٨
○ عبد رب النبي آل هندي ٣٠
○ أحمد بن محمد أبو ربعة ٣٢
○ إبراهيم آل عواد القاضي ٣٤
○ عبدالله بن حسين الهبيدي ٣٧
○ سالم محمد باسودان ٣٩
○ محمود بن لافي القائدي ٤١
○ الشريف جبارة العياشي المكنى بالصفار ٤٣
○ زارع بن عواد القاضي ٥١
○ الشريف عبدالله أبو ماء ٥٤
○ سعد عثمان خلاف ٥٦
○ حامد القباني ٦٠
○ محمد سنوسي أبو طالب ٦٣
○ حامد حمد الله آل زارع ٦٥
○ دخيل الله بن طلال الجهني ٦٧
○ محمد علي بن بديوي الهجاري .. ٦٩
○ عبدالكريم بن بديوي الهجاري.. ٧١
○ مصطفى بن محمد الخطيب ٧٥
○ أحمد عبدالرحمن النقادي ٩٠
○ مصطفى سبيه ٩٣
○ محمد بن جبر ٩٧
○ محمد بن جبارة ١٠٠
○ سالم شاهين ١٠٢
○ ياسين الجداوي ١٠٥
○ أحمد أبو بكر أبو طالب ١٠٨
○ حمزة بخيت ١١٠
○ محمد حامد العنيبيسي ١١٣
○ عبدالله محسن زارع ١١٦
○ حمد بن عبدالعزيز العيسى ١١٩
○ حامد بن عبدالله القاري ١٢٢
○ محمد محمود عبدالواحد ١٢٥
○ أحمد عبدالغفار الأنصاري ١٢٧
○ أحمد العربي ١٣٠
○ عوده بن زويد ١٣٢
○ محمد العبيسي ١٣٤
○ زكي عمر أحمد ١٣٧
○ محمد نور رحيمي ١٤١
○ إبراهيم زارع ١٤٣
○ يوسف الخلاوي ١٤٧
○ عواد أحمد حادي ١٤٩

○ حسين عبدالرحيم الخطيب ١٥١
○ حامد بن محمد الخطيب ١٥٣
○ سعد بن غنيم ١٥٥
○ بدر بن شفيع القائدي ١٥٧
○ محمد عمر سبيه ١٦٠
○ حمزة رسلان ١٦٢
○ عبدالمطلب المويلحي ١٦٥
○ عبدالغني عثمان مشرف ١٦٧
○ محمد حامد عبدالقادر الأنصاري. ١٧٠
○ أحمد جابر العياشي ١٧٢
○ أحمد حامد الخطيب ١٧٥
○ محمود حامد الخطيب ١٧٧
○ حامد عبدالرؤوف الخطيب ١٨٢
○ محمد ياسين بخيت ١٨٤
○ محمد أحمد عثمان خلاف ١٨٦
○ حامد خلاف ١٨٨
○ مصطفى خلاف ١٩٠
○ صالح عبدالرحمن الحيدري ١٩٢
○ إبراهيم العياشي ١٩٤
○ دخيل الله القاضي ١٩٧
○ عبدالرحمن أبو مضاي العلواني... ١٩٩
○ عبدالله بن علوي آل زارع ٢٠١
○ محمد حسن أخضر ٢٠٣
○ موسى الطحلاوي ٢٠٥
○ عواد أبو جلده ٢٠٨
○ حسن هباش ٢١٠
○ محمد عبدالمطلوب معوض ٢١٢
○ الشريف غانم الهجاري ٢١٤
○ محمود أحمد أبو حسين ٢١٦
○ حامد أبو عطى ٢١٨
○ عيد بن صالح الصريصري ٢٢٠
○ محمود عبدالله الخطيب ٢٢٢
○ حمزة الريفي ٢٢٤
○ إبراهيم البشر ٢٢٦
○ بنيان عوده الصيدلاني ٢٢٩
○ السيد عبدالله عاشور سبيه ٢٣١
○ خلف أحمد عاشور سبيه ٢٣٣
○ عواد أبو رقيبة ٢٣٥
○ حسين علام ٢٣٧
○ محمد إبراهيم النقادي ٢٣٩
○ حمزة علوي أبو رديف ٢٤١
○ فرج رحيمي ٢٤٣
○ إبراهيم محمد عواد ٢٤٦
○ محمد محمود حمدان ٢٤٨
○ محمود رحيمي ٢٥٠
○ حسن بابطين ٢٥٢
○ عبدالمعين عيسى ٢٥٤
○ زارع مغربل ٢٥٥
○ محمد الموشي ٢٥٧
○ حسن جميل مقدم ٢٥٩
○ حمدي حمزة أبو زيد ٢٦١
○ عبدالرحيم بن محمود الزليباني... ٢٦٢
○ محمد حسن أبو بوصيل ٢٦٣
○ مدني أبو العلا ٢٦٥
○ زارع حمزه أسطى ٢٦٦
○ محمد حجي ٢٦٨

○ محمد حسن سلامة ٢٧٠
○ جميل معيلف ٢٧١
○ شاهر أبو العسل ٢٧٣
○ سعد الشطيري ٢٧٤
○ محمد علي الطوري ٢٧٥
○ مهنا بن عطية الله ٢٧٦
○ محمد بن سليمان بن صديق النزاوي. ٢٧٨
○ حسن عبدالله ضليمي ٢٨٠
○ محمد حسن عبده ٢٨٢
○ محسن عبدالله زارع ٢٨٥
○ حمدان أبو صابر ٢٨٦
○ عواد بن صالح الدبياني ٢٨٨
○ بخيت بن عرفان بن عواد ٢٨٩
○ محمد أحمد الصعيدي ٢٩٠
○ محسن خريشي ٢٩٢
○ محمود عبدالله درويش ٢٩٤
○ خليل علام ٢٩٥
○ عبدالرحيم المحلاوي ٢٩٧
○ جابر بن نويجع المورعي ٢٩٨
○ محمد كُرَّيم ٢٩٩
○ علي حسين زارع ٣٠١
○ عبد الله حمد العياشي ٣٠٣
○ آل القاضي ٣٠٥
○ آل باجنيد ٣٠٦
○ حامد حلول ٣٠٧
○ محمد بن عبيد بن شهوان ٣٠٨
○ المـراجـع ٣٠٩

***


مصطفى محمد الخطيب


الأمير سعود الكبير


حمد عبدالعزيز العيسى


الشريف عبدالكريم بن بديوي


محمد حامد بن جبر


محمود حامد الخطيب


زكي عمر أحمد


محمد نور رحيمي


مصطفى سبيه


سالم علي شاهين


أحمد عبدالرحمن النقادي


إبراهيم حسين زارع


عبدالله محسن زارع

مقـــدمـة

أحمد الله أبلغ حمد وأزكاه، على توفيق الله سبحانه وتعالى، الذي هيأ لي أن أعكف على دراسة تاريخية دقيقة لتراجم وسير للعديد من رجال ينبع، من أعيان وتجار وقضاة وأدباء وفقهاء وأسر، في عصور مختلفة، إذ كان لهم دورهم في حياة بلادنا «ينبع» البهية - كما يسميها المتقدمون في وثائق التاريخ - هؤلاء الذين كانوا يعيشون داخل أسوارها التي هدمت سنة ١٣٧٣ هـ بحكم توسعة المدينة وكأمانة للتاريخ يظل هؤلاء الأعلام، وتظل تلك الأسر العريقة هم أهالي مدينة «ينبع» الأصليون الذين واكبوا الحياة فيها بحلوها ومرها، إذ تعرضت تلك المدينة التي كانت من أهم الموانئ على ساحل بحرنا الأحمر بمنطقة الحجاز لمحنتين قاسيتين:

الأولى: الحرب العالمية الثانية من بداية الستينيات الهجرية، إذ ركدت فيها الحياة التجارية.

والمحنة الثانية: شح مياه الري فيها، إذ اضطرت الكثير من الأسر إلى الهجرة إلى المدن المجاورة، ومنها المدينة وجدة بحثاً عن الحياة، وأنا كواحد من أبناء «ينبع» المعاصرين لعلني حين أتحدث وأكتب عن أسر بلادي بـ «ينبع» القديمة أعرف أسماءها حق المعرفة كما أعرف اسم أسرتي، وأنا كمؤرخ أظل أميناً بمشيئة الله على رسالة التاريخ.

فما عليّ إلا أن أورد أسماء الأسر العريقة كما عرفتها قديماً، وكما هي مثبتة لدينا أصلاً في الوثائق الشرعية والتجارية التي بين أيدينا في الوقت الحاضر، وإذا ألقينا نظرة تاريخية فاحصة على أسر مدينة «ينبع»

نقف على الحقيقة، ونجدهم يشكلون أسرة واحدة، هم أبناء عمومة وأقارب وأرحام.

أسأل الله أن يستمر التقارب والتلاحم بينهم إلى الأبد.

والله ولي التوفيق...

عبدالكريم بن محمود آل الخطيب

عضو اتحاد المؤرخين العرب

١٤١٨/١/١هـ

الشريف: قتادة الينبعي

هو الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن موسى بن عبدالله أبي الكرام، موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، وهو جد ذوي هجار من أشراف ينبع المعروفين اليوم بها.

ولد قتادة الينبعي كما يسميه بعض المؤرخين في قرية العلقمية[١] الموجودة اليوم بينبع النخل، ولكنه في أواخر القرن السادس الهجري بدأت حوادث نجهل كنهها وإن أشار بعض المؤرخين إلى إعانته لبعض مظلومي مكة المكرمة لما كانوا عليه من اضطهاد وإهمال للعاصمة الإسلامية واتفق أكثر المؤرخين على هذا الرأي. ونقول وإن كان قتادة دفعته شهامته إلى الذود عن مكة وأهلها، فإن كان هذا موقفه في القرن السادس فقد كان لأحد أحفاده في القرن التاسع من أبناء ينبع الشريف دراج بن هجار حين خرج من نفس الموضع حامياً لمدينة الرسول والمسجد النبوي الشريف حينما انتهكت حرمته وأغير على الحجرة الشريفة وسلب كل ما فيها، وأعاد هجار إلى المدينة وأهلها الأمن والطمأنينة. . رحمه الله.

جمع قتادة قومه من بني مطاعن وأسالف بني أحمد وبني إبراهيم وبعض قبائل جهينة وتأمر عليهم وزحف للاستيلاء على مكة عام ٥٩٧هـ، وتشير بعض المراجع إلى أنه في عام ٥٩٨هـ استولى على مكة واستخلصها من أبناء عمومته الأشراف الهواشم الذين كان يجتمع معهم في الجد الثاني، وهم ينسبون إلى أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله

(١) العلقمية: نسبه إلى علقمة بن يحيى بن عبدالله بن الحسن.

أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن. وباستيلائه على مكة كوّن لنفسه مركزاً بالحجاز وحاول أن يتوسع في إمارته، وكانت سياسة قتادة قائمة على مصافاة الأيوبيين في مصر، والعباسيين في العراق، وموالاة أمراء اليمن لحفظ التوازن في الحجاز، واستجلاب المنافع من جميع الجهات، ومنع النزاع والتنافس بين الأمراء، ولعلها كانت سياسة حكيمة من قتادة.

وكان قتادة أديباً وشاعراً، ومن أحداث قتادة السياسية نطل على شيء من شعره، ومن قصيدة طويلة لم نعثر عليها بكاملها بعث بها إلى الخليفة في بغداد على إثر حادثة سياسية يقول فيها:

بلادي ولو جارت علي عزيزة	ولو أنني أعرى بها وأجوع
ولي كف ضرغام أذل ببسطها	وأشرى بها عز الورى وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها	وفي بطنها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرجاء وأبتغي	بها بدلاً إني إذاً لرفيع
وما أنا إلا المسك في غير أرضكم	أضوع فأما عندكم فأضيع

وهنا غضب الخليفة لشعر قتادة وكتب إليه يقول: «أما بعد: فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس الربيع أثوابه، قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون». ولما تسلم قتادة هذا الإنذار أعد نفسه لمواجهة الشدائد وكتب إلى أبناء عمومته من آل مهنا في المدينة قصيدة يحثهم على مناصرته ويذكرهم بصلة القربى وهو يقول:

بني عمّنا من آل موسى وجعفر	وآل حسين كيف صبركم عنا
بني عمنا إنا كأفنان دوحة	فلا تتركونا يجتني الفن فنا
إذا ما أخ خلى أخاه آكل	بدا بأخيه الآكل ثم ثنّى

ومن عجيب ما يروى عن شاعرنا قتادة أنه أهدى للخليفة صلاح الدين الأيوبي مروحة بيضاء صنعت من سعف النخيل نُقش عليها بيتان من شعره وهما :

أنا من نخلة تجاور قبراً ساد فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبرين حتى صرت في راحة بن أيوب أقرا

وبعثها مع أحد رسله فلما مثل بها بين يديه قال له : إن الشريف قتادة يهديكم هذه المروحة التي ما رأيتم ولا أبوكم أو جدكم مثلها ، فغضب صلاح الدين لهذا التقديم السيء ، ثم ما لبث أن انفرجت أساريره عندما لفت الرسول نظره إلى أن المروحة منسوجة من سعف النخلة التي كانت في مسجد الرسول ﷺ .

وقد قرأ صلاح الدين هذين البيتين من الشعر ثم قال للرسول : أبلغ قتادة السلام .

ويجمع أكثر المؤرخين على أن قتادة كان في بداية حكمه حسن السيرة طيب الذكر ، وقد تمكن من نشر الأمان والاطمئنان والرخاء ، ولاسيما تكريمه لضيوف الرحمن .

وكان أديباً وشاعراً من أبرز شعراء عصره ، ولكن من المؤسف لم تحفظ لنا كتب التاريخ أكثر مما عثرنا عليه وأوردناه في هذا الفصل الذي كتبنا فيه عن ابن ينبع قتادة الشاعر وقتادة الحاكم . فليرحمه الله .

***

أمير ينبع «أبو سعيد الحسن بن علي بن قتادة»

هذا أمير ينبع عام ٦٣٥هـ وهو حفيد الشريف قتادة الذي كان قد جمع قومه من الأشراف بني مطاعن وأسالف بني أحمد وبني إبراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنى وبعضًا من قبائل جهينه؛ وتأمر عليهم وزحف على مكة المكرمة عام ٥٩٨هـ واستولى على مكة واستخلصها من أبناء عمومته الأشراف الهواشم الذين كان يلتقي معهم في الجد الثاني، وهم ينسبون إلى أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، وباستيلائه على مكة المكرمة كون لنفسه مركزاً في الحجاز، وحاول أن يتوسع في إمارته فبعث ابنه عزيراً على رأس جيش إلى المدينة المنورة، إلا أن أمير المدينة قاسم المهنا الحسني كان أقوى جيشاً من ابن قتادة، فرجع عزيرٌ مهزوماً بجيشه، ثم زحف الحسني حاكم المدينة وحاصر مكة وكتب رسالة إلى ابن عمه عزير بن قتادة يقول له فيها: «يا ابن العم كسرة بكسرة وأيام حصار بمثلها والبادي أظلم، فإذا أعجبكم عامكم فعود ليثرب» وكانت سياسة قتادة قائمة على مصافاة الأيوبيين بمصر والعباسيين في العراق وموالاة أمير اليمن أيضاً لحفظ التوازن في الحجاز واستجلاب المنافع من جميع الجهات ومنها النزاع والتنافس بين الأمراء.

وكان حفيده أبو سعيد الحسن وفي زمانه احتل أحد ولاة اليمن مكة المكرمة، فزحف أبو سعيد من بلاده ينبع بجيوش كثيرة مستعيداً إمارة جده قتادة لنفسه، وحاصر مكة واستولى عليها؛ وكتب الله له النصر ويشيد المؤرخ الفاسي بأمير ينبع أبي سعيد ويضعه من الشجاعة في المكان

الأعلى، ويشير إلى أمه الحبشية أنها كانت مثلاً طيباً في النساء، لحقته في بعض حروبه في هودج وقالت له ناصحة: إنك تقف اليوم موقفاً إن ظفرت فيه قال الناس إنك ابن بنت رسول الله ﷺ، وإن فشلت قالوا فشل ابن الأمة السوداء؛ فانظر لنفسك فإنه لا موت قبل فراغ العمل، فكان لذلك أعظم الوقع في نفسه، وقاتل في تلك الموقعة قتالاً ضارياً، حتى كتب الله له النصر وكان ذلك في عام ستمائة وثمانية وثلاثين، إذ قاتل أميرها علي بن المسيب نائب صاحب اليمن واستولى على ما كان معه من خيل وسلاح ومماليك، وقيده وأحضر أعيان الحرم وقال: «ما لزمته إلا لتحققي خلافه مع مولانا السلطان. وعلمت هدية هذا المال الذي أراد به الهروب إلى العراق، وهو عندي حتى يصل مرسوم السلطان».

فوردت الأخبار بعد أيام بوفاة السلطان.

****

أمير ينبع «مخدم بن عقيل»

كانت مدينة ينبع في عام ٧٣٤هـ القاعدة الثالثة في المملكة الحجازية بعد مكة والمدينة المنورة وكانت نيابة لصغر شأنها بعد المدينتين المقدستين منوطة بأمير مكة يعزل من يشاء ويولي من يشاء وكانت الإمارة في الأشراف من بني الحسن بن قتادة سكان قرية العلقمية المعروفة اليوم بينبع النخل، ويحدثنا صبح الأعشى عن مدينة ينبع وعن تولية نيابتها للأمير «مخدم بن عقيل» الذي يعود نسبه لقتادة، وقتادة يعود بنسبه إلى الحسن المثنى - رضي الله عنه - والذي توفى ودفن في ينبع وهو جد الأشراف جميعاً، وهذه نسخة مرسوم شريف كتب به لمخدم بن عقيل في عاشر رجب الفرد عام أربعة وثلاثين وسبعمائة من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ومنه: «الحمد لله الذي أتم لدولتنا الشريفة أنعمه، وأحسن في تقديم شريف كل قوم تقدماً، وأمضى في كف الأعداء رمحاً سمهرياً وسيفاً مخدماً، نحمده حمداً يكاثر عدد القطر إذا هما، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤمن بالإدمان عليها منجداً ومتهماً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرف إليه من انتما، وعلى نسبه ارتما وبجواره المنيع احتما، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طلعوا في صباح كل نهار شموساً، وفي عشية كل يوم أنجمًا، وسلم تسليماً . . وبعد: فإن أول من أعدنا له سعادة جده وعدنا إلى عوائده الحسنى لأبيه وجده ورعت صداقتنا الشريفة له قصده الجميل وشرفه الذي سما به من أصله إلى النجم فرع لا ينال طويل وأقرت عينه بسكنه واستقرت به مراسمنا العالية في مسكنه، وأغنته عنايتنا الشريفة عن انتظار كل نجم

سعادة يطلع وبعثت كل خير إلى وطنه وهو ينبع منزلة نسبه الصميم والحسب الذي يتمسك به قومه كل كريم إلى أن يقول وحصل في ينبع ما حصل من الاعتداء وامتدت الأيدي إلى ما كان لحجاج بيت الله من وديعة، وظن أنه لا يشيع خبره في البيداء، فخالف الواجب وتعدى الشريعة، فاقتضت آراؤنا الشريفة تفويضها إلى العارف منها بما يجب العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيه ويجتنب العامل في طاعتنا الشريفة بما هو به وبمثله من أهل الشرف يليق الماشي في خدمتنا الشريفة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق فرسم، بالأمر الشريف أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفده وصرفه أن تفوض إليه النيابة بالينبع على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت فلتتقدم تقوى الله في كل ما تقدم ويقف مع حكم الشرع الشريف فإنه المهم المقدم، وليستوص بالحجاج خيراً فإنهم وفد الله».

ولعل المرسوم طويل، ولكن نكتفي بهذا القدر؛ وندرك حق الإدراك من هذا المرسوم الذي تؤكد فيه الدولة بالحفاظ على ضيوف الرحمن أن الأمن يومها كان مضطرباً وكانت الدولة نفسها عاجزة عن حماية الطريق بين الحرمين من السلب والنهب والسطو على الحجاج من بعض القبائل على الطريق، فكانت تستعين وتلجأ إلى بعض القبائل بقبائل أخرى، وإن تولية مخدم بن عقيل نيابة ينبع بمرسوم شريف تدل على أنه اختير لهذا المكان لقوة شخصيته وإدراكه لأمور الحياة في المنطقة، وهو القادر على مراعاة أمن الحجاج الوافدين إلى الأراضي المقدسة.

***

أمير ينبع «غبير بن مخبار»

غبير بن مخبار وهو جد الأشراف، أشراف ينبع ذوى هجار، تأمر على ينبع عام ٧٩٨هـ، وعلى ما يبدو أن الصراع كان بين الأمراء في الحجاز في تلك الحقبة من أجل البقاء ومن أجل الفاقة والحاجة، وهي التي كانت تدفع القبائل للغزو والسلب والنهب فيما بينها، والسطو على حجاج بيت الله الحرام بدون وازع ضمير، وتجريدهم من أمتعتهم وأموالهم وملابسهم، إذ نجد في عام ٧٩٨هـ يُنعم السلطان في مصر على أمير ينبع وأهالي ينبع بقمح كثير، وحينما سمع أحد الأمراء في مكة وهو حسن بن عجلان بن قتادة أن السلطان في مصر أنعم على هذا الأمير أخذته الغيرة والحسد، فتوجه من مكة ومعه جماعة من الترك نحو مائة وثلاثين، ومن الخيل تسعون فرساً، وبعض المعدات الحربية، ولما وصل إلى ينبع طالب أميرها غبير بن مخبار بما عنده من القمح مما أنعم به عليه السلطان، فرفض أمير ينبع في البداية، لكن حسن بن عجلان أراد قتاله وفتح معركة في ينبع لا نهاية لها، وتضرر الأهالي بسبب تلك المعركة ولكن الأمير غبير كان يتصف بالحكمة والروية، وأراد أن يدرأ شره وشر فتنة ربما كانت تعرض المدينة لحرب مدمرة، فأرضاه بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم رحل عنها إلى مكة فلما سمع الأشراف المقيمون على الطريق إلى مكة رحلوا من عسفان إلى غُران على طريق الماشي وليته اكتفى بما ناله من أمير ينبع، فأخذ يلحق بالأشراف ويعيث في الأرض فساداً بقصد السلب والنهب؛ ولكنه لم يتمكن من اللحاق بهم لارتفاعهم في الجبال، ولكنه أراد الانتقام منهم فأمر بقطع نخيلهم في خيف بني

شدّيد ثم نصحه بعض الناس فتركهم وذهب يثير السلب والنهب في مناطق أخرى من الحجاز .

لا شك أن الأمير غبير بن مخبار جدُّ الأشراف ذوي هجار هو خير من ولى إمارة ينبع إذ كان رحمه الله يتصف بعقل راجح وأخلاق رفيعة، فليرحمه الله .

***

دراج بن هجار أمير ينبع

يودع البشر هذه الحياة، ويظل تاريخهم باقياً إذا هموا خدموا أمتهم وبلادهم وهذا هو أمير ينبع الشريف دراج بن معزى يعود بنسبه إلى الحسن المثنى رضي الله عنه.

ولد في بلاده ينبع، ونشأ وتدرب على يد والده هجار في قرية العلقمية بينبع النخل، وكما يشير التاريخ فإنه كان شجاعاً، وقد تأمر على بلاده ينبع عام ٨٨٠هـ، وإذا ذكر تاريخ المدينة المنورة في أول القرن العاشر ذكر هذا الأمير، إذ كان له موقف مشرف حولها، إذ يقول صاحب رسائل تاريخ المدينة: في سنة إحدى وتسعمائة هجرية وقعت في المدينة حوادث أشنعها أن أمير المدينة النبوية حسن بن زبيري من آل نعير، انتهك بها حرم المسجد النبوي، وهجم على الحضرة النبوية بسبب فقره الكبير وعقله الخفيف وحاصلها أنه لما كان يوم الثلاثاء سادس ربيع الأول من السنة المذكورة وقت الضحى حين خلا المسجد غالباً جاء الأمير المذكور في فئة كبيرة من أعوانه متسلحين، فدخل المسجد فأمر بإخراج من فيه، وقفل أبوابه ثم طلب الخازندار ابن الرومي، فتحدث معه وشكا الضيق الذي هو فيه وسأله مفتاح القبة فامتنع وأخذ بمجامع أطرافه وسحبه معه إلى صحن المسجد فعضّهُ الخازندار عضة آلمته فأغرى بعض أعوانه فضربه حتى أغمى عليه، بل رام قتله فكف عنه شريف من آل طفيل يقال له مشاري بن ذياب ثم توجهوا نحو القبلة فسمعوا حركة عند باب النساء فظن الأمير أنه اجتماع لمعارضته فأمر القواسه أن يصعدوا المنارة الشريفة ناحية الشام ويرموا من يروه هناك بالنشاب ففعلوا إلى أن

انتهوا من كسر باب القبة فأخذوا جميع ما فيها من النقد وهو بضعة عشر ألف درهم وما بها من قناديل وجعلت في نحو عشر غرائر والمال في فتق وحملت الغرائر على ظهور البهائم التي أدخلوها المسجد لذلك ورام مانع بأن يكسر باب الحجرة النبوية لأخذ ما هو معلق فيها من قناديل فكفه أخوه وسبّه ثم عمدوا إلى خزائن الخدام بالمسجد فكسروها وأخذوا ما وجد من نفقاتهم، ثم ركب الأمير فرسه من باب القبة وخرج من باب الرحمة وهو شاهر سيفه، وكذا أخوه والمال بين أيديهم والأعوان حافين بهم . . . إلى أن يقول وقد حصل في المدينة رجف كبير، وحصلت عشية الأربعاء بحارة الخدام ضجة وهجة وخرج الشافعي والمالكي بعيالهم وتبعهم العالم إلى المسجد بحيث غصّ المسجد بالرجال والنساء، وباتوا تلك الليلة فيه، وندب الشريف سرداح الحميدي مناديا ينادي في شوارع المدينة ويأمرهم بالاحتراس والتحفظ وأن أهل كل حارة يحفظون حارتهم ويعسونها بالليل.

فلم تر ليلة أوحش من تلك الليلة لولا أنس النبوة واستمرت أبواب المسجد مقفولة ثلاثة أيام إلا خوخة باب النساء فلم يلبث إذ وقع مطر عظيم بعد انفصال الأمر بالناس خصوصاً أرباب الزروع فإنهم كانوا امتنعوا عن الخروج وتعطل سبب الضعفاء والمساكين والحطابين ولما كان رابع عشر وصل درّاج أمير ينبع وابنه في تجريدة «١٤٠» وخيل نحو خمسة وأربعين فرساً، وجمع من المشاة والركاب يزيدون على ثلاثمائة نفر، ونزلوا في دار آل منصور، ونزل دراج دار ضيغم، فاطمأن الناس بوصولهم ثم في خامس عشر وصلت بقية القوات في بضع خيل ومائة رجل وخرج منادي درّاج ينادي بالأمن والاستقرار في مدينة الرسول فسر أهل المدينة وفرج الله عنهم عن كربتهم.

لاشك أن هذا الموقف من أمير ينبع درّاج بن هجار أمير ينبع موقف مشرف حول المدينة وأهلها الطيبين وسيحفظ له تاريخها شهامته الفائقة وسيظل له تاريخ وتاريخ، وخير من ولى إمارة ينبع هذا الأمير وله من الانجازات في سبيل الحج ما يستحق الذكر وهذا التاريخ يحدثنا عن بعض إنجازاته إذ يقول الجزيري صاحب «درر الفرائد المنظمة»:

«نبط ومنهل من المناهل المشهورة والمياه المذكورة به ثلاث آبار من الماء الحلو الطيب للحاج تعطلت إحداها فعمرها وجددها المقام المفخم والباشا المعظم مصطفى أمير الحاج في سنة ٩١٦هـ وحفر ماءها ونظفها وحمل إليها الحجارة والنورة من ينبع وجهز إليها الفعلة والمعمارية وصرف عليها مبلغاً إلى أن عادت أحسن ماءً من رفاقها وأغزر من بقية الآبار التي بنبط ونقش تاريخ عمارتها في لوح من الحجر موضوع بسفح الجبل بالقرب منها أثابه الله تعالى، ثم في عام سبعة وستين وتسعمائة كتب علي باشا والي مصر إلى الشريف درّاج بن هجار لعمارة آبار وادي نبط فقام درّاج في ذلك بقلبه وقالبه وهمته وتوجه بنفسه إليها وصحب معه من المعمارية والنورة والآلات من ينبع بما فيه الكفاية وصرف على تنظيف الآبار مبلغاً ووجد بئراً رابعة مندثرة الآثار فحفرها ورم عمارتها المتهدمة من داخلها فعادت حسنة غزيرة الماء وصار في هذا المورد أربع آبار فعم النفع بها وبنى مقابل الآبار من جانب الجبل صفة عالية يجلس عليها من يريد الجلوس وكانت التكلفة ستمائة دينار من الذهب ونيفًا وللوفد بهذه الآبار رفق كبير وفي زمن المطر يصير بالوادي الذي به الآبار بخيل أخضر ويباع بنبط الشواء المعمول في التنور والعجوة والبطيخ والفجل مجلوبًا من ينبع.. إلى أن يقول وطوائف عربان جهينة بتلك النواحي كثيرون وللشهاب أحمد بن حجلة شعر يقول: .

مغارة نبط أخصب الله أرضها ولازال يهمي بالمياه بها الجو
يقـال لهـا بحـر الحجـاز لأنهـا بها الماء مثل البحر لكنه حلو

وتقع نبط في شمال مدينة ينبع وتبعد عنها بمسافة خمسة وستين كيلومتراً ويسيل بنبط إذا ما هطلت الأمطار سيل خمال ويذهب إلى البحر.

وأين نبط الآن من الماضي فليس بها شيء من الآبار ولا الصفة المبنية التي أشار إليها المؤرخ لعلَّ كل شيء فيها قد اندثر ورحم الله الأمير درّاج بن هجار الذي كان حريصاً على الحياة في منطقة نبط.

* * *

قاضي ينبع «برهان الدين زباله»

ويرحل الناس من هذه الحياة ويظل تاريخهم باقياً، وقد حفظت لنا وثائق مدينة ينبع الشرعية شيئاً من حياة عالمها برهان الدين بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عبدالوهاب بن شمس الدين محمد بن أحمد بن زباله الشافعي المذهب، والذي أشار إليه الجزيري حينما مر بينبع سنة ٩٩٩هـ، أما المؤرخ العصامي صاحب «صمت النجوم والعوالي» فقد أشار إليه في المجلد الرابع، كما أشار إليه صاحب «درر الفرائد» وهو الشافعي المذهب، ولا نذهب بعيداً حين نقول أن أسرة ابن زباله هي من الأسر العلمية العريقة، والعديد منها تولى القضاء في ينبع، وكما قال لنا المعمرون قبل أربعين عاماً أن هذه الأسرة كان بينها العديد من العلماء الذين كانت لهم مؤلفات مخطوطة، ولكن من المؤلم أننا بحثنا كثيراً عن مخطوطات علماء هذه الأسرة فلم نعثر على شيء، وعلى ما يبدو أن أسرة ابن زباله رحلت إلى خارج البلاد ولكن لم نجد ما يشير إلى ذلك تاريخياً، وأكبر الظن أن هذه الأسرة اندثرت، ولربما أصبحت مساكنها التي كانت تقع بالقرب من حي الخريق وبجوار الزيتية القديمة والتي لازالت معالمها موجودة وبجوار المقبرة التي أسسها جدّ هذه الأسرة القاضي محمد بن أحمد بن زباله، والذي كان متواجداً عام ٩٥٥هـ ودفن بها حين وفاته وسميت المقبرة باسمه.

وما زالت هذه المقبرة على أطراف سور ينبع الثاني الذي شيد عام ١٣٠٣هـ والذي بناه دولة عثمان باشا نوري الحاكم العادل، وربما كان تأسيسها قبل المقبرة التي كانت خارج سور ينبع الأول والذي شيد عام

٩١٥هـ بأمر آخر حكام الدولة المملوكية قنصوه الغوري وجده عثمان أغا قائم مقام ينبع بأمر من دار السعادة عام ١١٢٦هـ وقد هدم هذا السور عام ١٠٧٩هـ؛ بأمر أمير مكة الشريف سعد بن زيد.

وتظل مقبرة بن زباله كذلك أقدم من مقبرة السميري»[١] والتي كانت تقع خارج أسوار ينبع وفي شمال شرق بوابة الجمال، وأقدم من مقبرة الشيخ زارع الولي الصالح التي دفن بها وسميت باسمه، وتقع غرب مدينة ينبع في خارج أسوارها، وكان له ضريح وعليه قباب كبيرة، وقد هدم هذا الضريح والقباب في نهاية عام ١٣٤٤هـ مع بداية العهد السعودي. والإسلام يحرم بناء الأضرحة والقباب، ونسأل الله المغفرة لأهل زمن مضى، وحفاظاً على مقبرة الشيخ محمد بن أحمد بن زباله قاضي ينبع وعالمها والتي تعتبر أقدم مقبرة في ينبع، فقد سورت في السنين الماضية حينما دخل جزء كبير من المنطقة التي تقع فيها المقبرة ودور آل زباله القديمة داخل ميناء ينبع الحديث، ويظل لهذه الأسرة تاريخ بين قضاة وعلماء ينبع.

ورحم الله قاضي ينبع برهان الدين وجده محمد بن أحمد بن زباله إذ كانوا أعلاماً من أعلام ينبع في زمانهم.

***

---

(١) نسبة إلى مؤسسها الشريف مبارك الملقب السميري جد آل بديوي.

أمير ينبع «حسن بن زيد الحسني»

هذا واحد من أمراء ينبع البحر، هو الأمير الشريف حسن بن زيد الحسني، سوف لا يمر عليه التاريخ مروراً عابراً، بل سيخلده في دنيا التضحية والجهاد والفداء. عندما نادى المنادي في مدن الحجاز عام ١٢١٣هـ وكذلك في بواديها يدعو للجهاد في سبيل تحرير مصر الشقيقة من الفرنسيين خرج الأمير حسن مع مجموعة من عشيرته الشرفاء للدفاع عن مصر وكرامة مصر، وتدفق الآلاف من المجاهدين من ينبع ومكة وغيرها من المدن الحجازية على ميناء القصير بمصر، وكان الفرنسيون قد استطاعوا في ذلك العام وبقيادة نابليون بونابرت احتلال الإسكندرية والقاهرة، وقد لحق بهؤلاء المجاهدين آلاف، وسجلوا صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد، وعرفهم ضابط الحملة الفرنسية باسم «أشراف ينبع وبعمائمهم الخضراء وأجسامهم الضامرة وجراءتهم النادرة» في حين أن قادة الحملة الفرنسية ومؤرخيها أشادوا بجهادهم وسجلوا عنهم الشيء الكثير، ومن المؤسف أن بعض المؤرخين العرب مروا بهذا الحدث مروراً عابراً، يقول كرستوفر هارولد الذي كتب تاريخاً موثقاً لنابليون: «أما مصدر الرعب في الإمدادات التي تلقاها مراد زعيم المماليك فهم المحاربون من عرب الحجاز، لقد تدفق الآلاف منهم عبر البحر الأحمر على مصر ينسبون إلى نبيهم ويلبسون العمائم الخضراء ويتسلحون بالبنادق والرماح. . إلى أن يقول: وأدرك نابليون في تلك الظروف أنه لا سبيل إلى منع مجاهدي الحجاز من الوصول إلى مصر للانضمام إلى مجاهديها إلا بسد المنفذ الذي كانوا يعبرون منه إلى مصر وهو ميناء القصير ولكنه لم يستطع إذ تمكن

المجاهدون من مدينة ينبع من فتح هذا المنفذ ودخل منه ألفان من مجاهدي الحجاز يتأهبون للانقضاض على سفن الفرنسيين الراسية إلى الجنوب من الكرنك في صعيد مصر بين إسنا وقنا وكانوا إذ ذاك تحت إمرة الشريف حسن شريف ينبع أي أمير ينبع. وكما يقول المؤرخ الفرنسي كريستوفر: «لقد كان لمراد باشا في الحجاز مدد لا ينقطع من المجاهدين».

وقد استطاع عرب الحجاز أن ينزلوا ضربة كبيرة بالجيش الفرنسي وضربوا المثل في الجرأة والاستهانة بالموت إذ قاموا بأعظم العمليات الانتحارية فقد عبروا الماء وأغرقوا أكثر السفن الفرنسية بمن فيها وابتهج المجاهدون الحجازيون بالنصر العظيم هم وأبناء عمومتهم من قبائل عرب الصعيد.

لاشك أن جهاد عرب الحجاز بقيادة شريف ينبع الشريف حسن بن زيد ساهم إسهاماً كبيراً في حرمان الجيش الفرنسي من الانتصار ـ انتصاراً حاسمًا ـ وقد أدرك نابليون ذاته صعوبة مراس العرب عموماً وعرب الحجاز واكتشف ذلك على إثر الهزائم التي حلّت بجيشه في الصعيد بعد فشله في الاستيلاء على بعض المدن فقد علق على هذا الفشل بقوله: «لو قدر لي أن استولى على عكا لكنت لبست العمامة وحملت جنودي على لبس السراويل، ولو حدث ذلك لكونت من العرب فرقة حربية مقدسة من الخالدين وأعلنت نفسي إمبراطوراً على الشرق وعدت إلى باريس عن طريق القسطنطينية».

ولقد جاهد عرب الحجاز جهادًا مخلصاً إذ بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الدفاع عن جزء غالٍ من البلاد العربية ورحم الله المجاهد الكبير أمير ينبع الشريف حسن بن زيد الذي دخل التاريخ من أوسع أبوابه.

قاضي ينبع «أحمد عبدالرحمن الخطيب»

أسرة الخطيب من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان أكثر أفرادها يمتهنون التجارة، وأحمد عبدالرحمن الخطيب ولد وتعلم في كتاتيبها، ثم درس الفرائض على العديد من علماء ينبع، ثم رحل إلى مصر ودرس على يد علماء مدينة قنا، ثم التحق بالأزهر الشريف ودرس المذهب الحنفي، ثم عاد إلى بلاده ينبع وتولى قضاءها في عام ١٢٢٢هـ، وأسرة الخطيب أسرة تنتمي إلى السادة كما جاء في الوثائق الشرعية العريقة؛ وأشار إلى ذلك أستاذنا بحاثة الجزيرة حمد الجاسر في العدد ١٦٤ من المجلة العربية في شهر رمضان ١٤١١هـ، في حديث سوانح الذكريات أهل بأهل وإخوان بإخوان، ولعلنا نقف هنا على وثيقة شرعية أصدرها القاضي أحمد عبدالرحمن الخطيب من محكمة ينبع في ١٤ شوال سنة ١٢٣٢هـ إذ يقول فيها:

«هذه حجة شرعية وثيقة محررة مرضية صدرت بمجلس الشرع الشريف بمحكمة ينبع البحر بين يدي الحاكم الشرعي الحنيف مضمون ذلك: اشترى الرجل الرشيد السيد علي بن السيد حسين زارع لنفسه بماله دون مال غيره من الرجل الرشيد سليمان بن واصل الزغبي الظاهري عن نفسه وعن طرف موكلته المصونة سالمة بنت المرحوم محسن بن رشيد المحمدي، الثابت وكالته لها شرعاً بشهادة رجلين عدلين يعرفانها تمام المعرفة الشرعية، وهما محمد بن المرحوم عودة بن سليم الزغبي الظاهري ونصر بن المرحوم محسن مزيني المحمدي. وذلك المبيع أصل كامل العبد الأسود النوبي المسمى مرسال، بثمن وقدره خمسة وستون ريالاً فرنسية.

ورحم الله أيام العبودية وقد ذهبت وبدون عودة ولله الحمد ولعل أسرة السادة آل زارع من الأسر العريقة في مدينة ينبع في القرن الثالث عشر ونهاية القرن الرابع عشر وكذا أسرة الزغبي من الأسر المعروفة في ينبع وكان مقيماً في ينبع في حي السور وهو من أقدم الأحياء في مدينة ينبع جابر الزغبي وأولاده الذي انتقل من ينبع إلى جدة في بداية السبعينيات الهجرية واستقر هناك .

وللشيخ أحمد عبدالرحمن أحمد الخطيب بعض المؤلفات المخطوطة في الفرائض والفقه والتوحيد، ولكنها ضاعت كما ضاع غيرها من مؤلفات علماء ينبع المتقدمين، ولكن لعلنا لا نعرف الشيء الكثير عن حياة هذا العالم إلا من بعض ما تركته لنا بعض الوثائق الشرعية، ورحم الله شيخنا إذ كان واحداً من علماء ينبع في زمانه .

***

أمير ينبع الشريف «جابر العياشي»

ويرحل المخلصون من هذه الحياة ولكن يظل تاريخ إخلاصهم مدوناً وباقياً في بطون كتب التاريخ الموثوق بها، والشريف جابر بن جباره العياشي هو واحد من أبناء ينبع ومن شرفائها وكان أميراً على ينبع في العهد السعودي الأول عام ١٢٢٧هـ واستمرت إمارته حتى عام ١٢٣٢هـ.

الشريف جابر يعود بنسبه إلى محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ذي النفس الزكية الذي كان متوارياً عن الخلافة العباسية في جبل رضوى بينبع وخرج على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في المدينة المنورة عام ١٤٥هـ، واستشهد هناك ودفن في الموضع الذي سمى باسمه في المدينة «بالذكي» والعيايشه هم أبناء عمومة الأسرة العلوية حكام المغرب الذين خرجوا من ينبع في القرن السابع الهجري حينما حضر وفد من مدينة سجلماسة في صحراء المغرب إلى الحجاز لاستقدام حاكم من نسل رسول الله ﷺ، ونزل هذا الوفد ميناء ينبع والتقى بحاكم ينبع من الأشراف الحسنيين، وشرحوا له الأمر فبعث معهم أحد أولاده وحَّمله الأمانة وأوفده لحكم المغرب، وكان هو أحد جدود الأسرة المالكة في المغرب في الوقت الحاضر أصدقاء ملوكنا آل سعود ملوك الجزيرة العربية ومنهم الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية في الوقت الحاضر، وهو ابن المجاهد الأكبر محمد الخامس، وللشريف جابر بن جبارة العياشي رحمه الله موقف شجاع سوف يحفظه له التاريخ في عام ١٢٢٧هـ حينما أرسل محمد علي باشا حاكم مصر ابنه طوسون واستولى على ينبع وكان دافع ذلك الغزو من الخلافة العثمانية للحجاز أنها ترى أن استيلاء الإمام

سعود بن عبدالعزيز على الحرمين الشريفين ينقص من شأنها لأنها تدّعى حق الخلافة على المسلمين وتخشى أن تتسع رقعة آل سعود وتنتشر دعوتهم السلفية الصادقة التي تسعى إلى المحافظة على الدين.

وتشير الوثائق التاريخية أن مدينة ينبع وسكانها قد قاوموا الجيوش العثمانية التي بعثها حاكم مصر، ولكن الشيخ عثمان بن بشر صاحب عنوان المجد في تاريخ نجد يؤكد لنا وفاء أهالي ينبع وشجاعتهم وغيرتهم على المسلمين حين غلبوا على أمرهم، وكانت القوة هي المسيطرة إذ يقول «فلما اجتمعت العساكر في ينبع لقصد احتلالها هرب منه رئيسه جابر بن جبارة وقصد المسلمين» يعني جابر بن جبارة العياشي أمير ينبع في العهد السعودي الأول ولعل ما رواه ابن بشر في تاريخه هو دليل على صمود ينبع وأميرها وسكانها في وجه الجيوش المصرية، هذا الموقف المشرف لجابر بن جبارة العياشي سوف لا يهمله التاريخ ويحتفظ له أنه رجل مؤمن وشجاع، وتشير الوثائق المصرية بالقاهرة إلى تمكن قوات حملة محمد علي باشا بقيادة ابنه طوسون بمساعدة القبائل التي انضمت إليها من الاشتباك مع أول فرقة سعودية بقيادة جابر بن جبارة العياشي وسعود بن مضيان وكان ذلك في عام ١٢٢٦هـ ولازالت أسرة العياشي من الأسر العريقة والكبيرة بمدينة ينبع، وسيظل للشريف جابر تاريخ وتاريخ في حياة بلاده ينبع.

***

عبد رب النبي آل هندي

أسرة آل هندي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، إذ نجد لهم أثراً في ثنايا وثائق مدينة ينبع التاريخية، وكان عبد رب النبي آل هندي واحداً من تجار ينبع في زمانه إذ نجد له سفنا تمخر بين موانئ البحر الأحمر، ومما جاء في وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية التي عثر عليها صديقنا الدكتور محمد آل زلفة أستاذ الأدب في جامعة الملك سعود وزودنا بها، وهي تحمل أسماء ملاك السفن في ميناء ينبع عام ١٢٥٤هـ وهم: عبد رب النبي آل هندي، السيد عبدالرحيم زارع، حميد زارع، وأبو حسان زارع، والسيد راشد زارع، محمد طحلاوي، أبو تلاب، وابن بادي، عبدالكريم الهريدي.

كما نجد من خلال الوثائق حلفًا مبرمًا عام ١٢٠٧هـ بين شيخ فخذ رفاعة من جهينة محمد بن سعد أبو العسل مع أولاد محمد بن عبد رب النبي وحامد بن عبد رب النبي وكذلك مع عبدالرحمن بن أخ عبد رب النبي.

كما نجد من خلال وثائق وقف آل هندي المؤرخة في ١٧/ ١٢/ ١٣٢٦هـ أن آل هندي لهم أملاك في قرية الجابرية وعين عجلان ودكاكين في سوق ينبع القديم ودور في ينبع النخل، ينبع البحر.

ومن أشهر آل هندي في هذا العصر الشيخ محمد سعيد آل هندي رحمه الله والذي كان ملازمًا لفضيلة عالم ينبع الشيخ حامد القباني وهو جد رجل الأعمال الأستاذ/ يوسف بن عبدالرحمن آل هندي الذي كان

مديراً للزراعة في ينبع وعضو الغرفة التجارية وتربطنا به علاقة وشيجة وهو من خيرة الأصدقاء الذين عرفتهم في الحياة.

ومن آل هندي في هذا العصر عبدالحفيظ الذي كان صاحب متجر في سوق ينبع القديم بجوار الموضع المسمى باب الحديد، وهو باب من أبواب أول سور شيده الحاكم المملوكي قنصوه الغوري عام ٩١٥هـ.

وكان عبدالحفيظ آل هندي من خيرة الرجال الطيبين على جانب من الأخلاق الفاضلة مرحاً مخلصاً في تعامله مع الآخرين.

اخترمه الموت في السبعينيات الهجرية في حادث سيارة بين طريق ينبع - جدة، رحمه الله.

وقد خلف العديد من الأولاد أكبرهم الأستاذ/ محمد، وكانت آخر وظيفة له في المستشفى المركزي في مدينة الرياض، ولايزال مستقراً بها.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع وأعيانها في زمانه، إنه عبد رب النبي آل هندي.

***

الشيخ أحمد بن محمد أبو ربعة

أسرة (أبو ربعة) من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وندرك من خلال وثائق مدينة ينبع الشرعية والتجارية أن (أحمد أبو ربعة) كان واحداً من أعيانها إذ كان يستقبل الشخصيات الكبيرة الوافدة للحج وزيارة المدينة المنورة عن طريق ميناء ينبع، ومن الشخصيات التي استقبلها في داره بينبع الماجد الأكبر صاحب الدعوة السلفية محمد علي السنوسي الإدريسي جد الأدارسة حكام ليبيا سابقاً، إذ قدم إلى الحجاز ونزل في مدينة ينبع عام ١٢٥٦هـ لتأدية فريضة الحج، وعقب الحج رغب في السفر إلى القدس في فلسطين، ومن خلال الوثائق نجد أنه بعث برسالة إلى الشريف مصطفى بن أحمد المويلحي حاكم المويلح وقت ذاك، يوصيه فيها بأن المجاهد الكبير السيد محمد علي السنوسي متوجهٌ إلى القدس، وأن يبعث معه حراسة لأن الطريق غير آمنة ويقدم له كافة المساعدات.

وندرك أنه بعد سفر الشيخ محمد علي السنوسي إلى القدس ومساعدة آل المويلحي له في تلك الرحلة أن العلاقة توطدت بين الأسرتين أسرة المويلحي في الحجاز وأسرة السنوسي في ليبيا إذ نقف على العديد من الرسائل المتبادلة بين الأسرتين وهذه رسالة في العاشر من رجب عام ١٣٩٤هـ من السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي إلى عبدالرحيم المويلحي، ورسالة من عبدالرحيم المويلحي في ١٠ رمضان عام ١٣٢٠هـ إلى محمد المهدي بن السيد محمد السنوسي.

ويعود آل المويلحي بأصلهم إلى قرية الجابرية بينبع النخل، وهم من شرفائها، وقد نزحوا من ينبع إلى المويلح في العهد العباسي كما هو موثق

تاريخياً ولاتزال أملاك هذه الأسرة في قرية الجابرية بينبع النخل يشرف عليها شيخ القرية الشيخ بنيان بن عودة الصيدلاني من جهينة حيث كانت وديعة من قبل عند جده دواس بن حامد الصيدلاني، وفي مساء يوم الأحد الموافق ١٣ محرم عام ١٤١٥هـ قمت بزيارة للشيخ بنيان في قريته الجابرية وشاهدت موضع بساتين آل المويلحي بينبع، وندرك من خلال الوثائق التاريخية أن علاقة آل المويلحي ببلادهم علاقة وطيدة ولاتزال أسرة (أبو ربعة) من الأسر العريقة والمقيمة في ينبع، ومن آل أحمد أبو ربعة في الوقت الحاضر: الأستاذ عوده محمود أبو ربعة والذي كان مسئولاً في مرفأ ينبع وشقيقه عواد الذي كان يعمل بالقوات المسلحة.

كانت هذه سيرة لواحد من أعيان ينبع ورجالها البارزين في زمانه، إنه الشيخ أحمد بن محمد أبو ربعة.

***

قاضي ينبع «إبراهيم آل عواد»

إبراهيم آل عواد من أهالي مدينة ينبع، ولد فيها وتعلم القراءة والكتابة وعلم الفرائض على علماء ينبع في الزمن الذي عاش فيه، وتشير الوثائق التي بين أيدينا أنه كان قاضياً وحاكماً لينبع في عام ١٢٥٧ هجرية وهو شقيق عبدالرحمن بن عواد القاضي، ويقول «الزركلي» في المجلد السادس، من كتابه «الأعلام» صفحة ٢٨٣ : «عبدالرحمن بن عواد ولد في ينبع وتعلم في الأزهر وتفقه في الحنفية ورحل إلى الجغبوب وتولى القضاء في بلدة ينبع عام ١٢٨٠هـ، وتوفى عام ١٢٩٣هـ وله مؤلفات، وإبراهيم هو والد الشاعر الينبعي زارع في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، والذي تولى كذلك قضاء ينبع في الزمن الذي عاش فيه ولقد عثرنا على العديد من المساجلات التي دارت بينه وبين صديقه شاعرنا حسن عبدالرحيم القفطي الخزرجي الأنصاري، والذي أعددت عنه مؤلفاً باسم شارع من ينبع وطبع طبعتين ونفدت جميعها، وأسأل الله أن يوفقني للطبعة الثالثة إذا كانت هناك بقية من حياة، والأعمار بيد الله والشاعر زارع والشاعر القفطي درسا العروض والفرائض على يد عالم ينبع سالم محمد باسودان الذي انتقل إلى جوار ربه عام ١٢٩٨هـ.

وفي العهد العثماني ألقى القبض على قاضي ينبع إبراهيم آل عواد الشريف عبدالمطلب بن غالب أمير مكة في عهد السلطان عبدالحميد وأرسل مغفوراً إلى الآستانة بتركيا مع مجموعة ممن ألقي عليهم القبض في المدن الحجازية مكة والمدينة بدعوى أنهم يتحدثون في السياسة ويقول الأستاذ أحمد السباعي صاحب «تاريخ مكة» عن هذا الحدث لا أستبعد

أن أعمال الإرهاب هذه حلقة متممة لسلسلة الاضطهاد التي أعلنها السلطان عبدالحميد في الآستانة ضد خصومه من أنصار الاتحاديين أو من يشتبه فيهم من أنصار الاتحاديين خصوصاً وقد رأينا ه يرسل بهم إلى الآستانة، كما لا نستبعد أن تكون بعض أعمال الأمير عبدالمطلب خاصة لتبريرها فرصة دعوة السلطان عبدالحميد ضد الاتحاديين ورجال السياسة تنكيلاً بخصومه ومجاملة للإرهاب العام في دار الخلافة.

وكانت للقاضي إبراهيم عمارات كبيرة تشبه الفنادق في هذا الزمان، أعدت لنزول الحجاج القادمين إلى ينبع من مصر وسوريا وفلسطين، وكانت متاخمة لميناء ينبع القديم، وقد شيدت في عام ١٢٨٦هـ، وقد أزيلت في عام ١٣٨٥هـ بحكم توسعة ميناء ينبع، وقد كان له بستان كبير بالمدينة المنورة خارج باب العنبرية إذا نقف على وثيقة شرعية كانت في عام ١٣٢٨هـ ويشار فيها: حضرة المكرم حسن أفندي بن أحمد صابر ناظر أوقاف الحرم النبوي وعبدالله أفندي عبدالعال رئيس البلدية وشهدا قائلين أن محمد بن زارع بن إبراهيم بن عواد قاضي باع على حمزة بن إبراهيم بن عواد قاضي خمسة قراريط وخمسة أسباع قيراط من البلاد الكائنة بالمدينة المنورة خارج باب العنبرية، وأشار إلى حدودها.

وفي ثنايا ديوان الشاعر القفطي نجد أبياتاً من الشعر بعث بها إلى قاضي ينبع إبراهيم آل عواد بعد عودته من الآستانة، ولعل القصيدة طويلة ونختار منها بعض الأبيات:

فأمست به عين الزمان قريرة ... كما دهره أضحى له باسم الثغر
ألـم تـر أن الله ثبـت قـولـه ... ونجاه مما كان له يرميه بالغدر

مضى كهلال الأفق من أرض ينبع وقد جاء من أم القرى وهو كالبدر
ومـا راح إلا كـارهـاً شر فتنـة ومـا عـاد إلا بـالثنـاء والنصر

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أعلام ينبع وقضاتها في عام ١٢٨٠هـ، إنه إبراهيم آل عواد القاضي.

* * *

الفقيه عبدالله بن حسين الهبيدي

وكم رحل أناس وكان لهم أثر في حياتهم ولم يذكرهم أحد، وكثير من هؤلاء حفظت لهم الوثائق التجارية والشرعية حياتهم. وتظل الوثائق في هذا العصر هي التاريخ، وهذا واحد من فقهاء ينبع لم تهمله الوثائق، إنه الشيخ عبدالله بن حسين الهبيدي، وأسرة الهبيدي من الأسر العريقة في بلادنا ينبع النخل وتسكن في قرية «عين عجلان».

ونتعرف على عبدالله الهبيدي من خلال الوثائق الشرعية التي كان يدبجها بيديه ومنها وثيقة بيع بَلاد (أي بستان) ويسمى المكرمية بعين النوى التابعة للأشراف ذوي هجار، والبائع بعض من أفراد فخذ من بني كلب من جهينة على السيد رحيمي أبا الحسن زارع من ذرية الشيخ الفقيه والعالم الجليل الشيخ زارع، وهو من السادة الحسينيين وصاحب المقبرة الواقعة غرب ينبع وخارج أسوارها القديمة، والتي دفن بها وسميت باسمه.

والسادة آل زارع كان لهم دور كبير في النقل البحري بين موانئ البحر الأحمر في القرن الثالث عشر، وحتى بداية القرن الرابع عشر، إذ كانت لهم سفن عديدة تمخر البحر الأحمر وتنقل البضائع والحجاج من مصر والسودان ذهاباً وإياباً، ونجد الشيخ الفقيه الهبيدي إلى جانب كتابته للوثائق الشرعية لأهالي قريته وقرى ينبع النخل الأخرى يفتح كتّاباً للتدريس إذ يدرس التلاميذ القرآن الكريم والتجويد في المسجد المسمى «المحول» بجوار شريعة العين، وحينما سألت بعض المعمرين في قرية عين عجلان قبل أربعين عاماً من عمر الزمن لماذا سمى هذا

الموضع بالمحول؟ قالوا: إن رجلاً صالحاً قدم من اليمن واستقر بينبع النخل ودفن بمنطقة المحول.

نجد الشيخ الهبيدي يعلم أبناء ينبع النخل القراءة والكتابة في زمن قل فيه المتعلمون، وربما كان له دور كبير في تعليم أبناء قرية عين عجلان، وعين علي وشعثاء وقرية الجابرية المجاورة والقرى الأخرى القراءة والكتابة وشيئاً من الفقه والتوحيد، ومن خلال قراءة بعض الوثائق ندرك أنه كان ملماً ببعض الأمور الشرعية إذ نجده يستهل إحدى الوثائق الشرعية بقوله: «على يد الفقير إلى الله عبدالله بن حسين الهبيدي: بعد أن وضع ختمه إلى جانب اسمه» ولا نستبعد أنه كان علماً من أعلام ينبع في زمانه، إذ يتميز عن غيره أنه يجيد القراءة والكتابة، ويسعى إليه الناس، وكان ذلك في عام (١٢٧٨ هجرية) ليكتب لهم وثائقهم الشرعية وللشيخ الهبيدي اليوم أحفاد على جانب من العلم والثقافة، ولعلني أذكر أن آل الهبيدي هم أصدقاء خال والدي حامد عبدالرحيم الخطيب، إذ كان جاراً لهم في القرية.

كانت هذه سيرة عطرة لواحدٍ من رجال ينبع في زمانه إنه الفقيه عبدالله بن حسين الهبيدي.

❊ ❊ ❊

الشيخ سالم محمد باسودان

أسرة باسودان من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من أبرز رجال هذه الأسرة في هذا العصر العالم الفاضل سالم باسودان الذي عاش في نهاية القرن الثالث عشر، إذ نجد شاعرين من ينبع يدرسان على يديه علم العروض والفرائض وهما: حسن عبدالرحيم القفطي الخزرجي الأنصاري، وزارع بن إبراهيم باشا عواد القاضي، وربما كان العالم باسودان من أجود شعراء عصره، لكن من المؤسف جداً لم نجد لهذا العالم شيئاً من الأثر المدون في دنيا الأدب، ولربما ضاعت آثاره الأدبية والشعرية، وكذلك لم نعثر على ترجمة وافية له في الوقت الحاضر. وإن ضاعت آثار العالم باسودان الأدبية فقد ضاعت آثار غيره من شعراء ينبع من أمثال الشاعر الراحل الينبعي علي رحيمي الذي كان موظفاً بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة وهو والد رجل الأعمال عبدالرحمن رحيمي الذي كان مستقراً بتجارته في المنطقة الشرقية، فلقد عثر له أستاذنا صالح الحيدري بالمدينة المنورة على ديوان مخطوط في حراج المدينة المنورة واشتراه ولكنه فقده بمرور الأيام، وكم ضاعت آثار أدبية لشعراء وأدباء عديدين في ينبع ومنها مؤلفات عالم ينبع عبدالرحمن بن عواد القاضي، إذ يشير المؤرخ خير الدين الزركلي في معجمه «الإعلام» ما نصه: «عبدالرحمن ابن عواد قاضي حجازي مولده ووفاته في ينبع، تعلم بالأزهر وتفقه بالحنفية ورحل إلى الجغبوب وولي قضاء ينبع عام ١٢٨٠هـ واستمر إلى أن توفى، وبلغني من آل عواد في الحجاز أن له مؤلفات».

ونحن نقول: من المؤسف لقد بحثنا كثيراً فلم نعثر على مؤلفاته، ولم

نعرف عنها شيئاً في الوقت الحاضر، كما ضاعت آثار قاضي ينبع وعالمها عام ١٢٢٤هـ الشيخ أحمد عبدالرحمن الخطيب، وقد قال لي الوالد الشيخ حميدي باسودان رحمه الله أن سالم باسودان هو خاله وهو والد الأستاذ محمد باسودان الموظف بمدارس الثغر بجدة وسالم باسودان بجمارك جدة، ونحن نقول لعل من يعنيه البحث والتنقيب الجاد أن يعثر بمشيئة الله مستقبلاً على آثار أدباء وعلماء ينبع في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، وقد بعث إلينا بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٤١٣هـ الأستاذ سالم باسودان بصورة شرعية صادرة من محكمة ينبع تحدد وفاة الشيخ سالم باسودان في عام ١٢٩٨هـ وتشير إلى أملاكه بعد رحيله من هذه الحياة ومنها دور في حي السور، وهو أقدم حي في ينبع وسمى بحي السور نسبة إلى السور الذي أمر بتشييده آخر حكام الدولة المملوكية قانصوه الغوري عام ٩١٥هـ، وكان هذا أول سور يشيد في مدينة ينبع كما تشير الوثيقة أنه يملك صهاريج ماء بمدينة ينبع، ويتبين لنا من هذه الوثيقة الصادرة في نهاية القرن الثالث عشر أن أسرة «باسودان» وأسرة «باجنيد» وأسرة «باعقيل» من أعرق الأسر في مدينة ينبع، إذ نجد بعض أسماء أفراد هذه الأسر في الوثيقة مازالت معروفة في ينبع، ولعلني أذكر من آل «باجنيد» الشيخ محمد صالح وكان صديقاً للجدود والآباء، ورحيمي باجنيد كان له متجر في أحد أسواق ينبع المسمى بسوق الليل.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع وعلمائها إنه سالم محمد باسودان.

***

الأستاذ: محمود بن لافي القائدي

أسرة ابن لافي من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكان من أبرز رجالها الأستاذ محمود الذي عاش في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، وكان من أعيان مدينته ورجالها ومشايخها البارزين، وكما قال الأولون أن داره كانت مشرعة الأبواب لاستقبال الوافدين، وكان على جانب كبير من الأخلاق والشهامة والمروءة، وقال عنه صديقه الذي عاش في العصر الذي عاش فيه شاعرنا الينبعي حسن عبدالرحيم القفطي الأنصاري في ديوانه الشعري أنه كان واحداً من أدباء ينبع، ومع أسفنا الشديد لم نقف على شيء من آثاره الأدبية، وربما ضاعت كما ضاعت آثار غيره من الآدباء والعلماء في تلك الحقبة.

وهكذا يرحل الأفراد دائماً من هذه الحياة وتظل ذكراهم باقية إن هم أحسنوا صنعاً أو قدموا لمجتمعهم خدمات جليلة لا تنسى، ولعل شاعرنا القفطي يصف صديقه محمود بن لافي في قصيدة طويلة إذ يقول فيها عن وفائه لأصدقائه:

أخا الندمان ان رمت التصافي ... فحاذر في زمانك من تصافي
ولا تصفو لمن في الناس يبدي ... له وداً بقلب غير صاف
الم تر كلما استخلصت خلا ... لمحض الود قابل بالتجافي
فان تصحب فصاحب كل حر ... أخاهم كمحمود بن لافي

ويصف لنا شيئاً من كرمه الحاتمي فيقول:

فتاه على الشيوخ وراح يبغي ... مسامرة الضيوف على الصحاف

وان يشك الضعيف إليه ظلماً   مـن الأعـداء تعهـد بـالكفـاف
فصفـه بـالكمـال ولا تغـالي   على ما فيه من حسن اتصاف

والقصيدة طويلة وهذا كل ما وقفنا عليه من حياة أديب من أدباء ينبع إنه الأستاذ محمود بن لافي القائدي.

***

الشريف جبارة العياشي المكنى بالصفار

الشريف جبارة الصفار من أشـراف ينبـع العيايشـة والذين يجتمعون في النسب مع الأسرة الحاكمة في المغرب العربي ويتسلسل نسب جبارة إلى الحسن المثنى رضـي الله عنه ابن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب رضـي الله عنه .

ولد الشريف جبارة ما بين عـام ١٠٩٥هجريـة إلـى ١١٠٥ هجرية في بلاده ينبع . ويكنـى الشـريف جبـارة بالصفار لأنه إنتقل من ينبع وسكن بوادي الصفراء القريب منه وبالتحديد في قرية الخرماء .

ونشأ جبارة بين ينبع النخل ووادي الصفراء ، وعندما أدرك جبارة الحياة وأشتد عوده وأصبح قادراً على تحمـل المسؤولية والسعي في الأرض وتحمل المخاطر رحل إلـى الدرعية في قلب نجد إذ كان يومها في ريعان شـبابه ولـم يدرك المؤرخون السبب الذي جعل جبارة يهاجر من موطنه الأصلي في الحجاز ويستقر في الدرعية فـي قلـب نجـد مؤسساً له مزرعة في بطحاء البجيري في (مغيظ شـعيب

صفار) على وادي حنيفة وهذا الموضع أشار إليه بدقة في قصيدة له وهناك عدة تخرصات عند بعض المؤرخين عن هجرة جبارة من الحجاز إلى الدرعية في نجد . منهم من يرى قلة ذات اليد والحاجة إذ جاء يبحث عن الرزق ومنهم من يرى أنه حدث خلاف بينه وبين بعض الأفراد من عشيرته ، وأراد أن يدرء الشر بينه وبينهم ، وأكبر الظن أن هذا هو المرجح لأنه من خلال تتبعنا لحياة جبارة ندرك أن الله ميزه بعقل راجح فآثر الهجرة على معاداة بعض من عشيرته ، ويجمع المؤرخون والمنظرون أن جبارة كان في جميع أطوار حياته رجل أدب وشعر ، وكان متواجداً في أكثر الميادين رجلاً نستطيع أن نقول عنه أنه كان حاتمياً في كرمه وشهماً ورجلاً اجتماعياً وسياسياً وشاعراً شعبياً ، يمثل موهبة فذة مازال حتى اليوم مثار جدل وإعجاب ، ولهذا ندرك أنه سخر موهبته الشعرية وفق منهج منظم في جمل غير مألوفة من غريب اللفظ وغني المضمون وهندسة البقاء ، ولم يأتنا من أشعاره إلا القليل وهذا القليل صعد به نحو القمة ، وعندما نتمعن بيتاً من أبيات شعره وفك شفراته وألغازه نعشقه ونلتصق به ، ونحفظه ، وعندما نسوخ ونتمعن في بيت من أبيات شعره نردده ونحفظه .

هذا هو ابن ينبع الشاعر الفذ المفوه القدير الــذي ذاع صيطه في زمانه وبعد زمانه في الحواضر والبوادي ، حتى غاب عنا خلد التاريخ أشعاره المتألقة المتميزة ، ولا زالــت بعض أشعاره خالدة في أذهان الناس من محبــي الشــعر ، وسوف يخلدها تاريخ مورثونا الشعبي إذا ما خضع شــعره في يوم من الأيام للدراسة والتنظير ، ومن جميل ما كتــب عن شاعرنا الشريف جبارة العياشي وشــهامته مــا أورده عالمنا الكبير صديقنا وأستاذنا المؤرخ الشيخ عبــد الله بــن خميس رحمه الله في مؤلفه : " حديث السمر " ، إذ أورد لنا قصة من أروع القصص التي يخلدها التاريخ في دنيا الكرم والمروءة والشهامة ، ولعل الأجيال الحاضرة والقادمة تعي صفات ذلك الرجل المميزة ، ونقول : " حقاً إن هناك فــي الدنيا رجالاً " .

شريف نسب ، وشريف حسب ، له نفس أبيه ، وخلق عربي أصيل ، ومكانته في المجتمع مرموقة ، سخر مالــه في سبيل شرفه ، وبذل مستطاعه من أجل المحافظة علــى مكارم أخلاقه . أغضبه بعض قومه حيث مواطن الأشراف، فربأ بنفسه يطلب لها العز ، واتخذ من (الدرعيــة) أبــان ازدهارها ، دار إقامة حيث مزرعة أنشأها ، وجعل يطلــب

رزقه في أكنافها ، ويكدح هو وأولاده من تحت يده فيهـا ، ويبيح دخله للضيوف ، ولعابر السبيل وللمحتاج .

ومن قصائده :

يَقول جبَـارة والرَّكايب زوَالـف — يَـدُوْر الأرْيَـا أيِّهن خـيَـار[١]

الاَعِي الورَقَـا بالأبْعَـاد بعْدَ مـا — غشَى جَفِنَ عيني بالمَنَام وَذار[٢]

يَا ركْبِ شُدُّوا واغْنَمَوا البَرْد قَبْلَمَا — يهب عليكـم بالهَواجـر نَـار[٣]

يَهب هَوَى في مَطْلَع الجَدِى بَارح — إلى طَلَعَت عيـن الشَّبيْب وفَـار

لَكِنَ حَصْبَاهـا التي في رباعِهـا — على جَسَـد من يلتقيـه شَـرَار

كَـدَّر عَلَي بتَالي الليـل وَالـف — لها ضَايع يوم الهَجيْج حُـوار[٤]

تَحِنْ وَهي قَد حيِّرَت عن لحُوْقهـا — على السَّاق بَعْض الرَّامحَات قِصار

تَحـن اليَهوْديَّات مـن فقْد لَيلـة — عِزِّي لمَن فَرْقَاه بَيْـع جمَـار[٥]

هذا وهي عَجْمَى فيا ويل من لـه — أولاد في سِـن الرَّضاع صغـار

الاَتقَـان من ربك وما كتب للفتى — يَجْيه ولاله عـن لقَـاه فِـرَار[٦]

لو كنْت في جنَّة حَديْـدٍ مُعَسْكـر — في غِبْ جَهَّاشٍ غَزيْر إبْحَـار[٧]

أو كنت في حق من العَاج مُطْبَق — فـلا عن مقاديـر الإلـه مَطَـار

فإن كان يا عِمْران إلى (نَجْد) رَاجع — عن الرِّيْف من خُوْفَة يُقال أوصَار[٨]

أوْصيْك يا عمران لاعاقـك النِّيَـا — حاذْ ورعن ضَعْف العُزُوْم حَـذَار

---

(١) الركايب زوالف : الهجن بحثانن في سيرهن . يدور الأريا : يدير الآراء .

(١) الأعى الورقا : أجاذب الحمامة .

(٢) الهواجر : جمع هاجرة . شدوا : رحلوا .

(٣) والف : ناقة أليف . يوم الهجيج : الإغارة .

(٤) اليهوديات : يقصدون الإبل ، وتسمى باليهوديات على أساس خرافة تروي حول ذلك .

(٥) الايقان : اليقين .

(٦) معسكر : مقفل . غب جهاش : غب بحر .

(٧) خوفة : مخافة .

علي نَضْوَة وَجْنَا لَكِنَّه إلى اوْجَهَت   خُطَاها من بَعْد المَسِيْـر قِصَـار

لَكِنّها من عِقْب الأُدلاج والسِّـرَى   تَشُوْف به هاك النَّهار سِطَـار [١]

فَجَّا النَّحرَ مثل السَّبْرتَات لا نْتحت   طُفُوْح على اليمْنى لها ويْسَار [٢]

لي جيت في بَطْحَا (البُجَيْري)مَجْلِس   في مُلْتَقـى بَابه وبَـاب (صَفَار)

لي جيت يا عمران مِنى جَمَاعَـة   وحَدِّيْثـك من بين الجماعـة دَار

فَاخْتَص أبو بكر الشجاع محمـد   مَـلاذُنـا لآمِـن جَفَانـا الجَـار

نَسيْبى وخَال ابني ومن هو إلى آمر   على لازم مِنِّى يَجيْـه جِهَـار [٣]

واسأل نَسِيْبى عن (شَبيْب) و(أحمد)   الأوْلاد للقَلْـب الشَّجـى ثِـمَـار

هم الخَيْر وهَم الشَّر والفقر والغِنَى   وربْح وفيهم من يكـون خَسَـار

الأولاد فِيْهم من جَلا الهم شَوْفِـه   والاولاد فيهم مِطلَـق وثَبَـار [٤]

وبالأولاد من هو رَافِع قدر والده   وبالأولاد من يُوْرِيْـه دَار حَقَـار

خَلَّفَتْهُم في حِجْر بَيْضَـا عفيفَـة   كَسَاها من الدَّل الجميْل وَقَـار [٥]

هُذَيْليّـةٍ من روس قَـوْم عَنَابِـر   ومن مَنْسَبٍ عالي وطِيْبَ جوَار [٦]

صَبُورٍ على عوْباي ما ينْدَري بها   الى من مَرِّى فوق كَبْدِى فَـار [٧]

يا ما من الطَّرَبَات يا نفس فاقنعي   مع النَاس غَلِب ما عليه قِـدَار [٨]

وَدِّى بدار من وَرى دِيْرَة العَجَـم   ودَار وَرَا عيـن الدَّقَيْـق بِـدَار

أحَب عندي من جِلْـوسٍ بقربـه   لاَحْتَجْت للدَّاني القريْـب وَبَـار

لعلَ مالٍ ما يُمَـارَى بِـه العِـدَى   ولا ينفـع المضَيُوْم لِيْتـه بَـار

---

(٨) سطار : هوج .

(٩) فجا النحر : نحرها واسع . السبرتات : العامة . طفوح : كالطائرة .

(١) نسيبي : صهري . لازم : طلب .

(٢) شوفه : رؤيته . مطلق : نادر . ثبار : خائب .

(٣) الدل : الطبع الحسن .

(٤) عنابر : ازكياء كالعنبر . منسب : طيب أصل .

(٥) عوباني : خطئي . ما يندرى بها : لا يعلم بها أحد . مرّى : الصفراء التي تنتابه عند الغضب .

(٦) الطربات : الفرح والسرور .

أوصيك خِلان الرخى لو تزخرفوا ... كِما شجر ورق بغير أثمار
يبنون لك بالحكى كم من مدينة ... يالظاهرى والباطنى دمار
يقولون يرد الما بمحص وقنب ... فالى وردت الما يجن قصار [١]
ولا تنطح القالات لي صرت معسر ... ترا الفقر يرث بالعظام فنار [٢]
ولا عيشة الصعلوك الاشقية ... سل الله عنها بالغناة جوار
تورِيك أحوال إلى ما بغيتها ... والى حلم ليل فرغنك وطار
يكسر عزومك لو تهقويت لقوته ... كما يعوق خطى الزمول هجار [٣]
ترا الفقر لو قالوا لك الناس هين ... يهينك كما هان الهزيل فقار
رجل بلا مال له الموت راحة ... ومال بلا فضل غناته عار
مجالسك لمن ياجد ولنتب تاجد ... يزيدك عند الموجبات حقار [٤]
الي نضت للجودا لكن عضودك ... عليها من القد الجويد وسار [٥]
ما تفتكتر بالطير الى صار جايع ... تباطى سنانور الصباح وطار
واحذر عن الرديان لا تقرب أرضهم ... ما ينسكن للعايبين ديار [٦]
هذا وأنا ما في ضميرى قد انقضى ... تراه في مبدى الكتاب حضار
وصلوا على خير البرايا محمد ... عدد ما سعى ساعي الحجيج وزار
والآل والأصحاب ما لاح بارق ... وعدد ما تعاقب ليلها ونهار

*** ***

---

(٧) محص وقنب : حبال وثيقة .

(٨) تنطح القالات : تستقبل الشدائد .

(١) يكسر عزومك : يفتر عزمك . تهقويت : عزمت . الزمول : ذكور الإبل يحمل عليها .

(٢) مجالسك : من المجالسة والمصاحبة . ولنتب : ولا أنت .

(٣) الي نضت : الي نهضت . القد الجويد : القوي . وسار : إسار .

(٤) الرديان : دوي الردى هزالى المكارم .

وكما تشير المؤلفات أن جبارة تنقل بين عدة مواضع لهذا لازلنا نجد ذريته باقية في قلب نجد حتى ذريته الأشراف العياشة (آل مبخوت) الذين يسكنون في وادي الدواسر وبيشة وأشهرهم اليوم رجل الأعمال الشريف بخيت بن سعد بن مبارك الصفار العياشي . هذه ترجمة لواحد من أبناء ينبع الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه إنه الشريف جبارة العياشي المكنى بالصفار .

المـراجع

١. كتاب : تاريخ نجد في العصور العامية ــ الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .
٢. كتاب : ديوان الأمراء وتحفة الشعراء ــ ماجد بن طاهر المطيري .
٣. كتاب : كنز الأنساب ــ حمد بن إبراهيم الحقيل .
٤. كتاب : من أحاديث السمر ــ الشيخ عبد الله بن خميس ــ الجزء الأول .
٥. الأدب الشعبي في جزيرة العرب ــ عبد الله بن خميس .
٦. كتاب : موسوعة قبائل العرب ــ عبد الحكيم الوائلي ــ الجزء الأول .
٧. كتاب: من آدابنا الشعبية ــ منديل بن محمد الفهيد .
٨. كتاب : الأسر القرشية ــ أبو هشام عبد الله بن صديق .
٩. كتاب : قوافل الأدب الشعبي ــ عبد الله المضحي .
١٠. كتاب : تاريخ جهينة ــ عبد الكريم بن محمود الخطيب .

زارع بن عواد القاضي

أسرة القاضي من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكان لها تاريخها، وزارع آل عواد هو ابن إبراهيم باشا آل عواد قاضي ينبع في القرن الثالث عشر، وكان زارع آل عواد من أبرز رجال ينبع، بل من أبرز الرجال في بداية القرن الرابع عشر الهجري، وكان عمه عبدالرحمن آل عواد عالم ينبع قد تعلم في الأزهر بمصر وتفقه في المذهب الحنفي وقضى شطراً من حياته قاضياً بالجغبوب بليبيا وتولى قضاء ينبع عام ١٢٨٠هـ في الزمن الذي كان فيه شقيقه إبراهيم حاكماً لمدينة ينبع إلى أن توفي في عام ١٢٩٣هـ.

وتشير بعض المراجع ومنها الاعلام لخير الدين الزركلي أن له مؤلفات عديدة لكن من المؤسف لم تكن معروفة لدينا في هذا العصر.

وعاش زارع آل عواد كما أشرنا سلفاً في بداية القرن الرابع عشر، وتعلم العروض على يد أحد علماء ينبع الشيخ سالم باسودان الذي لم تكن له ترجمة معروفة بين أيدينا في الوقت الحاضر، ولكن تظل عائلة باسودان من الأسر العريقة في ينبع ومنهم الأستاذ محمد حميدي باسودان من موظفي مدارس الثغر بجدة وسالم باسودان من موظفي جمارك جدة.

وكان زارع شاعراً رقيقاً له العديد من القصائد الرقيقة عثرنا عليها بين ثنايا ديوان صديقه الشاعر الينبعي حسن عبدالرحيم القفطي الأنصاري الذي طبع في مصر قبل عشرات السنين، إذ دارت بينهما مساجلات شعرية عديدة نقف على شيء منها إذ يجيب زارع صديقه القفطي فيقول له مجيباً:

سم العقارب في صدغيه مرصود وسحر بابل في عينيه مشهود
وقـده كـالقنـا الخطـى طعنتـه وصارم الهند في جفنيه مغمود

إلى أن قال:

هل الليالي التي مرت تعود لنا حينـا ويخضر فيهـا بـاللقـا عـود
أيـام لا عـاذل تخشـى مـلامتـه ولا رقيب على الأبواب مرصود
في روضة ضحكت فيها الزهور على رأس الغصون وطير الأيك غريد
كأن طيب شذاها من ثناء «حسن» عبدالرحيم الذي بالفضل معهود
إنسان عين الورى والمكرمات ومن بفضلـه تشهـد الغـر الصنـاديـد
يا ماجدًا في المعالي طاب محتده ومن هو اليوم في الآداب مقصود

وأجابه الشاعر القفطي بقصيدة طويلة ومن مطلعها:

عودوا بنا لنواحي ينبع عودوا فعيشها قد صفا والعود محمود
وزودوا القلب من ذكر الرحيل لها فكم لها غرض فيها ومقصود
خير البلاد الذي ما اختاره وطنا إلا فتى بجنان الحسن موعود
أعظم به بلدًا ناهيك من بلد امضى الصوارم فيه الأعين السود

وندرك من خلال ديوان شاعرنا القفطي أن زارع آل عواد كان حاكماً لمدينة ينبع خلفاً لأبيه، إذ بعث له بقصيدة تهنئة في عيد الأضحى عام ١٣١٥هـ وقصيدة في عام ١٣١٦هـ، كما ندرك أنه كان عالماً كوالده إبراهيم وعمه عواد، وسافر زارع في رحلة إلى تركيا واخترمه الموت بها، ولكن لم نقف على العام الذي رحل فيه من هذه الحياة ويأسى عليه شاعرنا حسن عبدالرحيم فرثاه بقصيدة طويلة في خمسين بيتاً من الشعر ومن مطلعها:

بكت عيون التقى وانحط كل علٍ وجد خطب الردى فارتاع كل ملا

لهفى على زارع المعروف حين مضى   في رحلة كان فيها خير من رحلا
لهفي على موته في غير موطنه   ما بين من علم البلوى ومن جهلا
لو مات في قومه يا قوم حينئذ   وفي ديار معاليه قضى الأجلا

إلى أن يقول :

أبَى الإقامة في الدنيا وفارقها   شوقاً إلى غرف الفردوس وارتحلا
المشترى الحمد في ضيق وفي سعة   ببذل ما عز من أمواله وغلا

وجاءت إشارة في ديوان القفطي أنه فقد الجزء الأخير من هذه القصيدة وفيه تاريخ وفاة زارع آل عواد، والمرثي سافر من ينبع إلى اسطنبول فتوفى في طريقه إليها .

وكانت لأسرة القاضي في ينبع العديد من القصور الكبيرة على ساحل ميناء ينبع ، وكثيراً ما نعثر في كتب الرحالة المغاربة على إشارات عابرة أنهم نزلوا في تلك القصور أي قصور آل عواد أثناء مرورهم للحج عن طريق ميناء ينبع إلى المدينة ، وقد هدمت هذه القصور بحكم توسعة ميناء ينبع الجديد ، ودخلت مواقعها فيه ولازالت أسرة القاضي موجودة في مدينة ينبع ، وقد انتقل قسم منها إلى مدينة جدة ، وكنت أعرف من هذه الأسرة محمد زارع بن زارع آل عواد وأحمد القاضي كان موظفاً بجمارك ينبع وعبدالرحمن القاضي من أقدم موظفي الإذاعة السعودية بمدينة جدة .

هذه سيرة لواحد من أعلام ينبع وأدبائها وشعرائها : إنه زارع بن إبراهيم آل عواد القاضي . . الذي عاش في بداية القرن الرابع عشر في بلاده ينبع .

***

أمير ينبع
الشريف «عبدالله بن محمد بن عبدالله أبو ماء»

تشير الوثائق التاريخية التي بين أيدينا ومنها كتب الرحلات المطبوعة والتي تعتبر أصدق وثائق التاريخ أن ينبع كان لها في عام ١٣٢٠هـ محافظ كما كان للبلدة أمير، يقوم هذا الأمير بإمارة المدينة إلى جانب إمارته على أكبر قبيلة في المنطقة وهي قبيلة جهينة(١) وكان في عام ١٣٢٠هـ أمير مدينة ينبع الشريف عبدالله أبو ماء من الأشراف ذوي هجار إذ كانت تنحصر فيهم إمارة المدينة أي إمارة ينبع منذ أن تولى جدهم هجار إمارتها عام ١٩١١م ويؤكد لنا صاحب كتاب مرآة الحرمين وهو أمير الحج المصري اللواء إبراهيم رفعت باشا في رحلته إلى الحج عن طريق ينبع عام ١٣٢٠هـ إذ يقول «وكانت الحكومة خابرت والي الحجاز بإرسال مندوبين من قبله إلى ينبع للاتفاق معهم وأن محافظ المدينة كتب إليه بأن المحمل يسلك طريقه المعتاد وقال النائب لا يمكنني أن أعمل شيئاً ولا أصرح للمحمل بسلوك طريق ينبع إلا إذا صدر لي أمر من دولة أمير مكة كما ترون، ذلك الجواب الذي كتبه لكم بعد جمعه مجلس الإدارة وأخذ رأيه في ذلك وبمساعدة وكيل شركة البواخر الخديوية التقيت بالشريف عبدالله شيخ قبيلة جهينة ونائب شريف مكة في ينبع، وكلمته في تسهيل السفر عن طريق ينبع ووعدته المكافأة فقال لا يمكنني أن أتخذ أي اجراء إلا بأمر من شريف مكة».

وهذا الصديق حفيد الشريف عبدالله أبو ماء الأستاذ فهيد فهد الشريف

---

(١) يعني أمير كافة بلاد جهينة.

محافظ المؤسسة العامة للكهرباء بالنيابة ورئيس مجلس إدارة كهرباء الشرقية بعث لنا برسالة بتاريخ ١١/ ٤/ ١٤١٣هـ يشير فيها عن أمارة جدّه عبدالله لينبع إذ قال فيها: «كما أود أن أُفصِّل قليلاً عن أمارة ينبع ومن ترأسها من أجدادنا السابقين فإن الجدّ محمد عبدالله والذي هو والد جدّنا غانم وأخيه المسمى عبدالله أبو ماء كان أميراً لمدينة ينبع في العهود السابقة، تولى بعده ابنه عبدالله أبو ماء إمارة ينبع، وعبدالله أبو ماء هو والد كل من جاسر ورضا وهاشم ومعلا، وقد تولى معلا كذلك إمارة ينبع بعضاً من الوقت، أما جدّنا غانم رحمه الله ورحم الجميع لقد اكتفى برئاسة بلدية ينبع، وكذلك عمل مساعداً لرئيس البلدية مصطفى الخطيب وتشير المصادر وكبار السن أن جدّنا غانم الهجاري عمل كذلك رئيساً لبلدية أملج».

وكان أمير ينبع عبدالله أبو ماء وأولاده وأشقاؤه يسكنون بقصرهم المعروف بحي الخريق، وهو من القصور الأثرية إلى جانب قصر أبناء عمومتهم المعروف في ينبع، والواقع في حي الرابغي والمسمى «بديوان ابن بديوي» وهو أقرب ما يكون لقصر أسرتنا أسرة آل الخطيب الذي ورثناه عن الجدود.

ويحدثنا الجدُود عن الأمير عبدالله أبو ماء أنه كان رجلاً شهماً وكريماً وشجاعاً، وتشير الوثائق إلى أن ابنه معلا الذي تأمر على مدينة ينبع بعض الوقت كان محافظاً لمدينة العلا لعدة سنوات.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع وأمرائها إنه الشريف عبدالله أبو ماء.

***

سعد بن عثمان خلاف

أسرة آل خلاف من الأسر العريقة في مدينة ينبع وهي أسرة علم وقضاء، والشيخ سعد بن عثمان خلاف ولد في ينبع وتلقى العلم على يد علمائها في العصر الذي عاش فيه، وتعلم علم الفرائض، وكان ذلك في بداية القرن الرابع عشر للهجرة، وتدرجت به الوظيفة في المحاكم الشرعية حتى أصبح وكيلاً لقاضي ينبع، وكان القضاء في ينبع في تلك الفترة مرتبطاً بقضاء المدينة المنورة، وتشير الوثائق الشرعية التي بين أيدينا أنه كان يشغل ذلك المنصب عام ١٣٢١هـ إلى عام ١٣٢٤هـ وما بعده أي في العهد العثماني وكان من علماء وأعيان مدينة ينبع . . وكان يتصف بالأخلاق الرفيعة والتقرب إلى الله بالعبادة وقد تولى نيابة قضاء ينبع بعده نجله محمود سعد عثمان خلاف، وكان ذلك في عام ١٣٤٦هـ أي في بداية العهد السعودي وهذا ما تشير إليه الوثائق الشرعية، ومن أحفاد الشيخ سعد في العصر الحاضر محمد حمزة سعد الذي كان من موظفي الجمارك بجدة وشقيقاه مسعود وحامد.

ومن أسرة آل خلاف ابن أخيه محمد أحمد عثمان خلاف الذي كان من الرجال المعروفين بينبع، إذ قضى شطراً من حياته في العمل بمحكمة ينبع الشرعية، وتولى قضاء ينبع بالنيابة في عام ١٣٥٠هـ وما بعدها، وكان أول مدير لبيت المال في ينبع كما كان أول مدير للأوقاف بها، وقد توفي في نهاية الثمانينيات الهجرية، وكان أكبر أنجاله الأستاذ الأديب سليمان خلاف الذي كان مديرًا لمرفأ ينبع في السبعينيات الهجرية، وكان له نشاط رياضي وصحفي وهو الذي قام بتأسيس ثاني نادي رياضي بينبع

هو نادي البحري ومن أول السبعينيات حتى نهاية الثمانينيات عمل مراسلاً لصحيفة جريدة المدينة المنورة، ومن أكبر أنجال الشيخ محمد «عثمان» الذي عمل مديرًا للأحوال المدنية في ينبع ثم عمل مديرًا لجوازات مدينة جدة رحمه الله.

ومن أنجاله الأستاذ خضر عثمان الذي عمل مديرًا للأحوال المدنية في ينبع، ويقوم نجله هاشم في الوقت الحاضر بإدارة نادي المجد في ينبع، ومن أنجال محمد أحمد خلاف «أحمد» الذي كان يعمل محاسباً بإدارة أوقاف ينبع رحمه الله، وكان أصغر أنجاله الأستاذ عبدالحميد الذي عمل مديرًا لأوقاف ينبع رحمه الله.

وكان الشيخ محمد أحمد عثمان خلاف صاحب أخلاق فاضلة يشهد له بالاستقامة، انتقل إلى جوار ربه في أول الثمانينيات، وترك الذكر الحسن والأثر الطيب بين محبيه من أهل بلاده.

وكان من أعيان ينبع من هذه الأسرة حامد محمد مصطفى خلاف، إذ كان واحداً من الأعيان في مدينة ينبع، تلقى علومه في مدارس ينبع الأولية، ثم عكف على دراسة العلوم الشرعية على يد فضيلة عالم ينبع وقاضيها الشيخ حامد القباني رحمه الله، فأصبح مجيدًا في علم الفرائض يعود إليه الناس في كثير من القضايا، وكان إمامًا وخطيبًا للجامع الكبير في ينبع أي مسجد بن عطاء الذي هدم بحكم توسعة ميناء ينبع، ثم عين مديرًا لمدارس ينبع حينما كان التعليم في ينبع مرتبطًا بمنطقة المدينة المنورة، وكان يشرف على التعليم فيها يوم ذاك سعادة صديقنا الأستاذ عبدالعزيز الربيع رحمه الله.

وكان الشيخ حامد من كبار الملاك في قرية العلقمية إذ كان له فيها

بساتين عديدة وسميت تلك القرية بالعلقمية نسبة إلى علقمة بن يحيى بن عبدالله بن الحسن المثنى، ومن قرية العلقمية زحف الشريف قتادة وذووه في عام ٥٩٨هـ وهم الذي حكموا مكة المكرمة من القرن السابع حتى القرن الرابع عشر، وحامد خلاف كان موفقاً لحل القضايا والمنازعات بين الناس وكثيرًا ما كانت تكلفه حكومة ينبع في التسوية بين المختلفين من الأهالي على بعض الأملاك.

ومن أشقائه الأستاذ أحمد خلف الذي كان يعمل موظفاً بالجمارك بجدة والأستاذ عبدالحميد خلاف الذي كان واحدًا من المدرسين الأوائل في مدرسة ينبع الأميرية أي مدرسة الملك خالد في الوقت الحاضر.

ومن أكبر أنجال الأستاذ حامد خلاف محمد خلاف مدير المدرسة الابتدائية في مدارس الثغر بجدة، وحامد خلاف كان رحمه الله لا يتوانى عن نصح الناس إذا ما ركنوا إليه في المشورة وكان لا يتخلف عن الحج في كل عام إذ كان هو ووالدي محمود بن حامد الخطيب والشيخ حمزة عبدالواحد الأنصاري يحجون معًا رحمهم الله.

ولا أستطيع أن أحصي عدد حجاته لكن قال لي والدي رحمه الله وقبل وفاته عام ١٣٨٨هـ أنه حج اثنتين وثلاثين حجة.

وكان من أعيان ينبع وتجارها في هذا العصر مصطفى عبد رب الرسول خلاف، إذ كانت له تجارة واسعة مع جمهورية مصر العربية الشقيقة ومع تجار المملكة، وكان من كبار الملاك في قرية عين علي، إذ كان له عدد من البساتين، وسميت بعين علي نسبة إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، إذ كانت هذه القرية وغيرها من القرى من أملاكه ويتصف مصطفى خلاف أطال الله في عمره بالهدوء والرزانة والأخلاق الفاضلة

والاستقامة وحبه للناس .

ومن أكبر أنجاله أحمد خلاف والأستاذ حمود خلاف الذي كان يعمل مديرًا للضمان الاجتماعي بمدينة ينبع ، ولقد عاشرت الأستاذ حمود فعرفت فيه الأخلاق الفاضلة والروح الطيبة ومحبته للناس ، وكذلك من أنجاله الأستاذ حامد .

هذه سيرة عطرة لأربعة من رجال ينبع من أسرة خلاف إذ تركوا الأثر الطيب بين أهالي بلادهم ومعارفهم فليرحمهم الله .

* * *

الشيخ حامد القباني

كان الشيخ حامد القباني واحداً من أعلام مدينة ينبع البارزين ومن علمائها المجيدين في هذا العصر، وتولى الإفتاء في العهود السابقة ورأى سعادة أمير ينبع الشيخ حمد بن عبدالعزيز العيسى - رحمه الله - بثاقب رأيه رأى ما رأى في ذلك الشيخ من صلاح ووقار وغزارة في العلم في أكثر المذاهب، فكتب في الستينيات الهجرية إلى المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه رسالة يرشحه فيها لتولي القضاء في ينبع، فاستجاب جلالته لذلك المطلب وأصدر أمره بتعيينه قاضياً، وإلى جانب القضاء كان إماماً لجامع السنوسية بحي الخريق، وقد شيد هذا الجامع في عام ١٨٣٨م وقد أزيل اليوم بحكم توسعة مدينة ينبع، وكان الشيخ رحمه الله لا يتقاضى على الإمامة أجراً، وكانت له في ذلك الجامع حلقة مسائية يدرس فيها الفرائض والفقه والتوحيد، وكان من تلاميذه الشيخ عبدالرحمن أبو مضاي العلوني الجهني، والذي له حلقة يومية في وقتنا الحاضر يدرس فيها في المسجد النبوي الشريف، وهو صاحب مؤلفات عديدة منها:

١- كتاب النفحات الصمدية على مذهب الإمام الشافعي.
٢- كتاب الروض الأنيق في أحوال الورثة.
٣- كتاب قطف الثمار في أحكام الحج والاعتمار على المذاهب الأربعة.

وكان من تلاميذه: حسن هباش، حمدان أبو فريح، الشيخ مفوز أبو شعبان، حمزة عبدالواحد، حسن حضيري، صدقة عبدالواحد، الوالد محمود حامد الخطيب، حامد خلاف، حسن عبدالواحد، ابنه محمد قباني.

وكان من صفات الشيخ أنه لا يغشى الأسواق ولا المجتمعات ـ سخر حياته للقضاء والتدريس والدعوة إلى الله وإلى العبادة، وفي فترة قضائه لبلاد ينبع كان هناك رجلان لهما تجارة مشتركة واسعة في أكثر مدن الشمال: الوجه ـ ضبا ـ ينبع، وكانت تجارتهما تعتمد على تصدير الإبل والأغنام إلى بلاد الشام الأول سعودي ويسمى ابن شريدة والثاني شامي ويسمى مصطفى الشامي وحدث بينهما ما حدث واختلفا وتنازعا وتشاكيا وسببا إزعاجاً للمحاكم في هذه المدن بقضاياهما الشائكة المتناقضة كل يدعي على أخيه ما يدعي، وتشعبت الأمور بين الحقائق والمتناقضات وطال أمرها بين دوائر الأمن والمحاكم، وربما ضاعت الحقيقة وجاء المغفور له الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه إلى ينبع للقاء فاروق ملك مصر السابق عام ١٣٦٤هـ وفي مخيمه في خليج رضوى المعروف في وقتنا الحاضر باسم شرم ينبع دخل عليه كل واحد منهما بمفرده يتظلم من صاحبه وأراد جلالته أن يقف على حقيقة هذين الرجلين المتنازعين المتناقضين في الحديث فقال جلالته: ائتوني بالشيخ القباني، وجاء الشيخ إلى مجلس جلالته، وحدثني من شاهده في مجلسه أن جلالة المغفور له أخذ الشيخ القباني بجواره في المجلس، وكان يتحدث معه في شئون القضاء والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، وجلالته يطرح بعض الأسئلة والشيخ يجيب، فسر منه جلالته أيما سرور وهذه عادة جلالته المعروفة تاريخياً في تكريم العلماء، ولعلها سجية ورثها لأبنائه من بعده، وطلب الرجلين وأمام المغفور له حكم الشيخ بينهما في خلال نصف ساعة من عمر الزمن، واتضح للشيخ من فحوى القضية وملابساتها أن السعودي لم يكن ظالماً للشامي ولا الشامي كان ظالماً للسعودي كل ما في الأمر جشع وحسد بعض التجار الذين يتاجرون مثلهما في الإبل والأغنام

جعلوهما يجمدان تجارتهما ليكون لهم قصب السبق في الربح إذا وشوا بينهما بالسوء، فأمر وقتها جلالته بحل الشركة بينهما قائلاً للشيخ القباني «بارك الله فيك، ونبّه عليهما بعدم ازعاج المراجع الحكومية مستقبلاً» وقد عرض المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز على الشيخ القباني أن ينتقل معه إلى مدينة الرياض ليعمل في القضاء ولكن الشيخ اعتذر لظروف خاصة فقبل عذره. وقد انجب الشيخ حامد قباني رجلاً من خيرة الرجال الصالحين الأتقياء العابدين الشيخ محمد الذي شغل كتابة عدل لسنوات عديدة وانجب الشيخ محمد عبدالرحمن من كبار موظفي وزارة البترول في الوقت الحاضر.

ورحل الشيخ القباني إلى جوار ربه في نهاية عام ١٣٦٥هـ بعد أن قضى جل حياته في القضاء والتدريس والدعوة إلى الله والعبادة. وكان لوفاته أثر أليم على قلوب أهالي بلاده ينبع رحمه الله.

* * *

محمد سنوسي أبو طالب

لعل هناك الكثير من رجال ينبع البارزين ومن علمائها المجيدين الذين كان لهم دور كبير في حياة بلادهم ينبع ورحلوا دون أن تخلد سيرهم، ولم يدرك أبناء هذا الجيل من أخبارهم شيئاً، ولعل الشيخ محمد سنوسي أبو طالب كان واحداً من علماء ينبع المرموقين، إذ ولد فيها وتلقى تعليمه في المدينة المنورة في حلقات العلم في أروقة المسجد النبوي الشريف، إذ درس الفقه والتوحيد والفرائض على العديد من العلماء، ثم عاد إلى بلاده ينبع فكان من مجموعة المدرسين الذين تم اختيارهم لأول مدرسة في ينبع، هذا ما تشير إليه الوثائق التي بين أيدينا، كما تشير الوثائق أنه تولى نيابة قضاء ينبع عام ١٣٤٠هـ، كما كان إماماً وخطيباً لجامع ينبع الكبير مسجد ابن عطاء، وكما قال لنا الأولون من أهالي بلادنا ينبع رحمهم الله: أنه كان موضع محبة وتقدير أول أمير يعين في ينبع في هذا العصر الميمون، إذ كان يقربه إليه ويستفتيه في كثير من الأمور الشرعية لما أدرك فيه من سعة اطلاع ومعرفة في كثير من أمور القضاء الشرعي، إنه الأمير عبدالرحمن بن سعيد رحمه الله، وكما قال أهالي بلاده ينبع إنه كان تقياً ورعاً غيوراً على الدين آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، سلفياً في عقيدته إذ كان ينكر بدع وشعوذات العصور السابقة، ومما يرويه أهالي ينبع عن الشيخ محمد سنوسي أبو طالب وتمكنه من الأمور الشرعية، أن رجلاً حدث بينه وبين والد زوجته خلاف على موضوع معين وحلف الزوج على زوجته إن هي ذهبت إلى بيت والدها تكون طالقاً بالثلاث وفجأة اخترم الموت والد الزوجة فاضطرت إلى الذهاب إلى بيت والدها،

واحتار الزوج في الأمر وفكر أنها أصبحت طالقًا لكونها ذهبت إلى بيت أبيها، ولم يُفته أحد من علماء ينبع في ذلك الزمان إلا العالم محمد سنوسي أبو طالب إذ قال له بالحرف الواحد أنت حلفت عليها إن هي ذهبت إلى بيت والدها فهي طالق فهي ذهبت إلى البيت بعد وفاة أبيها فأصبحت غير طالق لأن والدها أصبح لا يملك البيت حينذاك فالبيت ملك الورثة وزوجتك غير طالق.

ومن أبناء عمومته الأستاذ حامد حمد الله الذي كان مديراً لديوان الملك علي بن الحسين في العصر السابق، وشقيقه علي حمد الله الذي كان يعمل مديراً لمكتب البيت التجاري الكبير في المدينة المنورة آل الخريجي، وهو من أعمام أستاذنا أحمد أبو بكر أبو طالب الذي كان أول مدير لأول مدرسة تأسست في ينبع عام ١٣٤٤هـ، ومن أبناء عمومته اللواء طيار عبدالعزيز محمد هنيدي من كبار موظفي طيران الجيش السعودي، وشقيقه عبدالكريم هنيدي، ويعتبر الشيخ محمد سنوسي أبو طالب ابن عم لآل زارع جميعاً، وهكذا رحل من الحياة عالم ينبع الشيخ محمد سنوسي أبو طالب في منتصف الخمسينيات بعد أن ترك السيرة العطرة والذكر الحسن بين أهالي بلاده فليرحمه الله.

***

حامد حمد الله آل زارع

كان حامد حمد الله آل زارع واحداً من رجال ينبع البارزين الذين كان لهم أثر في الحياة العملية، ولكنه لم ينل من السيرة الذاتية ما يستحق، ويجهل تاريخ حياته كثير من أبناء هذا الجيل، إذ ولد في مدينة ينبع وتلقى تعليمه في مدارس المدينة المنورة، وفي حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، وقدم إلى مسقط رأسه ينبع بعد أن تحصل على الشيء الكثير من العلم والمعرفة في مدينة الرسول ﷺ، وعين في العهود السابقة مديراً للسوقيات في بلاده ينبع، وكلمة سوقيات تعني مدير التموين في الجيش الحكومي، وأعقبه في ذلك المنصب مصطفى محمد الخطيب من أهالي البلاد، والذي عين فيما بعد قائمقام ينبع، وظل في تلك الوظيفة حتى عام ١٣٥٠هـ، وفي ٦ محرم عام ١٣٤٩هـ عين عضواً في مجلس الشورى في دورته الثانية، ويعتبر الأستاذ حامد حمد الله ليس واحداً من أعيان ينبع فحسب، بل هو واحد من أعيان الحجاز في زمانه، إذ تدرجت به الحياة العملية حتى أصبح رئيساً لديوان الملك علي بن الحسين في العهود السابقة، ويصفه أهالي ينبع بدماثة الأخلاق وحبه لعمل الخير، كما يصفونه بالحنكة والمعرفة، ولكن لم تطل به الحياة ليعطيها الشيء الكثير، إذ اخترمه الموت في ريعان شبابه فحزن عليه أهل بلاده كثيراً بعد أن ترك الأثر الطيب في نفوسهم، وأصبحت له سيرة عطرة بينهم، ومن رجال ينبع في هذا العصر شقيقه علي حمد الله الذي ولد في ينبع وتلقى تعليمه في المدينة المنورة وعمل سنين عديدة مديراً لمكتب البيت التجاري الكبير في المدينة المنورة «آل الخريجي».

لقد عرفت الشيخ علي حمد الله معرفة وثيقة رحمه الله، فعرفت فيه صفاء النفس ومحبة الآخرين ولين عريكة وصاحب روح مرحة وفيه تقى وصلاح اخترمه الموت في الثمانينيات الهجرية في المدينة المنورة وقد خلف العديد من الأولاد النافعين، وكان أكبرهم شاهر الذي كان موظفاً في بلدية المدينة المنورة، والأستاذ حامد علي حمد الله الذي كان مديراً لمكتب وزير المالية والاقتصاد الوطني بمدينة الرياض، ومن أعمام الأستاذ حامد حمد الله: عالم ينبع الشيخ محمد سنوسي أبو طالب الذي كان من أوائل المدرسين لأول مدرسة فتحت في ينبع عام ١٣٤٤هـ، وتشير الوثائق الشرعية التي بين أيدينا في الوقت الحاضر إلى أنه تولى نيابة قضاء ينبع، كما كان إماماً لجامع ينبع الكبير وهو مسجد ابن عطاء.

ومن أبناء عمومة الأستاذ حامد حمد الله الشيخ أحمد أبو بكر أبو طالب الذي كان أول مدير لمدرسة في ينبع، واللواء طيار عبدالعزيز محمد هنيدي من كبار موظفي طيران الجيش السعودي، وشقيقه الأستاذ عبدالكريم هنيدي ويعتبر الأستاذ حامد حمد الله ابن عم لآل زارع جميعاً.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع ومن أعيان الحجاز في هذا العصر إنه الأستاذ حامد حمد الله آل زارع رحمه الله.

* * *

دخيل الله بن طلال الجهني

كان الشيخ دخيل الله بن طلال واحداً من الرجال البارزين في مدينة ينبع، وهو شيخ الحصينات من قبيلة جهينة وكان إذا ذكر الشيخ محمد بن جبارة بكرمه الحاتمي ومروءته وشهامته في قريتي السويق وسويقة ذكر الشيخ دخيل الله بن طلال بكرمه وشهامته ومروءته في قريتي عين علي الجهينية والحربية.

كان الناس في ينبع يذكرون الشيخ دخيل الله بن طلال بالذكر الحسن، يذكرون أخلاقه الرفيعة، يذكرون شهامته ومروءته، إذ كان يقري الضيف ويساعد المحتاج، ويعين الفقراء كما يقولون، سمحاً في طباعه يحب الناس ويحبونه، باراً بعشيرته: يعين المحتاج، ويواسي المصاب، على جانب من التقوى والصلاح.

كما كان في بلادنا ينبع بحرها ونخلها رجال يعتز بهم لحسن شمائلهم، فليرحمهم الله جميعاً من أمثال هذا الرجل، لقد رحلوا فتركوا الأثر الطيب والذكر الحسن، ليت أبناء هذا الجيل يأخذون طباعهم في النخوة والشهامة والمروءة من الشيخ دخيل الله. وله قصص عديدة من قصص المروءة والوفاء والإباء، ولكن لسوء الحظ لم تدون هذه القصص ليعيها أبناء هذا الجيل وقد أنجب داخل الذي كان واحداً من موظفي إمارة ينبع وكان على دراية كبيرة بالعديد من المواضع والأماكن التاريخية في المنطقة وما حولها.

كانت تربطني به صداقة ومحبة وكثيراً ما كنت أناشده رحمه الله أن يحدثني عن قصص والده المأثورة في الشهامة والمروءة لتدوينها كثبت

تاريخي ، ولكن كان أدبه يمنعه أن يتحدث عن ماضي أبيه .

وقد حدثني عن موضع مسجد العشيرة الذي أسسه سيد البشرية ﷺ في منطقة ينبع النخل والباقي اليوم من قرى العشيرة عين البركة والمبارك ، وإن كانت جفت عيونها حتى أصبح لها أثر في نخيلها اليابس ومساكنها المتهاوية ووعدني رحمه الله بالوقوف عليه ولكن الأجل عجل به قبل أن نقف سوياً على هذا الأثر المجيد .

كان داخل رحمه الله على جانب من الأخلاق الفاضلة مرحاً كريم النفس طيب المعشر لقد داهمه المرض المفاجئ في عام ١٤٠٧هـ إذ اخترمه الموت وانتقل إلى جوار ربه في نفس العام بعد أن ترك الأثر الطيب والذكرى العطرة في نفوس محبيه من أهالي بلاده ينبع ، وقد خلف الشيخ دخيل الله طلال إلى جانب داخل ومن أبناء داخل اللواء أحمد بالقوات المسلحة السعودية ، وكذلك الدكتور علي وزير البرق والبريد والهاتف في الوقت الحاضر ، ومحمد المقدم بالحرس الوطني ، وقد أشار لورنس العرب صاحب كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» إلى الشيخ دخيل الله بن طلال ، وقال إنه كان واحداً من الذين شاركوا في الحرب بين العرب والأتراك حول أسوار مدينة ينبع ، وكما قالوا لقد داهمه المرض المفاجئ فرحل إلى الشام بحثاً عن العلاج ولاقى وجه ربه في الخمسينيات الهجرية .

ومن أبناء عمومته فهد الصميدي القوفي من قوفة وسعد يوسف الصميدي والمهندس إبراهيم يوسف القوفي ، ورجل الأمن الأستاذ فهد القوفي .

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع في زمانه إذ كان يتصف بالمروءة والشهامة ، إنه الشيخ دخيل الله بن طلال الجهني فليرحمه الله .

محمد علي بن بديوي الهجاري

الأشراف الهجاريون من أعرق سكان ينبع نخلها وبحرها، وكان من أبرز الرجال في تاريخ هذه الأسرة هو درَّاج بن هجار حاكم ينبع عام ٨٨٠هـ، وحين يذكر تاريخ المدينة المنورة في زمانه يذكر هذا الأمير الذي زحف بجيشه من ينبع إلى المدينة في عام ٩٠١هـ حينما وقعت في المدينة حادثة شنيعة، حينما هجم أحد الأشراف على الحرم النبوي وسلب كل ما في الحجرة النبوية، وأخذ ما فيها من الممتلكات والنقد وارتجت المدينة لعدة أيام ولم يعد إليها الاطمئنان حتى دخلها درَّاج ورجاله، ونادوا بالأمان، وكانت حكومات ينبع في السابق تعين أميراً من قبلها على قبيلة جهينة[1] تنظر في أمورها وقضاياها وشؤونها، ويرتبط هذا الأمير بأمير مدينة ينبع ويرتبط أمير ينبع بالقائم مقام في المدينة، وكان آخر أمير لمدينة ينبع في العهد الهاشمي: الشريف شاكر بن زيد، وقائم مقام المدينة مصطفى بن محمد الخطيب الهاشمي الذي أبقاه الملك عبدالعزيز في منصبه حتى نقله في عام ١٣٤٩هـ إلى مجلس الشورى بمكة في التشكيل الثاني، ومن خلال الوثائق التي بين أيدينا نجد أن محمد علي بن بديوي كان أميراً لقبيلة جهينة قبل أخيه عبدالكريم. إذ نجده يتوسط في التوفيق بين بعض أبناء عمومته السادة آل زارع سكان حي القاد، ونجد لورانس العرب يشير في مذكراته عن الثورة العربية إلى دور محمد علي وشقيقه عبدالكريم الذي وصفه بالشجاعة، وليس هناك شك أنه كان واحداً من فرسان الجزيرة العربية، ولعلني وقفت على حقيقة تظل من التاريخ

---

(١) يعني أمير كافة بلاد جهينة.

الخالد لعبدالكريم بن بديوي رحمه الله حينما قامت الثورة العربية : كان الأمير فيصل بن الحسين في خيف البركة والمبارك التي احتلها فخري باشا بعد هزيمة الجيش الهاشمي وظلت هذه المناطق في يد الأتراك ولم يتمكن الأمير فيصل من مواجهة جيش فخري باشا ولا يستطيع أن يقتحم مدينة ينبع البحر رغم وجود قطع من الأسطول البريطاني تنتظر وصوله إلى ينبع البحر، ولكن كيف رجع فخري بجيشه وكيف نجا الأمير فيصل وكيف احتل مدينة ينبع كان ذلك بجهود وعزيمة الشريف عبدالكريم الذي جاء بالخيل التي كانت موجودة عند أهالي ينبع واشتركت في المعركة، جاء بها من خلف جيش فخري، فجعله محصوراً بين قيادة عبدالكريم وقيادة ابن عمه فيصل بن الحسين كلاهما يجمعهما جدٌّ واحد موسى بن عبدالله بن الحسن المثنى، حُوصِر فخري في هذه الحملة فالتفت إلى الوراء يطارد جيش أهالي ينبع حتى عاد إلى المدينة وانحصر بداخلها وسار فيصل إلى ينبع البحر فإذا هي تفتح أبوابها له.

في بداية العهد السعودي رحل محمد علي بن بديوي إلى شرق الأردن وظل مقيماً بها حتى اختاره الله في السبعينيات الهجرية.

كانت هذه سيرة لواحد من أعيان ينبع ورجالها المناضلين، هو محمد ابن علي بن بديوي الهجاري رحمه الله.

❊ ❊ ❊

عبدالكريم بن بديوي الهجاري

هذه سيرة لواحد من رجال ينبع المرموقين، إنه عبدالكريم بن بديوي الهجاري، الذي كان واحداً من رجالها في العهود السابقة وفي العهد السعودي الزاهر، ومن جدود عبدالكريم الذين تأمروا في ينبع في العهد العثماني من عام ٩١٧ إلى ٩٢٨هـ وله ذكرى في كتب التاريخ: علي بن هجار ويتحدث أستاذنا حمد الجاسر عن عبدالكريم في حديثه (سوانح الذكريات) في المجلة العربية تحت عنوان «أهل بأهل وإخوان بإخوان» فيقول: «الشريف عبدالكريم بن بديوي هو رجل سمح الطلعة متهلل الوجه يذكر من يراه بقول الفضل بن العباس بن عتبة الهاشمي القرشي:

وأنـا الأخضر مـن يعـرفنـي   اخضر الجلدة من أصل العرب»

والشريف عبدالكريم، كريم اليد والخلق شريف النسب من آل هجار أمراء ينبع قديماً، وهم ينتمون إلى الشريف هجار بن درَّاج الحسني من ذرية قتادة بن إدريس جد أشراف مكة الذين تداولوا حكمها إلى سنة ١٣٤٣هـ وكان قتادة وآله مستوطنين في بلدة «العلقمية»[١] من ينبع النخل فكثر اتباعه وقويت شوكته حتى استولوا على وادي الصفراء ثم على المدينة المنورة ثم مكة المكرمة حتى شمل حكمه الحجاز وامتد إلى نجد في أول القرن السابع الهجري.

من ذريته هجار بن غبير بن نخبار بن محمد بن عقيل بن راجح بن إدريس بن حسن بن قتادة وكان غبير أمير ينبع حتى سنة ٨١٤هـ حيث

(١) العلقمية: نسبة إلى علقمة بن يحيى بن عبدالله بن الحسن.

تولى ابنه هجار إمارة ينبع إلى سنة ٨٢٤هـ وتداول الإمارة عدد من آل هجار هؤلاء حتى كان آخرهم علي بن هجار المتوفى سنة ٩٢٨هـ الذي وصفه ابن إياس صاحب كتاب «بدائع الزهور» بأنه خير من ولي إمارة ينبع.

ومن مشاهير آل هجار هؤلاء سبع بن هجار بن محمد تولى إمارة ينبع سنة ٨٨٧هـ ثم ابنه يحيى بن سبع[١] الذي تولى الإمارة سنة ٩٠٣هـ وليحيى هذا مع دولة الجراكسة في مصر في آخر عهده تاريخ طويل.

وعبدالكريم كان فارساً شجاعاً لا تلين له قناة في المعارك الحربية إن طالت أو قصرت، ويصفه لورانس العرب صاحب كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» في مذكراته فيقول: كان عبدالكريم يبلغ السادسة والعشرين من العمر مربوع القامة نحيل الجسد سريع الحركة قوياً نشيطاً وكانت رحلتنا سريعة للغاية فعبدالكريم من أسرع فرسان العرب وكان يفاخر به أنه يجتاز ثلاث مراحل في مدة يقطع فيها غيره مرحلة واحدة، كما يؤكد على شجاعته وحنكته إبان الحرب بين عرب الحجاز والأتراك في منطقة ينبع، وعبدالكريم هو الذي خرج حين كان القتال دائرًا حول أسوار ينبع مع جيش الملك عبدالعزيز للتفاوض على تسليمها مع القائد سعود الكبير وعلى أثر هذا التفاوض كان أحد الأيام في ٢٠ من شهر جمادى الأولى من عام ١٣٤٤هـ يوماً حافلاً حين دخلها جيش عبدالعزيز إذ خرجت ينبع بقضها وقضيضها من الشيوخ والشباب واستعرضوا في صفين من بوابة الجمال حتى بوابة دار قائم مقام المدينة السيد/ مصطفى الخطيب وهم يكبرون ويهللون ويرحبون بالقائد سعود الكبير حتى دخل الدار إذ كانت تخفق عليها وعلى الدوائر الحكومية والسفن الراسية

(١) يحيى بن سبع: راجع تاريخ ينبع، للمؤلف.

بالميناء الألوية البيضاء ألوية الأمن والسلام وقدم الملك عبدالعزيز إلى ينبع في عام ١٣٦٤ه للقاء الفاروق ملك مصر السابق وودعته مدينة ينبع وداعاً حاراً يوم مغادرته لها، وكنت يومها شاباً يافعاً في بلادنا ينبع وأبصرت عبدالكريم يقف مستقبلاً بالقرب من بوابة الدار التي ودع فيها الأهالي المغفور له الملك عبدالعزيز، وهي دار شيخ تجار ينبع مصطفى سبيه رحمه الله، وما أن ترجل جلالته بسيارته حتى رفع عبدالكريم صوته بقصيدة يحيى فيها جلالته، عرفه الملك عبدالعزيز وصافحه بحرارة وقال له بما معناه امازلت موجوداً على قيد الحياة؟ولم أدرك يومها وأنا يافع سر مصافحة الملك عبدالعزيز الحارة لعبدالكريم بن بديوي إلا حينما كبرت ووعيت وادركت كل الإدراك أن الملك عبدالعزيز فارس وشجاع ويحب ويكبر كل فارس شجاع.

هذا عبدالكريم بن بديوي كان فارساً من فرسان العرب، سوف لا يهمله التاريخ وهذه هي سيرة مضيئة ومشرفة له، لقد عرفته شخصياً وعرفت فيه الأخلاق الرفيعة والشهامة والمروءة.

ويتحدث الأستاذ محمد حسين زيدان رحمه الله في كتابه «العهود الثلاثة» في صفحة ٩٦ عن الحرب بين الأتراك والأشراف ما بين ينبع البحر والمدينة المنورة فيقول: «حُصِر فيصل بن الحسين لا يستطيع مواجهة فخري ولا يقدر أن يقتحم ينبع البحر، رغم وجود قطع من الأسطول البريطاني تنتظر وصوله إلى ينبع ولكن كيف رجع فخري بجيشه وكيف نجا فيصل وكيف احتل ينبع البحر، كان ذلك بعزيمة الشريف عبدالكريم بن بديوي أحد الأعيان الأشراف من ذوى هجار، فالشريف عبدالكريم جاء بخيل أهالي ينبع من وراء فخري فجعل الجيش التركي محصوراً بين قيادة عبدالكريم بن بديوي وقيادة ابن عمه فيصل بن الحسين كلاهما من ولد

إبراهيم بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، حصر فخري باشا في هذه الحملة فالتفت إلى الوراء تطارده جهينة حتى رجع المدينة وانحصر فيها وسار فيصل إلى ينبع البحر يفتح أبوابها بعد أن أطلقت عليهما مدفعية الأسطول الإنجليزي».

نحن نقول لقد اختلط على الأستاذ محمد حسين زيدان رحمه الله وليس عبدالكريم بن بديوي وفيصل بن الحسين هما من أولاد إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن المثنى بل هما من أولاد موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن المثنى رضي الله عنه جد أشراف ينبع ومكة وجد ملوك الأردن في الوقت الحاضر، ومن أحفاده الشريف محمد بن عبدالله بن بديوي رئيس قرية الأشراف وشيخ الأشراف في ينبع في الوقت الحاضر.

***

الشيخ مصطفى بن محمد الخطيب

الأسرة الخطيبية أسرة عريقة في مدينة ينبع، وكان أكثر أفرادها يمتهنون التجارة وكانت تجارة آل الخطيب تنطلق من ميناء ينبع بالحجاز وميناء القصير بمصر بالبحر الأحمر إلى الأسواق العربية.

وتعود هذه الأسرة بنسبها إلى جدها الأكبر أحمد يوسف علم الدين الهاشمي نسباً، المكنى بالخطيب المصدقة من أشراف قوص وأشراف قنا كما صدقت من شيخ الأزهر في زمانه الشيخ محمد السبكي صاحب الطبقات الشافعية. ولقد ترجم له العديد من المؤلفين ومنهم صاحب الدرر الكامنة، وصاحب فوات الوفيات، وصاحب الوافي بالوفيات، وصاحب الطالع السعيد، وقد أنجب علم الدين العديد من الأولاد العلماء ومن أحفاده العالم الجليل عبدالرحيم بن أحمد بن حجون المكنى بالقنائي، وله مقالات في التوحيد وبعض التفاسير للقرآن الكريم، ومن مشاهير آل الخطيب في هذا العصر: الشيخ مصطفى بن محمد بن مصطفى بن سليمان بن عبدالعزيز الخطيب الهاشمي، ولد في مدينة ينبع عام ١٣٠٠هـ، ودرس في كتاتيب مدينته ينبع كما درس على يدى بعض قضاتها ويعتبر علماً من أعلام الحجاز في عصره، إذ كان خطاطاً ماهراً وصاحب ديباجة رفيعة في كتاباته، وكان أول عمل له مديراً عاماً للسوقيات في العهد العثماني، أي مسؤولاً عن تموين الجيش، وفي عام ١٣٣٤هـ وبسقوط مدينته ينبع في يد عرب الحجاز عُيّن قائم مقام لمدينة ينبع وهو الحاكم الذي استقبل الأمير سعود الكبير عند تسليم مدينة ينبع في جمادى الأولى ١٣٤٤هـ، وأمر يومها كافة أهالي مدينته أن يخرجوا

لاستقبال الفاتحين في عرض كبير من بوابة الجمال في سور ينبع حتى بوابة داره في حي السور.

وقد استقبل في داره القائدين الكبيرين سعود الكبير وخالد بن لؤي، وهذا الأديب المصري الكبير إبراهيم عبدالقادر المازني يحدثنا في كتابه رحلة الحجاز في عام ١٣٤٥هـ فيقول: «.. وركبنا زورقاً إلى المدينة وهي صغيرة وبها مساجد كثيرة أشهرها مسجد بن عطاء[١] والخضر[٢] والسنوسي[٣] وأهلها وكلاء للتجار، أو عمال لهم وبها آلة لتصفية ماء الشرب يسمونها «الكندنسه» وهي لفظة محرفة عن الكندونيسر، فاستقبلنا قائم المقام الشيخ مصطفى الخطيب وهو من أهلها وكان عاملاً عليها في عهد الحسين، فلم تعزله الحكومة السعودية ترفعاً منها عن حماقات العزل والتأمير، وزرنا دار الحكومة وهي أبسط ما تكون في الدور الأرضي، وفي الدور الذي فوقه غرفتان إحداهما للقائم مقام إلى أن يقول.. بعد أن شربنا القهوة النجدية ثم الشاهي كما يسمونه (الشاي) استأذنا وانحدرنا إلى المدينة». وفي عام ١٣٤٩هـ أصدر المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه أمر تعيينه عضواً في مجلس الشورى بمكة المكرمة وكان ذلك التشكيل الثاني، ولكن لم تطل به السنون في مجلس الشورى إذ عرض استقالته على الملك عبدالعزيز، وحينما تأكد أن له ظروفًا خاصة سمح له بالعودة إلى ينبع وظل مقيماً بها، وفي عام ١٣٦١هـ أمر نائب جلالة الملك في الحجاز الملك فيصل ـ تغمده الله برحمته ـ بتعيينه رئيساً لبلدية

(١) مسجد بن عطاء هو الجامع الكبير في مدينة ينبع وقد هدم بحكم التوسعة.

(٢) الخضر: كان أحد المساجد الكبيرة نسبة إلى العالم الخضر الأنصاري إمام الحرم النبوي الشريف وقد هدم بحكم التوسعة.

(٣) السنوسي: كان أحد المساجد الكبيرة في ينبع أسسه صاحب الدعوة السنوسية محمد بن علي السنوسي العربي الإدريسي وقد هدم عام ١٣٨٦هـ بحكم التوسعة.

بلاده ينبع وفي تلك الفترة كان يرأس وفد بلاده في كل مناسبة إلى جلالة الملك عبدالعزيز، رحمه الله وكان آخر لقاء له مع المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز في عام ١٣٦٤هـ في خليج رضوى بينبع حين اجتماعه بملك مصر السابق فاروق.

وفي الخامس من شهر ذي القعدة عام ١٣٧٢هـ ودعت مدينة ينبع السيد/ مصطفى الخطيب إلى مثواه الأخير، وكان على رأس المشيعين له يوم ذاك صديقه الحميم أمير ينبع حمد بن عبدالعزيز العيسى طيب الله ثراه، ورحل مصطفى الخطيب ابن ينبع البار بعد أن ترك الأثر الطيب بين أفراد مجتمعه وأسرته، وتظل له سيرة عطرة في ثنايا التاريخ، إذ كان رحمه الله يتصف بالحنكة والسياسة والشهامة والعطف والمروءة.

ومن حنكته «موقفه مع الملك الحسين إذ كانت بعثت حكومة إنجلترا في إحدى السنوات مئتي بندقية للملك الحسين بواسطة ميناء ينبع، واستلمها قائم المقام مصطفى الخطيب، وهنا رغب أشراف ينبع أن تكون لكل منهم بندقية من هذه البنادق الحديثة، فلم يمانع القائم مقام فوزعها عليهم وبعد فترة من الزمن أبرق الملك الحسين للقائم مقام يطلب منه إرسال البنادق إليه في العاصمة مكة، فرد عليه برقياً قائلاً: سنبعثها بمشيئة الله، وفي خلال شهر لم تصل البنادق للملك الحسين في مكة وأدرك أن في الأمر شيئاً فكلف ولي عهده الأمير علي بالسفر إلى ينبع ومعرفة مصير البنادق وإحضار الخطيب معه إلى مكة.

فلما وصل علي إلى ينبع وحل على الخطيب ضيفاً في داره، صارحه الخطيب أنه وزع البنادق على أشراف ينبع فطلب منه علي أن يصحبه إلى مكة لمقابلة والده الملك الحسين فلم يمانع الخطيب، غير أنه طلب منه أن يؤمنه من والده، وفي لقاء الخطيب مع الحسين قال له الحسين أليس من

العيب يا شيخ مصطفى الخطيب أن تكذب على الحاكم وتقول سأبعث البنادق وبأي حق ومن الذي خولك أو أمرك أن توزع البنادق على أشراف ينبع، فرد عليه الخطيب قائلاً بكل شجاعة لأن البنادق هي عائدة للحسين ومن وزعتها عليهم جميعاً هم أهل الحسين وأبناء عمومته، وما وددت أن يكون أهلك غاضبين عليك في يوم من الأيام، فسر الحسين وصفح عنه وقال له بالحرف الواحد إذا جاءت حكومة من بعدي سوف لا تفرط فيك يا شيخ مصطفى، فأنت رجل تجمع بين الحنكة والسياسة، ومن مروءته رحمه الله حينما نشبت الحرب بين الأتراك والأشراف وكان مديراً عاماً للسوقيات وكان والياً على ينبع برتبة قائم مقام كان له صديق هو الشيخ المناضل بشير السعداوي من أهالي ليبيا، وحينما وصلت المدمرات الإنجليزية وهي تحمل العساكر والأفارقة وبعد قصف عنيف لمدينة ينبع تم انزالهم في ٢٨ رمضان ١٣٣٤هـ إلى ميناء ينبع، ولجأ بشير السعداوي إلى دار صديقه مصطفى الخطيب، وقد تمكن مصطفى الخطيب من إخراجه في تلك الليلة من مدينة ينبع في منتصف الليل بعد أن ألبسه زياً عربياً وهو ثوب يسمى ثوب الملّه وغترة تسمى الشرقية وهيأ له راحلة وزاداً وكلف أحد أصدقائه وهو شيخ فخد قبيلة القضاة من جهينة دخيل الله القاضي وسلكوا طريق ينبع النخل إلى بواط ثم إلى المدينة وسافر من المدينة إلى الشام، وتمر السنون ويعود بشير السعداوي للمملكة للعمل في معية المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، وفي أحد الأعوام حضر الشيخ مصطفى الخطيب على رأس وفد من بلاده ينبع لجلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، وما إن أبصره بشير السعداوي حتى أقدم يعانقه بلهفة وحرارة وهو يقول للملك عبدالعزيز هذا الرجل صاحب فضل عليّ ولا أنسى شهامته ومروءته، وروى لجلالته الحادثة فرد عليه الملك عبدالعزيز قائلاً بالحرف الواحد: «هذا رجّالنا ومن حمولة طيبة ومخبور عنه كل علم

زين» روى لي هذه الحادثة الشيخ عبدالله محسن زارع حيث كان عضواً في الوفد المهنىء لجلالة الملك عبدالعزيز بانتصار الجيوش السعودية في اليمن.

كما رواها لي الصديق الأستاذ هاشم الزواوي عضو مجلس الشورى سابقاً على لسان السعداوي نفسه.

ويقول أستاذنا محمد حسين زيدان رحمه الله في أول حلقة في البرنامج الإذاعي حديث الذكريات من إذاعة جدة: «وأول مدرسة دخلتها كانت في ينبع وعندما فتحت المدرسة ضموا الكتّاب إلى المدرسة فضمونا إلى المدرسة ولكني كنت صغير السن ولم أبلغ التاسعة أو العاشرة فهربت من المدرسة فأرسل المدير أحمد أبو بكر حمد الله رحمه الله ورائي من يطاردني، وكان عبداً ضخماً أكبر مني سناً جرى ورائي وجريت حتى وصلت إلى مكان في ينبع يسمى السور، وكانت فيه بيوت الخطيب بيت السيد مصطفى الخطيب قائم مقام ينبع وكان رجلاً طويلاً وبالمصادفة كان خارجاً من الباب فأسرعت إليه أريد أن ينقذني من هذا الذي يلحقني فأمسك بي وأشار إلى من يلحقني ذلك القوي إشارة فهمت منها أنه جرني وأشار إليّ أن أتجه إلى الأمام وكانت بيوت الخطيب ليست محاطة بحواجز كأنها مستقلة.. إلى أن يقول: جرني إلى المدرسة ولم أعرف أنني هربت من المدرسة بعدها، لم يجرني السيد مصطفى الخطيب وأنا هارب، وإنما أجارني من الفرار، أجارني من أن أكون تلميذاً هارباً، كم كان هؤلاء الآباء عظماء.

وكنت أدرك تلك الأيام أنها قسوة منه ولم يجر مستجيراً ولكني الآن أعرف فضل ذلك الرجل حيث أرجعني وبدأت أتعلم من هنا من هذه الذكريات أحدد هذا الواقع أن هذا هو التلميذ الذي يحدثكم الآن هو

الذي هرب من المدرسة . . أشكر لمصطفى الخطيب أن أرجعني إلى المدرسة يرحمه الله ، ومن شهامته والشيء بالشيء يذكر حدثني صديقنا أمير طارفة العيسوية التابعة لبلدة القريات «الشيخ شايع السنافي» رحمه الله أنه كان أحد أفراد القوات السعودية البرية التي ذهبت بالسيارات لقمع فتنة حامد بن رفادة وأنه حينما استقرت بهم السيارات داخل أسوار مدينة ينبع البحر أنه لا ينسى أريحية قائم مقام ينبع الشيخ مصطفى الخطيب الذي قام بتزويد الجيش بالأرزاق الكثيرة من أرز وبن وهيل وسكر وشاي وتمور .

ويأبى التاريخ دائماً إلا أن يحتفظ بالأحداث ذات الأثر الحسن ، ويحدثنا بحاثة الجزيرة أستاذنا حمد الجاسر أطال الله في عمره في عدد شهر رمضان من عام ١٤١١هـ في حديث : «سوانح الذكريات أهل بأهل وإخوان بإخوان» عن مدينة ينبع فيقول : «وإن كان معظم السكان يتكونون من أسر متميزة من أشهرها أسرة آل الخطيب وكثير من أفرادها يمتهنون التجارة ، ومن مشاهير هذه الأسرة الشيخ مصطفى الخطيب قائم مقام المدينة وهو رجل بهي الطلعة وقور ذو رزانة وحلم وقد توفى رحمه الله في اليوم الخامس من ذي القعدة عام ١٣٧٢هـ وهذه الأسرة تنتمي إلى السادة» .

ويقول سعادة الأستاذ سليمان الزائدي مدير التعليم سابقاً في منطقة ينبع ومدير التعليم حالياً بمنطقة مكة حينما تحدث عن أحد أفراد أسرة الخطيب في جريدة الندوة في العدد ١٠٢٠٠ وتاريخ ١٥/ ١/ ١٤١٣هـ : «أسرة الخطيب بينبع هي أسرة كريمة ذات وجاهة وعلم في مجتمع ينبع» .

كانت هذه سيرة لواحد من أعلام ينبع بل من أعلام الحجاز ، إنه الشيخ مصطفى بن محمد الخطيب رحمه الله رحمة الأبرار وطيب ثراه .

○ بداية الحرب بين الأشراف والسعوديين:

قال مصطفى الخطيب رحمه الله؛ وبعض الذين عاصروا هذه الحرب: في ١٨ ربيع الأول من عام ١٣٤٤هـ جمعت أعيان ينبع وتجارها وقلت لهم إن الحرب قادمة إلينا وعليكم أن تبذلوا المجهود وتضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن بلادكم وأموالكم وأعراضكم، فقالوا جميعاً نحن فداء الوطن واستعد التجار بتزويد الجيش بالمؤونة، وسافرت بعض الأسر إلى صعيد مصر وإلى بورسودان وانضم إلى الجيش عمال الميناء والبحارة والموظفون وأخذ أفراد الجيش يدربونهم على الرماية، وفي يوم ٢٢ ربيع الأول وصلتنا أخبار أن الأمير سعود الكبير وخالد بن منصور بن لوى تحركوا بجيش كبير تجاه ينبع وكنا نرصد دائماً تحركات هذا الجيش بالمنظار ففي عصر يوم ٢٧ وقبل أذان العصر كشف لنا المنظار أنهم على مقربة من ساحل المدينة فأبلغت الشريف شاكر بن زيد أمير ينبع يوم ذاك والمشرف على الجيش واستعد الجيش والأهالي للحرب وبعد الغروب هجم الإخوان على ينبع وحاولوا الدخول إليها من ناحية الساحل ودارت بينهم وبيننا معركة كبيرة مات فيها الكثير من الجيش السعودي بعد أن دحرهم جيشنا إلى الخلف فرجعوا على مسافة عشرة كيلومترات من ينبع وكانت مدينة ينبع مدينة مسورة بها العديد من القلاع إذ جهزنا قلعة في جزيرة العباس وكانت الباخرة الرقمتين التابعة للأشراف راسية في ميناء ينبع ومجهزة بالمدافع وكان يساعد الشريف شاكر في القيادة القائد حمدي حسن.

١- قلعة خارج أسوار المدينة يديرها إبراهيم الطاسان في منطقة السميري[1].

٢- قلعة في شمال باب الجنائز يديرها ابن حجام.

٣- قلعة بجوار باب السيارات كان يديرها بعض الأهالي.

---

(١) نسبة إلى الشريف مبارك الملقب بالسميري جد الأشراف آل بديوي.

٤- قلعة على محاذاة مدخل ينبع عند بوابة الجمال كان يديرها تركي المرزوق .
٥- قلعة شرق مقبرة الصريف وكان يديرها بعض أهالي ينبع .
٦- قلعة في مدخل ينبع في شرق حي المنجارة القريبة من الزيتية وكان يديرها بعض الأهالي ومنهم محمد علي الطواري .

في صباح اليوم التالي وجد الأهالي مجموعة من أجسام الإخوان القتلى طافية على الماء في البحر فأخبرني الشريف شاكر فكلفته بأداء الصلاة عليهم ودفنهم في مقبرة جماعية .

ويتضح من هذا أن الإخوان حاولوا الخوض في مياه البحر للدخول إلى ينبع لكن مدفعيتنا قتلت الكثير منهم ، وكانت أفران المدينة تعمل ليلاً ونهاراً لتوفير الخبز للمحاربين والسقاة يحضرون الماء من الصهاريج داخل المدينة وكان النساء في المدينة يساهمن بطبخ الأكل ويبعثون به إلى الجيش وكان ياسين أفندي الجداوي رئيس البوسطة الخديوية يقف دائماً خطيباً بين أفراد الجيش مشجعاً لهم على التضحية والفداء ، حاول الإخوان أكثر من مرة الهجوم على ينبع والدخول إليها فلم يتمكنوا وظلت المدينة محاصرة لكن الأرزاق كانت متوفرة ، وصلت إلينا الأخبار من المدينة المنورة بواسطة نجاب أن اثنين من أعيان المدينة أحدهما صديقنا مصطفى عبدالعال توجها نيابة عن أهالي المدينة يحملان رسالة إلى الملك عبدالعزيز في بحره يعرضان عليه التسليم .

○ التفاوض مع الأمير سعود الكبير على تسليم مدينة ينبع:

حدثنا جدنا مصطفى بن محمد الخطيب قائم مقام ينبع في العهد الهاشمي وفي العهد السعودي رحمه الله ، قال : حينما علمت بتسليم المدينة المنورة في يوم السبت الموافق ١٩ جمادى الأولى لجيوش الملك عبدالعزيز أدركت

بإيمان من الله سبحانه وتعالى أنه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وقلت لا مجادلة للنفس، وإن كان الإخوان من جيش الملك عبدالعزيز لم يتمكنوا من خلال حرب دارت بيننا وبينهم أربعة أشهر من دخول مدينة ينبع، إذ يقبلون عليها فتصدهم المدفعية فيتراجعون إلى الخلف لأن مدينة ينبع كانت مدينة مسورة وكان البحر يحيط بها من أكثر جهاتها المحصنة بست قلاع عدا قلعة في جزيرة العباس ومدافع في الباخرة الرقمتين التابعة للأشراف الراسية في الميناء كل هذه الدفاعات تردّ الإخوان عن المدينة فعلينا إذن أن نسلم بدون تردد، فوراً عقدت اجتماعاً في دار الحكومة حضره الأمير شاكر بن زيد المسؤول عن الجيش والمشرف على كافة المحاربين وحضره الشريف عبدالكريم بن بديوي وإبراهيم الطاسان وهو قائد حامية وحضره القائد حمدي حسن وهو قائد حامية وتركي المرزوق وهو قائد حامية وابن حجام وهو قائد حامية وقلت لهم بالحرف الواحد: *جدة والمدينة سلمت وأمام الأمر الواقع علينا أن نسلم*، لم يعترض أحد من هؤلاء القواد على مفاوضة الجيش السعودي المحاصر لمدينة ينبع لكن الأمير شاكر بن زيد اعترض على المفاوضة والتسليم، فقلت له من العقلانية ألا نعرض مدينة ينبع وأهلها للدمار مستقبلاً، لا تنس أن هناك قوات في جدة والمدينة إذا ما جاءت هنا لا قبل لنا بملاقاتها، قال إذن مادمتم قررتم التسليم أنا سوف أغادر البلاد إلى العقبة على الباخرة الرقمتين، قلت له كما ترى وخرج من عندنا وكان يسكن في مبنى إدارة (الكورنتينا) وقبل أن ينتهى اجتماعنا دخل علينا من يقول الباخرة الرقمتين غادرت الميناء وبها الأمير شاكر بن زيد فوراً قلت لابن حجام عليك الآن أن تتسلل من «برابيخ»[1] السور وتذهب إلى الإخوان

(١) البرابيخ هي فتحات في السور تمر منها المياه إلى الصهاريجات المتواجدة في قلب ينبع.

وتسلم هذه الرسالة إلى الأمير سعود الكبير وتقول له بالحرف الواحد: «يسلم عليك حاكم المدينة وسيخرج إليك من يفاوضك على تسليم المدينة»، تسلل ابن حجام وذهب للإخوان وعاد في المساء ومعه رجل اسمه عبدالرحمن بن سعيد، وتسلل به إلى المدينة من البرابيخ، وبعيداً عن التشويش دخل به إلى دار الشيخ أحمد أبو طالب، وجاءني رسول من ابن حجام يقول وصلت وحضر معي رجل من قبل الأمير سعود الكبير، فذهبت إليهم في دار الشيخ أحمد أبو طالب والتقيت بعبدالرحمن بن سعيد، قال: يسلم عليك الأمير وهو مستعد للمفاوضة وودعت ابن سعيد وكلفت ابن حجام أن يوصله إلى أسوار ينبع لكي ينفذ إلى خارجها من البرابيخ في نفس الليلة استدعيت الشريف عبدالكريم بن بديوي من وجهاء البلاد أمير قبيلة جهينة[1]، والقائد حمدي حسن واتفقنا على من يخرج صباحاً لملاقاة الأمير سعود الكبير وفي الصباح أمرت بفتح بوابة المدينة وخرج الشريف عبدالكريم بن بديوي ومعه الشريف عبداللطيف ابن مساعد والشريف زيد بن مساعد وقابلوه في ضمط ملطسا، التقوا بالأمير سعود الكبير ورحب بهم أيما ترحيب وقال لعبدالكريم هل لكم شروط على تسليمنا مدينة ينبع؟ فقال له عبدالكريم بن بديوي: نعم. الشرط الأول: أمان الأعراض، الشرط الثاني: الحفاظ على الأموال. الشرط الثالث: عدم تعرض أي فرد من الجيش السعودي لأي فرد من المحاربين من أهالي ينبع. أجاب الأمير قائلاً: هذا من حقكم وكتبت وثيقة التسليم ووقعوها جميعاً وودع الأمير قائلاً: نحن ننتظر قدومكم صباح باكر لدخول مدينة ينبع واستقبالكم فيها.

بعد عودة عبدالكريم ومن معه أمرت الحامية أن تتوقف عن أعمالها

---

(١) يعني أمير كافة بلاد جهينة.

الحربية فوراً وكلفت بعد عودة عبدالكريم ومن معه المنادي يجول في الشوارع وفي الأسواق ويبلغ الناس أن الحكم أصبح لله ثم أصبح للملك عبدالعزيز بن سعود وعلى الأهالي أن يتوجهوا صباح الغد إلى بوابة المدينة ويستعرضوا في صفين من البوابة الخاصة بالجمال حتى بوابة دارنا وفي صباح يوم ٢١ جمادى الأولى استقبلت في داري الأمير سعود الكبير ومعه القائد خالد بن لوى وبينما نحن نشرب القهوة وصلتني برقية من الملك علي بن الحسين بعد أن تنازل له والده عن الملك يقول فيها سلموا مدينة ينبع لجيش عبدالعزيز ، كان على الأمير سعود أن يظل معنا أياماً في ينبع فجهزت له دار المالية بحي السور وقلت له اعتقد أن دوري انتهى كحاكم للبلاد لحكومة سابقة. قال لي: لا استطيع أن أبت في ذلك الأمر وعلي أن أبرق اليوم لجلالة الملك عبدالعزيز وانتظر منه الرد، وأبرق للملك عبدالعزيز وبعد يومين جاء رد البرقية من الملك عبدالعزيز للأمير سعود يقول فيها الحاكم الذي استقبلكم في ينبع ابقوه في مكانه وعينوا عبدالرحمن ابن سعيد أميراً يكون مرتبطاً بالحاكم وظللت في منصبي كقائم مقام المدينة حتى أمر الملك عبدالعزيز بتعييني في التشكيل الثاني لمجلس الشورى عام ١٣٤٩هـ.

○ **الرواة:**

١- محمود عبدالله الخطيب مدير مالية ينبع ـ رحمه الله ـ.
٢- عرفة حامد الخطيب ـ رحمه الله ـ.
٣- سعد موسى الخطيب ـ رحمه الله ـ.
٤- الشريف محمد بن عبدالله حفيد عبدالكريم بن بديوي روى عن جده.

***

عدد ٢١٥

محترم المقام حضرت الشيخ أحمد نقادي ... دام محترم

بناءً على اقتداركم وحسن سيرتكم كافة أعضاء المجلس الاستشاري قرر بانتخابكم نواباً عن عموم أهالي ينبع أنتم وحضرة
الشيخ أحمد أبو بكر أبو طالب أن تمثلوا الأمة في المجلس الشوري العام بأم القرى الذي يجري ابتداء تشكيله هنالك
في ١٥ الجاري ٣٤٤ للنظر في شئون البلاد وما يصلح لأفضليته يلزم عليكم أن تغادروا ينبع بأول باخرة تقدم هذا الأمل
من حضرتكم أن تقوموا بما تقتضي عليكم من الواجبات نحو بلادكم ووطنكم مما هو المعول في مزاياكم الحميدة نسأل له العناية
الشامل والتوفيق وفي الختام تمنالكم دوام النجاح والفلاح دمتم / ٩ ذي القعدة ٣٤٤

قائمقام ينبع

[signature]

... محمد الخطيب

قائممقامية ينبع

عدد

٥٨

مخدوم المقام حضرت الشيخ حمد لنفادي   المحترم

بناءً على كفائتكم واخلاصكم كافة اهالي ينبع قد انتخبوكم نائباً عن عموم اهالي ينبع انتم والسيد مصطفى بيه والشيخ باسي حسن جداوي والشيخ امان فنقدم ان تمثلوا الامة وتحضروا الاجتماع التي سيتشكل في ام القرى للنظر في شؤون البلاد وما يصلح لا نعلم يلزم عليكم ان تغادروا ينبع باول باخرة تتقدم ينبع والامل من حضرتكم ان تقوموا بما تقتضي عليكم من الواجبات نحو الامة والبلاد والمولى يوفقكم لما فيه الخير ودمتم / ١١ رجب [illegible]

قائمقام ينبع

مصطفى محمد الخطيب

وكان الشيخ مصطفى الخطيب طيب العشرة مع أكثر الذين تأمّروا على ينبع إبّان عمله قائم مقام المدينة، إذ ربطت بينهم وبينه علاقة محبة وصداقة، وها نحن نلمس من خلال وثائق المجاهد أمير ينبع في عام ١٣٤٨هـ صالح بن مقبل العصيمي إذ يبعث للمغفور له جلالة الملك عبدالعزيز بشهادة عن سيرة هذا الأمير الكريم وحسن استقامته مذيلة بتوقيعه مع بعض أعيان ينبع وتجارها ومنهم: موسى الخطيب، حامد عبدالرؤوف الخطيب، حامد محمد الخطيب، ومدير مدرسة ينبع عبدالسلام غالي، ومدير البرق والبريد إبراهيم زارع، وأمين صندوق البلدية عبدالله محسن زارع، ومعاون مدير المدرسة أحمد أبو بكر، ومدير الجمرك أحمد نقادي، والشريف عبدالكريم بن بديوي الهجاري، والدكتور بشير الرومي، ومأمور الجوازات أسعد طربزوني، ومحمد عيسى العبيسي، ومدير المالية حمد عبدالعزيز الميمان، ورئيس البلدية محمد محمود عبدالواحد، وحمزة محمد علي بخيت، ومدير الشرطة حسين حلمي وحمدان أبو صابر، ومدير المنافع منتظر طربزوني، محمد حامد عبدالقادر، وأمان علي مقدم، الدكتور يحيى بصري، ومصطفى سبيه وسالم بابطين، ونص الوثيقة:

***

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد نحن الموقعين أسماؤنا أدناه [illegible] ينبع البحر بأن الأمير صالح ابن عقيل [illegible] منذ تعيينه أميراً [illegible] لم يحصل منه [illegible] يخالف علينا ولم يتعدى على أحد من أهالي ينبع [illegible] فينا عدل والإنصاف حسب رغبة جلالة مولانا الملك المعظم أيده الله ولم نشاهد منه [illegible] يخالف الآداب ولذلك أعطينا هذه الشهادة والله تعالى خير الشاهدين وبالله الاعتماد [illegible]

الشهود

[illegible]

أشهد لله تعالى بأن الشهادة [illegible] أعلاه [illegible] ينبع [illegible] حضرة الأمير صالح ابن عقيل [illegible] شهادة صحيحة [illegible] وبالله الاعتماد [illegible] قائمقام ينبع

[illegible]

رئيس البلدية

عبد الكريم [illegible]

[illegible] ما تقدم إلى جلالة مولانا [illegible]

الشيخ أحمد عبدالرحمن النقادي

الأسرة النقادية من الأسر العربية الأصيلة والعريقة في مدينة ينبع وكان من رجالها البارزين في زمانه الشخ أحمد عبدالرحمن النقادي. تعلم في مدينة ينبع حسب ما أتاح له ذلك الزمان من التعليم، ولكن على ما يبدو أن الشيخ النقادي عرك الحياة وعركته وأتيح له أن يقف على الشيء الكثير من أمورها، فإذا ما جلست إليه وحدثك الرجل تدرك أنه يتحدث عن خبرة ومعرفة ودراية وإدراك للكثير مما يجهله أهل زمانه.

وكان ذا ملامح تعبر عن ذكاء متوقد إذا استشرته في أمر من أمور الحياة، نلت منه النصيحة الصائبة والرأي السديد. . كان رجلاً واقعيًا وصريحًا يضع النقاط على الحروف في كل أمر يسند إليه ويضع كلمة الحق في موضعها ولا يخشى في الحق لومة لائم، كان شيخًا ناضجًا ينظر إلى أكثر الأمور بجدية وواقعية لا يجامل الآخرين إن هم اخطأوا بل يصارحهم ويناقشهم ويقرع الحجة بالحجة لهذا احترمه الكثير من أهالي بلاده احترموا رأيه لأنهم أدركوا أن رأيه لسديد، كان طموحًا ويتمنى أن يبصر أبناء بلاده على جانب كبير من العلم والعرفان.

وحينما دارت الأيام دورتها وضعفت أحوال مدينة ينبع ضعفاً كان عميق الأثر بالنسبة لجميع السكان في عشرات السنين من القرن الماضي وركدت الحياة فيها ركودًا مخيفًا وأخذ أهلها يجلون عنها بحثًا عن الحياة في المدن الأخرى، كان ينصح الشباب بالرحيل بحثًا عن حياة أفضل خارج بلادهم.

والشيخ أحمد النقادي تقلد عدة مناصب في بلاده ينبع، إذ عمل

مديرًا لجمركها ورئيساً لبلديتها وفي شهر محرم من عام ١٣٥٠هـ مثل بلاده هو والشيخ عبدالغني مشرف والشيخ سالم بن علي شاهين في الاجتماع الذي اقيم في أم القرى للنظر في شئون البلاد وكذلك مثل بلاده في عام ١٣٤٤هـ هو والسيد مصطفى سبيه والأستاذ ياسين جداوي في المؤتمر الوطني الذي عقد في مكة المكرمة والذي رأسه موحد هذه البلاد المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله والذي استهله بخطاب طويل ومن قوله فيه للمؤتمرين: «إني لا أشك والحمد لله في أهل الحجاز سواء كان صغيرهم أو كبيرهم ولا أشك في محبتهم لحكومتهم وإني أجزم اليوم جزمًا تامًا أنهم اليوم لي أقرب من أقرب قريب كما أن القلوب شواهد».

وفي نفس العام صدر الأمر السامي الكريم من نائب جلالة الملك عبدالعزيز الأمير فيصل بالحجاز بتعيينه عضواً في مجلس الشورى لإحدى دوراته وفي منتصف عام ١٣٥١هـ صدر الأمر السامي بتعيينه عضواً ثابتًا بمجلس الإدارة في ينبع كما صدر كذلك في عام ١٣٥٦هـ أمرٌ بتعيينه عضوًا ثابتًا في المجلس البلدي بينبع إلى جانب ما كانت تنيطه به إمارة ينبع من المشاركة في حل المنازعات في بعض القضايا.

كان الشيخ أحمد النقادي رحمه الله رجلاً بهي الطلعة ذا رزانة يشهد له أهل بلاده بالتقوى والصلاح إذ كان يحيى الليل بالعبادة وقراءة القرآن وذكر الله تعالى وله من الأبناء السيد/ حامد النقادي الذي عمل في سلك الجمارك بين ينبع وجدة في خدمة تزيد على ٤٤ عامًا ونهض جزاه الله خيرًا على تربية أبنائه وتعليمهم، ومن أبنائه المهندس محمد حامد النقادي والذي يعمل برتبة مدير عام بوزارة الأشغال، والدكتور أحمد النقادي المدرس بجامعة الملك عبدالعزيز بكلية الإدارة والاقتصاد، والكابتن طيار أحمد النقادي.

هذه سيرة عطرة لواحد من أعيان ينبع بل من أعيان الحجاز إنه الشيخ أحمد عبدالرحمن النقادي الذي أدى الأمانة وخدم بلاده وأمته ودولته فترك الأثر الطيب والذكرى الحسنة فأصبح واحدًا من الخالدين في تاريخ ينبع.

***

الشيخ مصطفى سبيه

كم في حياتنا من رجال كانوا أعلامًا في زمانهم وتركوا الأثر الطيب في مجتمعهم الذي عاشوا فيه بحسن أعمالهم الجليلة وأخلاقهم الرفيعة ولكن هؤلاء الأعلام بعدما رحلوا من هذه الحياة ورحل بعض من جيلهم ممن لا يملكون وسائل الذكر والتخليد أهملت ذكراهم ولم يعد لأبناء الجيل الحاضر من أبناء جلدتهم وأبناء مدنهم أن يعرفوا شيئاً من تاريخهم وما حفل به من أعمال مجيدة في خدمة أمتهم وبلادهم ودولتهم ـ وحديثنا هذا هو ترجمة لواحد من رجال ينبع وأعيانها وتجارها عرفته مدينة ينبع وعرفه أهلها بالعشرة الطيبة والسجايا الحميدة في الزمن الذي عاش فيه والسيد/ مصطفى سبيه هو عميد أسرته في زمانه وشيخ تجار المدينة إذ كان يحل القضايا المستعصية ولو بماله الخاص وفي بداية العهد السعودي وحينما تأسس أول مجلس إداري يتكون من عضوين هما محمد بن جبر والسيد مصطفى سبيه وقد مثل بلاده في المؤتمر الذي عقد في أُم القرى عام ١٣٤٤هـ والأستاذ الجداوي وأمان مقدم والشيخ أحمد النقادي.

كانت داره الكبيرة الواسعة القابعة بجوار أسوار ينبع القديمة والتي أزيلت بحكم توسعة ينبع من الدور العامة التي تستقبل ضيوف مدينة ينبع من أعيان المدينة المنورة ومشايخ ينبع النخل من أصدقائه ومحبيه إذ كانت وسيلة السفر في ذلك الزمان على ظهور الجمال بين ينبع والمدينة ويصل الضيوف في ساعة متأخرة من الليل فيجدون الاستعداد لاستقبالهم بالبشر والترحاب ويأبى رحمه الله إلا أن يستقبل ضيوفه بنفسه ويسامرهم ويودعهم على أمل اللقاء في صباح اليوم التالي كما كانت داره العامة

مفتوحة طيلة شهر رمضان المبارك من كل عام يفد إليها محبوه وأصدقاؤه وعامة الناس لتناول طعام الافطار ويستقبلهم ويودعهم بروح طيبة كما كانت تقام في داره وليمة كبرى في صباح كل يوم عيد لتجار ينبع وأعيانها وكان الرجل يتعاطف مع كل أفراد بلدته إذ كان بمثابة الحكم الفصل إذا ما اختلف التجار وإذا ما اختلف بعض أفراد الأسرة إذ كان يدفع من ماله الخاص في سبيل الصلح والوفاق والوئام بين الناس وكان بعض الناس بالعشم الكبير يعرضون عليه أشياء لا قيمة لها لشرائها فلم يرفض أو يردهم خائبين لأنه كان يدرك أن الحاجة هي التي دفعتهم لبيع مثل هذه الأشياء ويدفع بها إلى مستودعات تجارية دون أن يستفيد منها لكن كل ما في الأمر أن يسهل على الناس أمور الحياة .

كان السيد/ مصطفى سبيه يملك العديد من صهاريج المياه التي كانت تحفظ مياه الأمطار وكان يحتفظ بشيء من هذه الصهاريج فإذا ما شحت الأمطار عن مدينة ينبع أمر بفتحها ليرتوي منها فقراء المدينة كم كان هؤلاء الرجال من أمثال السيد/ مصطفى سبيه في زمانهم في مدينة ينبع الأصيلة وإذا تساءلنا نحن أبناء هذا العصر عن هؤلاء الرجال الذين كانوا نماذج في الأخلاق الرفيعة علمت الأجيال التعاطف والتسامح وفعل الخير إذ تركوا لنا سيرة عطرة من حياتهم الحافلة بالمزايا الحسنة حفي بنا أن نخلدها لتدركها الأجيال القادمة .

والسيد مصطفى سبيه ليس من أعلام ينبع وتجارها وأسرها فحسب بل هو علم من أعلام المدينة وأعلام الحجاز بل إن تجارته وأملاكه لم تتوقف على مدينة ينبع فقط بل كانت بين المدينتين وكانت له تجارة واسعة مع مصر والهند وكان الوكيل الشخصي في زمانه لوزارة الأوقاف المصرية في كل ما تبعثه للحرم المدني وأوقاف الحرمين من أدوات بناء وتشييد

بواسطة ميناء ينبع ومن أنجاله الأستاذ محروس رحمه الله الذي تنقل في عدة وظائف منها مفتش لوزارة العمل ثم مديرًا لدار رعاية أبناء المسلمين بمكة المكرمة التي كانت تضم أربع عشرة جنسية مختلفة تحتضنهم وترعاهم دولتنا الرشيدة ومن أبنائه الأستاذ جعفر ومحمد سبيه بالمدينة المنورة وكان شقيقه السيد/ حامد سبيه رحمه الله من خيرة رجال ينبع وأعيانها ومن أبناء عمومته السيد/ عبدالله أحمد عاشور الذي كان واحدًا من تجار ينبع ثم أصبح رئيسًا لبلديتها وهو من تجار جدة رحمه الله، وشقيقه الأستاذ الأديب السيد/ خلف عاشور الذي كان مديرًا للزكاة والدخل في العاصمة الرياض ثم في مدينة جدة.

ومن أبناء عمومته السيد/ حسن عبدالرحيم سبيه من كبار موظفى مصلحة التقاعد في الرياض، ويحدثنا بحاثة الجزيرة أستاذنا/ حمد الجاسر في سلسلة سوانح الذكريات التي ينشرها في المجلة العربية في العدد ١٦٤ لشهر رمضان من عام ١٤١١هـ في حديثه عن مدينة ينبع تحت عنوان «أهل بأهل وإخوان بإخوان» إذ يقول في معرض حديثه عن أسرة سبيه: «ومن الأسر الكريمة أسرة السادة آل سبيه بسين مهملة مضمومة بعدها باء موحدة مفتوحة فياء مثناه تحتية ساكنة فهاء. وكان من هذه الأسرة رئيس التجار السيد/ مصطفى سبيه على جانب عظيم من سلامة النفس ولطف الخلق وحب الخير والاحسان إلى المحتاجين».

وتأبى أريحية أمير ينبع الراحل حمد بن عبدالعزيز العليس رحمه الله إلا أن يكرم رجل ينبع الموفق بعد رحيله فيخلد له الذكرى العامة في داره إذ اختار داره العامة لتكون منزلاً يستقبل فيها أهالي ينبع مليكهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود مؤسس هذا الكيان الكبير حينما جاء إلى ينبع في عام ١٣٦٤هـ ليستقبل ضيفه فاروق ملك مصر السابق.

هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع عرفته وعرفه أهلها فظلت له الذكرى الحسنة والعطرة بينهم، إنه السيد/ مصطفى سبيه رحمه الله .

❊ ❊ ❊

محمد بن جبر

الشيخ محمد بن جبر كان واحدًا من أعيان مدينة ينبع البارزين وتجارها المرموقين ويعود بنسبته إلى قبيلة جهينه ولعلنا لا نعده من أعلام ينبع فحسب بل هو يعتبر من أعلام الحجاز لما له من علاقات تجارية واسعة في الأوساط التجارية في داخل المملكة وخارجها خاصة الدول الأوروبية، وحينما تأسس أول مجلس إداري في ينبع عام ١٣٥٢هـ كان من أعضائه محمد بن جبر والسيد مصطفى سبيه.

كان محمد بن جبر كريم النفس على جانب من الأخلاق وسماحة النفس إذ كان يستقبل في داره الضيوف الوافدين إلى ينبع من الداخل والخارج وكان له اهتمام كبير بالزراعة إذ كانت له بساتين عديدة في قرية المبارك والبركة وقرية الأشراف.

ويتحدث عنه أستاذنا حمد الجاسر في عدد رمضان عام ١٤١١هـ في المجلة العربية في زاوية من سوانح الذكريات وتحت عنوان «أهل بأهل وإخوان بإخوان» عن أيامه التي قضاها في مدينة ينبع فيقول: «ومن تلك الأسر أسرتا آل شاهين وآل جبر وقد توطدت الصداقة بيني وبين عميد هاتين الأسرتين الشيخ محمد حامد بن جبر وقد كان رجلاً شهمًا ذا مكانة بارزة بين أهل هذه المدينة بما يتصف به من كرم الخلال مع ما منحه الله من بسطة في الرزق فقد كان من كبار تجار هذه البلدة وكان يملك في قرية المبارك في ينبع النخل وله فيها حديقة غناء نضرة بما تحويه من أشجار الفواكه وأنواع النخيل وكان كثيراً ما يدعوني للنزول في ضيافته في تلك القرية الفسيحة الواقعة في متسع وادي ينبع النخل عند

اقترابه من شاطئ البحر فكنت أجد الأوقات التي اعتدت المشي فيها أول النهار وفي آخره أجد في تلك الأمكنة الفسيحة ما يمضي الوقت الطويل دون أن أشعر به أثناء تجوالي في تلك الفجاج الواسعة وكثيراً ما يجنح بي الخيال إلى الترنم بما أبدعه الشاعر الينبعي من وصفها من قبل ألف عام:

يا وادي القصر نعم القصر والوادي   من منزل حاضر إن شئت أو بادي

ويصف السفن التي تشاهد واقفة بقرب الشاطئ وحولها ملاحوها وما يشاهد من مناظر البادية ينتشر في الأودية والمراتع الواقعة على مقربة منها أذواد الإبل ومضارب أخبية أهلها حيث تتجلى في تلك البقاع البداوة والحضارة بأجلى مظاهرها وعندما مر الدكتور محمد حسين هيكل بينبع البحر في ١٤ محرم سنة ١٣٥٥هـ/ ١٦ ابريل ١٩٣٦م نزل في بيت الشيخ محمد بن جبر بتوجيه من وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان وقد قال هيكل عنهم في كتابه منزل الوحي.. لما عرض عليه أمير ينبع القيام بما قد يحتاج إليه قال: «إن مضيفي وأهله قد بلغوا في الحرص على طمأنينتي ما طوقوا به عنقي وما جعلوا له عندي يدًا لا تنسى».

ودارت الأيام دورتها وضعفت أحوال بلدة ينبع ضعفاً كان عميق الأثر بالنسبة لجميع السكان في عشر السنين الأخيرة من القرن الماضي فانتقل الشيخ محمد بن جبر إلى مصر واستوطنها وإن أنس لا أنسى آخر زيارة لها سنة ١٣٥٨هـ حيث كنت في مصر في البعثة السعودية لقد سار معي إلى باب منزله مودعاً على ضعف جسمه وشدة مرضه كان لا يستطيع الإفصاح في كلامه من شدة تأثره بالبكاء حين استرسلنا في تذكر تلك السويعات الجميلة التي كان يدعوني فيها إلى زيارته في المبارك فنجلس بجوار جدول بستانه القصر المزدان بأنواع الأشجار التي تعبق أزاهيرها

بالفَاغِيَة(١) والورد والليمون فتعطر الجو بأريجها .

كان الشيخ محمد بن جبر سباقًا للصلح بين الناس وما قربت من جوار داره يوم كنت يافعاً في بلادنا ينبع إلا وأبصرتها تعج بالشخصيات الكبيرة من أسر ينبع وهم يجلسون على مصاطب(٢) خشبية بجوار المنزل والشيخ يستقبل كل وافد ويودع كل غاد لقد علقت شخصية هذا الرجل في ذاكرتي منذ الطفولة يوم شيدت أسرتنا أول دار لها على بساتيننا الهاشمية والمحمودية(٣) في قرية البركة من منطقة العشيرة التاريخية المتاخمة لقرية المبارك التي ينزلها ابن جبر ففي صباح أول يوم تصل فيه أسرتنا من ينبع البحر إلى ينبع النخل وتحل بدارها الجديدة إلا وجاءت سيارة محملة بالمؤن والخراف ضيافة منه لأصدقائه آل الخطيب .

وكل ما نقوله عن الشيخ محمد بن جبر أنه كان عيناً من عيون ينبع ومن عيون الحجاز خلف أولادًا كان لهم أثر في مدينة ينبع : عبدالحميد وعبدالله رحمهما الله وعبدالرحمن رجل الأعمال في المنطقة الشرقية في وقتنا الحاضر ، ابن جبر صاحب سيرة عطرة إذ كان على جانب عظيم من الأخلاق الرفيعة كريم النفس واليد معًا ومحبًا لكل من عاشره من أهالي بلاده شهمًا ذا مروءة عربية صادقة .

هذا هو الشيخ محمد بن جبر الذي توفي بعيداً عن بلاده في أرض مصر عام ١٣٦٢هـ، سيظل له ذكر وتايخ في ثنايا تاريخ ينبع .

***

---

(١) الفاغية هي زهور الحناء .

(٢) مصاطب أي دكاك .

(٣) المحمودية : نسبة إلى محمود الخطيب والد المؤلف .

محمد بن جبارة

كم كان في بلاد ينبع رجال يضرب بهم المثل في الكرم والمروءة والشهامة ومحبة الآخرين والسعي في عمل الخير وكان أحدهم عيناً من عيون ينبع إنه الشيخ محمد بن جبارة من كبار مشايخ جهينة والذي يقول عنه أستاذنا حمد الجاسر في حديثه سوانح الذكريات عن ينبع تحت عنوان «أهل بأهل وإخوان بإخوان»: «ومن أشهر من عرفت من رجال ينبع الشيخ محمد ابن جبارة الصريصري الجهني أحد مشايخ قبيلة جهينة وكان ذا عقل وله منزلة في قومه».

وحين دارت الأيام وضعفت أحوال مدينة ينبع ضعفاً كان عميق الأثر بالنسبة لجميع السكان في عشر السنين من القرن الماضي وأصاب الناس ما أصابهم من فاقة وحاجة وكانت واحة ينبع الخضراء تجود بالعطاء من حبوب وتمور لم يبخل الشيخ محمد جبارة على أهالي بلاده بما تنتجه بساتينه العديدة بل كان يمد يده لكل محتاج بعث إليه يطلب المساعدة أو وفد عليه في قريته السويق وكثيراً ما كنا نسمع أنه ساعد الأسرة أو قدم العون لأرامل وأيتام ومساكين وقد حدثني من أثق فيه من شيوخ أهل قرية السويق أن الشيخ محمد بن جبارة كان يطلب في نهاية كل عام من عماله أن يوافوه باحصائية عن الأسر الفقيرة في قرية السويق وسويقة وإذا ما جنى محصول بساتينه من التمور بعث لكل أسرة بكيس أو كيسين من التمور مع أكياس من الدخن والذرة وكميات من السكر والشاي وكسوة من القماش للرجال والنساء وكان يحرص كل الحرص أن تصل إليهم مساعداته كما كان يحرص على تلك الأسر الا يذكروا اسمه لأهالي

القرى الأخرى عن هباته بغية الأجر والثواب والصدقة السرية .

وكان على جانب كبير من الأخلاق الرفيعة ويضرب به المثل في كرمه الحاتمي ، كانت داره في قرية السويق عامرة مفتوحة لمن يعرف ومن لا يعرف يفد إليها الناس ليلاً ونهاراً .

هكذا قالوا عن الشيخ محمد بن جبارة أنهم كثيراً ما شاهدوه يستقبل ضيوفاً في غرفة في داره ويقدم لهم الطعام وينتقل إلى موضع آخر ليستقبل ضيوفاً آخرين وكان من صفاته وزيادة في الكرم أن يقف على رؤوس ضيوفه أثناء الطعام ليكون في خدمتهم .

وكان يعز على نفسه أن يسمع بخلاف بين فلان وفلان من أهالي بلاده وإن تأكد من ذلك دعا المختلفين وأصلح بينهم وإن كان الخلاف على مادة أو دين دفع من جيبه الخاص وأنهى الخلاف بينهم . كانت كثيراً ما تكلفه إمارة ينبع للوقوف على حل المشاكل بين رجال البادية وإذا طرأ بينهم خلاف على ماء عين جارية أو مساقي للنخيل أو حدود بين البساتين وكان يكتب الله له التوفيق في الصلح وكان موضع احترام الآخرين أو نموذجاً من الرجال الذين وهبهم الله الصلاح فكان يعمل لآخرته أكثر من دنياه وبعد أن توفى رثاه كثير من الشعراء الشعبيين ذاكرين محاسنه والأثر الطيب الذي تركه في نفس كل من عرفهم أو التقى بهم أو تحدث إليهم أو زاره في داره العامرة في ينبع النخل .

كان يضرب به المثل في كرمه الفائق ويتمثل فيه قول الشاعر :

نصبوا بمدرجة الطريق خيامهم ... يتسابقون إلى قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه ... حب القرى حطباً على النيران

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أكرم وأنبل رجال ينبع القدامى ، إنه الشيخ محمد بن جبارة الصريصري ، وقد توفى عام ١٣٦٢هـ ، رحمه الله .

سالم شاهين

الأسرة الشاهينية من الأسر العريقة المعروفة في ينبع وكان عميدها الشيخ سالم بن علي بن شاهين رحمه الله ومن يبحث ويستقرئ التاريخ يدرك أن هذه الأسرة في مدينة ينبع بالحجاز تعود بنسبتها إلى آل سليم من قبيلة حرب إذ كانت مستقرة بين مدينة ينبع وصعيد مصر ومن أبناء عمومة آل شاهين في مصر محمود باشا سليمان ولقد كافح هذا الرجل في سبيل مصر في عهد الخديوي إسماعيل وابنه محمد محمود باشا سليمان الذي أسندت إليه رئاسة مجلس الوزراء بمصر وقد كافح هذا الرجل مدافعاً عن قضايا مصر وعروبة مصر في عهد الملك فؤاد حتى أطلقوا عليه صاحب اليد القوية لأنه كان يأخذ الحق للضعيف من القوي ولازالت تلك الأسرة تقطن ساحل سليم بصعيد مصر ويقول الشيخ صالح بن فالح في حديث الذكريات بين مصر والسعودية في جريدة الجزيرة في العدد ٥٦٦٤ وتاريخ ١٤ شعبان ١٤٠٨هـ:

من المشاهير في مصر من أصل سعودي محمد محمود باشا رئيس وزراء مصر الأسبق وحفني باشا ولهما ساحل في الصعيد يسمى ساحل ولد سليم من حرب بن محمد وهذا الساحل يقطعه القطار في ساعة ومحمد محمود باشا ظل يحتفظ بتقاليده وأذكر أنه دعي لفرح كبير فذهب بمفرده دون أن يأخذ نساءه ولما عاتبه الملك فؤاد قال له هذه تقاليدنا. والشيخ سالم شاهين ولد في ينبع النخل في ١١/ ٢/ ١٩٢٦م ونشأ بين البلدتين ينبع نخلها وبحرها ودخل الكتاتيب في ينبع البحر وتعلم القراءة والكتابة ونجد في شخصيته عصامية إذ كان واحدًا من الذين عملوا في

تشييد سور ينبع الثاني في عام ١٣٠٣هـ، وهذا السور شيده دولة عثمان باشا نوري الحاكم العادل في حياته حماية لمدينة ينبع من الأعراب وفي حياة الشيخ سالم شاهين رحمه الله كفاح وجهاد متواصل إذ كون نفسه بنفسه كما يقول الشاعر:

نفس عصام سودت عصاما   وعلمته الكر والإقداما

إذ امتهن التجارة في ينبع ثم دخل الوظائف الحكومية وفي عهد الأشراف عين رئيساً لبلدية ينبع ثم مديراً لشرطتها وفي العهد السعودي في عام ١٣٥٠هـ اختير من قبل حكومة ينبع ليكون واحداً من أعضاء مجلس الشورى الذي عقد في مكة برئاسة نائب جلالة الملك الأمير فيصل رحمه الله وكان ذلك الوفد من أعيان البلاد يتكون من الشيخ أحمد عبدالرحمن النقادي والشيخ سالم شاهين وكانت تكلفه إمارة ينبع بالعديد من المهمات في منطقة ينبع النخل ومنطقة العيص لخبرته الواسعة في شئون البادية مثل مهمة احصاء النخيل في قرى ينبع النخل وكان يتولى مهمة زكاة التمور هو والشيخ محمد بن جبارة الصريصري من أعيان ينبع النخل ثم عين أميناً لصندوق مالية ينبع ويصف أستاذنا حمد الجاسر الشيخ سالم شاهين الذي ربطته به الصداقة حينما كان مقيماً في ينبع يعمل مديراً لمدرستها من عام ١٣٥٦هـ حتى ١٣٥٨هـ فيقول:

«أما الشيخ سالم شاهين فقد كنت حين أشاهده أذكر قول الشاعر طرفة بن العبد:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه   خشاش كرأس الحية المتوقد

فهو وان كان حضرياً يتصف بما لأبناء البادية من صفات كريمة كان كثير الأسفار عالماً بمواضع تلك البلاد ذا ملامح تعبر عن ذكاء وصرامة

مع اتصافه بالهدوء والرزانة وطول التفكير وكان إذا تحدث تحدث بصوت منخفض بحيث لا يكاد يسمع وبلهجة بدوية عربية فصيحة بحيث يظن سامعه أنه أحد أبناء الصحراء .

وكان الشيخ سالم شاهين على جانب كبير من الاستقامة والأخلاق الطيبة هاجر من مدينة ينبع مع أبنائه عقب الحرب العالمية الثانية حينما كسدت الحياة فيها واستقر في جدة وتوفي في مساء يوم الخميس ١١/ ٢/ ١٩٨٥م في مدينة جدة ودفن يوم الجمعة في مقابر المعلاه بمكة المكرمة .

وقد خلف العديد من الأولاد إذ كان لهم أثر في الحياة العملية ومن أكبر أنجاله علي شاهين الذين كان من كبار موظفي وزارة الصحة وحمدان شاهين الذي مازال يعمل مديراً عاماً لمصنع الأسمنت بجدة وأحمد شاهين الذي كان من كبار موظفي المديرية العامة للجمارك ومحمود شاهين الذي كان من كبار موظفي وزارة التجارة بالرياض .

هذه سيرة عطرة لواحد من رجال مدينة ينبع الذين أدوا دورهم في خدمة الدولة والوطن ، إنه الشيخ سالم بن علي شاهين تغمده الله برحمته .

***

الشيخ ياسين الجداوي

رائد من روّاد الثقافة في ينبع

ما أكثر الذين رحلوا من حياتنا وتركوا الآثار والأعمال النافعة دون أن يخلدوا أو تذكر أعمالهم ولعل الشيخ ياسين الجداوي كان واحداً من رواد العلم والثقافة في بلادنا ينبع وترك الأثر المعروف في ذلك المجال ولعل الحديث عن ذلك الرجل الراحل يشجي ويطرب كل الذين عاصروه وعاصروا أعماله المجيدة وعرفوا مساعيه في دنيا المعرفة والثقافة إما بطريق الكتب التي كان يجلبها من مصر وكذا الصحف والمجلات الدورية التي كان يوزعها بدون شح على كافة شباب ينبع أو المحاضرات التي كان يلقيها تباعاً في أكثر المناسبات بقصد نشر الوعي والثقافة والمعرفة.

ولعل الكثير هنا يتساءل من هو الشيخ ياسين الجداوي؟ هو ياسين الجداوي المصري السعودي أو السعودي المصري فهو من أسرة عربية عريقة تنسب إلى قرية في ريف مصر تسمى «جدية» وأسرة الجداوي يقطن بعضها في مدينة جدة والبعض الآخر يقطن مدينة السويس بمصر.. قدم ياسين الجداوي في العهود السابقة ليعمل وكيلاً رسمياً لشركة البوستة الخديوية المصرية التي كانت تملك أسطولاً بحرياً تجارياً وكانت البواخر الخديوية تحمل البضائع والركاب والبريد بين مصر وموانئنا السعودية: الوجه، ينبع - جدة.. وكانت تسير تباعاً بدون توقف واستمرت حتى نهاية الستينيات الهجرية كما كانت تساهم في نقل حجاج مصر وفلسطين إلى موانئنا ينبع وجدة ذهاباً وإياباً.. وأطل العهد السعودي الزاهر على الشيخ الجداوي وهو مازال مستوطناً مدينة ينبع إذ أحبها وألف أهلها

وألفوه وأصبح واحداً منهم يوقره الكبير ويحترمه الصغير . . هكذا كنا نحن جميعاً أبناء ينبع نقول «العم ياسين» . . كان الرجل على جانب كبير وواسع من ثقافتنا العربية والثقافة الغربية ويجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية ولا ينقطع عن القراءة والبحث والتنقيب في بطون الكتب والموسوعات ويأتينا بالجديد، كان كل هدفه نشر العلم والثقافة والعرفان في بلاده ينبع وكان حريصاً أن يتعلم الشباب اللغة الإنجليزية وذلك قبل أن يتوسع التعليم في بلادنا وكان ذلك في منتصف الستينيات الهجرية إذ عمل على فتح مدرسة ليلية إنجليزية وقدم داره مقراً لها بدون مقابل وكان يدير تلك المدرسة أحد أبناء ينبع وشبابها المجيدين لتلك اللغة وهو الأستاذ «أسعد أبو رديف» جزاه الله خيراً حيث بذل مجهوداً كبيراً في تعليم أبناء بلاده تلك اللغة . . كما كان الشيخ الجداوي يقوم بتدريس بعض الشباب اللغة الإنجليزية في داره بدون مقابل وكان وراء انجازات علمية عديدة في هذا البلد، كان وراء إيفاد أول بعثة من مدارس ينبع لمدرسة تحضير البعثات إلى مكة وكان وراء إيفاد بعثتين لدار الرعاية الاجتماعية بمكة والمدينة يومذاك .

كان حبه لينبع لا يعادله حب كان ذلك الرجل وراء كل عمل إنساني وثقافي في تلك المدينة وإلى جانب ثقافته الواسعة كان زجالاً مجيداً وله عدة أزجال في ينبع لعلني لا أحفظ منها إلا مطلع قصيدة يقول فيها: «يا بنت يا رضوى يا جميلة، ياللي جمالك شيء فتان . . » ولعل رضوي ذلك الجبل الأشم الشامخ الذي يطل على الينبعين بحرها ونخلها، وحينما تقدمت السنون بالشيخ الجداوي وداهمته عوادي الزمان بوفاة ابنه الأوحد هشام فجأة بعد تخرجه في كلية الحقوق آثر العودة إلى مصر بعد أن غشي بصره على أثر تلك الصدمة القاسية ولم تطل به الأيام في أرض مصر إذ رحل إلى جوار ربه . . .

هذا هو الشيخ الجداوي الذي قدم إلى ينبع شاباً وغادرها شيخاً أقعدته السنون بعد أن قدم لها الكثير والكثير في دنيا المعرفة والثقافة .

حري بأهالي بلادنا أن يخلدوا ذكراه ، فإنه كان واحداً من رواد الثقافة في بلادهم ، فليرحمه الله .

* * *

الشيخ أحمد أبو بكر أبو طالب آل زارع

الأسرة الزارعية من الأسر العريقة في مدينة ينبع ومن مشاهير هذه الأسرة الشيخ عبدالله محسن زارع الذي كان رئيساً لبلدية مدينة ينبع، والأستاذ إبراهيم حسين زارع الذي كان آخر مركز له مديراً عاماً للبرق والبريد بالمملكة، كذلك من مشاهير هذه الأسرة شقيقه علي حسين زارع الذي كان آخر مركز له أمين جمارك الحدود الشمالية، وشقيقه أحمد سنده زارع الذي كان يعمل مديراً لديوان الإمارة بينبع ومن أبناء عمومتهم الأستاذ أحمد أبو بكر أبو طالب تلقى تعليمه الأولي في المدينة المنورة وكان أحد الطلائع الذين ابتعثوا إلى سلطنة الشام وهم السيد حسين طه ومحمد المغيربي وعبدالقادر عبدالجواد من المدينة المنورة ومحمد حامد العنيبسي من مدينة ينبع ودرسوا في المدرسة السلطانية وبعودتهم من هذه البعثة تعين محمد حامد العنيبسي مديراً لمالية العقبة يوم كانت تابعة للحجاز أما الشيخ أحمد أبو طالب فقد عين أول مدير لأول مدرسة في مدينة ينبع عام ١٣٤٤هـ وبين أيدينا اليوم صورة مذكرة رسمية برقم (٥) في ٢٢ شوال ١٣٤٤هـ تشير إلى تشكيل الجهاز الإداري لهذه المدرسة ومما جاء فيها: من عبدالرحمن بن سعيد أمير ينبع إلى حضرة مدير المعارف العمومية الشيخ صالح شطا جواباً لبريدكم رقم (٥١) في ١٣ شوال ١٣٤٤هـ قدمنا لأمركم أسماء المعلمين الموجودين بطرفنا كما هو محرر بالورقة المربوطة.. الشيخ أحمد أبو طالب هو الذي يصلح أن يكون معلماً أول ومديراً له كفاءة مأذون من المدرسة السلطانية ومعلوم اقتداره لدى الجميع، الأول بلغونا أمركم بتعيين المعلمين المذكورة أسماؤهم في الورقة، معلم أول مدير أحمد أبو بكر أبو طالب، معلم الشيخ محمد

سنوسي، معلم محمد حسن معوض، معلم أبو بكر المدني، معلم عثمان أحمد عثمان. . كان هؤلاء هم أوائل المدرسين لمدرسة ينبع الأميرية والشيخ أحمد أبو بكر أبو طالب مثل بلاده ينبع في المؤتمر الشوري الذي عقد في مكة عام ١٣٤٤هـ هو والشيخ أحمد عبدالرحمن نقادي من أعيان ينبع ويعتبر الشيخ أحمد أبو طالب من أول بناة التعليم في ينبع وكان من تلاميذه الشيخ زكي عمر من أهالي ينبع وكان واحداً من رجال المغفور له الملك عبدالعزيز إذ كان أميناً عاماً لجمارك المنطقة الشرقية في عهده ثم مفتشاً عاماً للجمارك بجدة وقال الأستاذ محمد حسين زيدان في أول حلقة من حديث الذكريات في إذاعتنا السعودية رحمه الله: «إنه كان من تلاميذ الشيخ أحمد أبو طالب في أول مدرسة دخلها في ينبع» ومن قوله: «لقد قطعت مرحلة طويلة في التعليم في ينبع وكنت واحداً من تلاميذه» وكان أستاذنا أبو طالب مجيداً في علم الرياضيات وكان علي إدراك كبير في تاريخنا الإسلامي إذ كنت واحداً من تلاميذه في المدرسة الاميرية في ينبع وفي منتصف الستينيات الهجرية قام بتدريسنا لتاريخ الخلفاء الراشدين والعهد الأموي والعباسي بأسلوب قصصي مشوق ويعلم الله أن هذا هو الأستاذ الذي حببني في علم التاريخ كان رحمه الله هادىء الطبع ذا رزانة وحلم لا يقسو على تلاميذه بل كان يلاطفهم ويداعبهم في ثنايا الدروس إذ كان لين العريكة محبوباً بين تلاميذه وأهالي مدينته ينبع كان على جانب من الاستقامة وقد استقر في أواخر حياته في مدينة الرسول ﷺ واخترمه الموت في أول الثمانينيات الهجرية رحمه الله.

كانت هذه سيرة لواحد من بناة التعليم في مدينة ينبع ومن رجالها الذين تركوا الأثر الطيب في تاريخها العلمي، إنه الأستاذ أحمد أبو بكر أبو طالب آل زارع.

حمزة بخيب

أسرة آل بخيت من الأسر العريقة في مدينة ينبع والشيخ حمزة بخيت واحد من رجال هذه الدولة وحينما سألت صديقنا الأستاذ جميل معيلف محاسب مالية ينبع سابقاً رحمه الله عن دور الشيخ حمزة بخيت في بداية تأسيس الحكومة أجابني برسالة قال فيها :

«وجود المالية في بداية العهد السعودي كان امتداداً للعهود السابقة إذ كانت موجودة منذ عهد الأتراك والأشراف حسب ما فهمت، وقبل بداية العهد السعودي كان مدير المالية أحد الأتراك ويدعى (صالح وصفي) وكان يسكن في دار أحمد أبو بكر أبو طالب كما قيل لي وفي بداية العهد السعودي كان الشيخ حمزة محمد علي بخيت يمثل المالية إذ كان معتمد الشيوخ في صرف الرواتب وتدبير المبالغ المالية إذ لم تكن حينذاك جباية منظمة للإيرادات والصرفيات وفي أثناء ذلك تولى الشيخ حمد الميمان إدارة المالية وكان ذلك في حوالي ١٣٤٦هـ كما فهمت وفي عام ١٣٤٧هـ تعين الشيخ محمد العثمان الناجم مديراً للمالية» .

وكما يقول الأولون من أهالي ينبع أنه كان رجلاً فاضلاً طيب العشرة محبوباً بين الناس مستقيماً في حياته وانتقل إلى جوار ربه في نهاية الخمسينيات الهجرية .

ومن أنجاله الأستاذ سمان بخيت الذي كان موظفاً بمالية ينبع ثم انتقل إلى المدينة المنورة وأصبح واحداً من رجال الأعمال .

لقد عرفت هذا الرجل فعرفت فيه الشهامة والمروءة والأخلاق

الفاضلة محباً لعمل الخير محبوباً بين أهالي مدينته ينبع وأهالي المدينة المنورة، وقد اخترمه الموت في عام ١٤٠٦هـ في المدينة المنورة، وقد حزن عليه الكثير من أصدقائه وقد خلف الأستاذ سمان محمد الذي كان خير خلف لخير سلف يترسم منهج والده، ويحرص على مودة ومحبة أصدقاء أبيه ويدير اليوم أعمال والده.

ومن أسرة آل بخيت الشيخ محمد ياسين بخيت الذي كانت له تجارة واسعة في مدينة ينبع ورثها عن والده ياسين بخيت الذي كانت له تجارة واسعة بين الشام والحجاز. وكان لمحمد ياسين بخيت العديد من البساتين في ينبع النخل وحينما تدهورت الحياة التجارية في مدينة ينبع في نهاية السبعينيات انتقل بتجارته إلى المدينة وكان يساعده في ذلك ابنه الأكبر مدني بخيت رحمه الله.

وقد بعث أحد أولاده للدراسة في الشام وهو الأستاذ عبدالله وهو اليوم واحدٌ من رجال الأعمال في المدينة المنورة، وتخرج ابنه فؤاد بخيت من الجامعة الأمريكية بالقاهرة وعمل مديراً عاماً لمصفاة البترول بجدة ثم تحول إلى امتهان التجارة ومن أبنائه: الأستاذ زياد الذي تخرج من الجامعة الأمريكية في القاهرة وكان أول مدير لمعهد الإدارة بالرياض وقد اخترمه الموت في حادث مؤلم بمدينة الرياض في عام ١٣٨٩هـ وهو ما فتىء في ريعان شبابه رحمه الله.

وكان محمد ياسين بخيت رحمه الله رجلاً فطرياً صاحب روح طيبة يلقى الناس بكل الحب وكانت داره مفتوحة في ينبع لكل الوافدين، من أصدقائه من أهالي المدينة المنورة إذ كانت له صلة وطيدة وعلاقة متينة بأكثر تجارها وقد انصهرت أسرة آل بخيت في بوتقة مجتمع المدينة المنورة فأصبحت لها صلة رحم بعدد من الأسر المعروفة، وانتقل إلى جوار ربه

بالمدينة عام ١٣٩٣هـ.

كانت هذه سيرة عطرة لرجلين من رجال ينبع هما حمزة بخيت ومحمد ياسين بخيت فليرحمهما الله، وكان من آل بخيت الشيخ حسن طه بخيت بينبع من موظفي الإمارة وكان من الرجال المخلصين وعلى جانب من الاستقامة.

***

محمد بن حامد العنيبسي

أسرة العنيبسي من الأسر العريقة في مدينة ينبع وتعود بنسبها إلى البراهمة والبراهمة فخذ من بني موسى من جهينة رحل منها الكثير في القرون السابقة إلى صعيد مصر واستقر بعضهم بقرية عنبسة بالوجه القبلي ولهذا جاءت التسمية بالعنيبسي وكان لآل العنيبسي دور كبير في المهنة البحرية في ميناء ينبع من عشرات السنين وكان لجدهم الأكبر مصطفى الأول سفن عديدة تعمل بين ميناء ينبع وموانئ البحر الأحمر وكان من أبرز رجال هذه الأسرة في هذا العصر محمد حامد محمد مصطفى العنيبسي ولد في مدينة ينبع وتلقى العلم فيها ثم كان واحداً من الطلائع الأولى التي ابتعثت إلى سلطنة الشام.

كان هو وأحمد أبو بكر أبو طالب من مدينة ينبع والسيد حسين طه ومحمد المغيربي وعبدالقادر عبدالجواد من المدينة المنورة وعاد هو وزميله أبو طالب إلى ينبع بعد التخرج من المدرسة السلطانية بالشام وحصلا على شهاداتها العالية وأجيزا بالتدريس في المعاهد العالية فعين أبو طالب أول مدير لمدرسة ينبع عام ١٣٤٤هـ، أما محمد حامد العنيبسي فعين مديراً لمالية مدينة العقبة يوم كانت تابعة للحجاز. وكان مدير جمركها يوم ذاك الأستاذ أحمد الرفاعي والد صديقنا الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي أطال الله في عمره وربطت الحياة بينهما في العقبة بصداقة وشيجة.

وكان للأستاذ العنيبسي ثقافة واسعة وكما قال لي أستاذنا محمد حسين زيدان رحمه الله يوم سألته عن معرفته لخالنا العنيبسي قال لي أعرفه وكان شاباً فيلسوفاً ولكن لم تطل به الحياة في العقبة إذ كان يومها الأمن

مضطرباً في الحجاز في العهود السابقة وكان قطاع الطرق ينتشرون على دروب حياة البشر وبينما كان العنيبسي في مهمة رسمية في رحلته من العقبة إلى مدينة معان على ظهور الجمال يرافقه بعض رجال ماليتها داهمهم قطاع الطرق ليلاً وامطروهم بوابل من الرصاص فخر العنيبسي قتيلاً وشهيداً في سبيل الله وهو في ريعان شبابه يؤدي رسالته .

وفي صباح اليوم الذي قتل فيه هبط له مولود إلى هذه الحياة من زوجة كردية كان قد اقترن بها أثناء فترة دراسته في دمشق ويومها كان للأسرة العريقة في مدينة العقبة «أسرة الكباريتي» موقف مشرف من الزوجة المكلومة في فقدان بعلها إذ خففوا من مصابها برعايتها ومولودها الذي اسمته سليمان ورحلوها ويتيمها إلى دمشق حيث تربى بعد ذلك في كنف أخواله الأكراد الأثرياء كما قيل عنهم .

وكان الحدث يومها قاسياً وأليماً على نفوس آل العنيبسي وعلى نفوس أهل مدينته ينبع إذ فقدوا رجلاً مثقفاً في زمن قل فيه المثقفون وكما قال لي بعض المعمرين في مدينة العقبة يوم زرتها في عام ١٣٨٠هـ: أن دار العنيبسي رحمه الله في مدينتهم كانت أحد المنتديات الثقافية إذ كان أديباً ألمعياً وكان متمكناً ولقرب العقبة من مصر كان يرحل دائماً بحثاً عن الثقافة وكانت تربطه علاقة صداقة وطيدة بالأدباء من أسرة المويلحي في مصر والذين يعودون بأصلهم تاريخياً إلى قرية المويلح ورحل قسم منهم إلى مصر في عهد محمد علي باشا . ومن أشهر أعلام هذه الأسرة إبراهيم وعبدالسلام ومحمد المويلحي .

وكان الكثير من آل العنيبسي يعملون مرشدين للبواخر في ميناء ينبع ، وكان البعض منهم يعملون ربابنة في السفن التي كانت تبحر بين موانئ البحر الأحمر ونال الشرف آل العنيبسي في عام ١٣٧٥هـ يوم زار

جلالة الملك سعود رحمه الله مدينة ينبع واحتفت به أكثر الطوائف وكان من بينها رجال البحر وعلى مقربة من الشاطئ داخل ميناء ينبع اصطفت عدة سفن زينت بالسجاد والأعلام وتوسطت هذه السفن مركب جميل وضع عليها لوحة كبيرة كتب عليها مديرية ميناء ينبع ترحب بالعاهل العظيم وأراد الملك سعود أن يشارك رجال البحر فرحتهم بمقدمه إليهم فصعد إلى السفينة «سلامة» العائدة لآل العنيبسي وجلس بها بعض الوقت على الأريكة الفاخرة التي زينت بالسجاد وتناول القهوة العربية فيها والبحارة يقرعون طبول فرحتهم «بلعبة العجل» وكان من كبار المرشدين في ميناء ينبع محمد مصطفى عنيبسي رحمه الله وخلفه في هذه المهنة ابنه حامد.

ومن العاملين في الخطوط السعودية في مدينة جدة في وقتنا الحاضر من آل العنيبسي الأستاذ مدني وعبدالإله وناصر وحامد.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع المثقفين في زمانه لكن لم يمهله القدر ليعطيها من ثقافته ومجهوده ويأخذ مكانته في مجتمعه، إنه الخال محمد حامد العنيبسي.

***

الشيخ عبدالله محسن زارع

الشيخ عبدالله محسن زارع كان واحداً من الرجال النابهين الذين عرفتهم في بلادي ينبع وكان عيناً من عيونها البارزين ورجلاً من الذين قدموا لها خدمات جليلة تقلد عدة وظائف في العهود السابقة عمل رئيساً لبلديتها في هذا العهد السعودي الزاهر، وأصلح، وعمر، وشذب، بكل تفان وإخلاص. وبقدر ما أتاحت له حياة تلك الفترة من إمكانات إلى جانب رئاسة البلدية. كان يشارك وفد بلاده في المناسبات إلى جلالة الملك عبدالعزيز والملك سعود رحمهما الله، وكان رئيساً للمجلس البلدي في أكثر من مرة وكان أول رئيس لهيئة الزراعة في ينبع قبل أن تنتشر الوحدات الزراعية في بلادنا، وكان ذلك في مطلع عام ١٣٦٩هـ، وعملت معه فترة من الزمن كانت من أجمل فترات الحياة وأعذبها، إذ تعلمت من ذلك الرجل الشيء الكثير في هذه الحياة من تجاربه الواسعة، كان رحمه الله يدرك من تاريخ الأولين السابقين الشيء الذي لا نعرفه نحن أبناء هذا العصر، لم تتح له الحياة الدراسة العالية، إذ درس في العهد العثماني في المدينة المنورة بقدر ما أتيح له من دراسة إلى جانب دراسته في حلقات المسجد النبوي الشريف.

كان هذا الرجل رافداً من الروافد الثقافية، ثقف نفسه بنفسه وكان له صبر وجلد على القراءة والإطلاع، كان يحرص كل الحرص على اقتناء المجلات الدورية والتاريخية والأدبية التي كانت تصدر في الخمسينيات والستينيات، مثل مجلة المقطم والكاتب والرسالة والرواية ومجلة الهلال، إذا جلست معه يحدثك في جوانب عديدة من ثنايا التاريخ في الماضي

والحاضر، وما سألته في يوم من الأيام في جانب من جوانب الحياة القديمة في المدينة المنورة أو ينبع أو مكة أو جدة أو الطائف إلا وتجد عنده الإجابة الشاملة النافعة المتصفة بالحرص والدقة والتوقيت الزمني، لقد جاوز هذا الرجل التسعين عاماً ونيفاً ومازال يتمتع بذاكرة قوية، إذا زرته أو قابلته في مناسبة من المناسبات يحدثك حديث الواعي المتأني، فيقول مثلاً في يوم كذا وفي الشهر كذا والعام كذا حدث كذا، كان مرجعاً من المراجع الهامة، وأنا أحد الناس الذين استفادوا منه في معرفة الكثير من الأحداث خلال معاصرتي له، كم كنت أتمنى أن أقضي معه أياماً أكثر قبل رحيله من الحياة لأدوّن ما تختزنه ذاكرته من أحداث الماضي، ولكن زحمة الحياة كثيراً ما تحول بين الإنسان ورغباته ولعل ذكريات هذا الرجل تذكرني بزاوية أخي الصديق الأستاذ محمد الوعيل في جريدتنا الجزيرة التي يستضيف فيها بعض المخضرمين فيرصدون فيها الماضي بمتاعبه وحلاوته وعذوبته يتركون لنا مرجعاً نعود إليه إذا ما عنت الحاجة إليه وأنا أحد الناس الذين يحرصون على قراءة تلك الزاوية وجمعها أولاً بأول لتظل مصدراً ومرجعاً لي.

وما يعاب علينا نحن أبناء اليوم أننا أهملنا الثروة من شيوخنا المعمرين والمعاصرين، ولم ندون ما تحفل به حياتهم، ولا نتذكر ذلك إلا حين يرحلون فنأسىٰ على ما فاتنا.

لقد رحل الشيخ عبدالله محسن زارع من هذه الحياة بالمدينة المنورة، ورحلت معه ذكرياته بعد أن ترك الأثر الطيب بين محبيه ومعارفه، بحق لقد عرفت هذا الرجل فعرفت فيه الزهد والتقوى والصلاح والعبادة التي لا تنقطع رحمك الله يا أبا محسن فأنت واحد من الذين عرفتهم فعرفت فيهم السجايا الحميدة، فقد لاقيت ربك بعد أن حفلت حياتك

بالأعمال الجليلة لخدمة بلادك وأعمالك الصالحة، فليرحمك الله ولتهطل عليك شآبيب الرحمة والمغفرة.

وقد خلف عبدالله محسن العديد من الأولاد النافعين وكان أكبرهم الأستاذ محسن زارع رحمه الله وكان أستاذاً لأجيال عديدة بمدرسة ينبع البحر الأميرية، وتولى إدارة مدرسة ينبع لعدة سنوات، كان إدارياً حازماً يشهد له بالتقوى والصلاح، ومن أنجاله الشيخ علي زارع مهندس بالديوان الملكي، ومحمد رجل أعمال في المنطقة الشرقية، وحسن رجل أعمال في جدة، وكان من موظفي البرق والبريد، والأستاذ عبدالعزيز وعبدالرحمن رجال أعمال في مدينة جدة في الوقت الحاضر، وعبدالكريم وعبدالجليل يعملان في المدينة المنورة.

كانت هذه سيرة عطرة لواحدٍ من رجال ينبع وأعيانها، إنه الشيخ عبدالله محسن زارع.

***

حمد بن عبدالعزيز العيسى

أسرة العيسى من الأسر العريقة في قلب نجد وموطنها مدينة شقراء، وتعود بنسبها إلى بني زيد. وبنو زيد قبيلة عربية فأكثر مؤرخي الأنساب يلحقونها بقضاعة.

وأسرة العيسى أسرة علم ومن مشاهير علمائها:

١- الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى وكانت وفاته عام ١٢٣٣هـ وكما قالوا عنه: الفقيه المتبحر.

٢- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى وله العديد من المؤلفات وكان شاعراً مبدعاً.. توفي عام ١٣٢٧هـ.

٣- الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى وله مؤلفات عدة وهو مؤلف تاريخ نجد وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد وغيرها.

٤- الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى.. كان شاعراً مبدعاً.. توفي عام ١٣٥٠هـ.

٥- الشيخ محمد بن علي البيز بن عيسى والذي عاصرناه في زماننا هذا والذي تولى قضاء الطائف ومن ثم قضاء جدة فعرفنا فيه التقى والصلاح والأخلاق الفاضلة، توفي رحمه الله بمدينة الرياض في ربيع الثاني ١٣٩٢هـ، وقد خلف مكتبة فيها الكثير من المخطوطات النادرة.

ومن أراد أن يقف على الكثير عن هؤلاء العلماء الذين أشرنا إليهم

وغيرهم من علماء العيسى فليعد إلى كتاب «الدرر النفيسة عن العلماء والفقهاء والقضاة من أسرة آل عيسى».

ومن هذه الأسرة العريقة التي كان لها دور واسع في نشر العلم في منطقة نجد في عصور متفاوتة: الشيخ حمد بن عبدالعزيز العيسى: ولد في مدينة شقراء عام ١٢٩٧ـ وتلقى الدراسة على يد الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف، وتعلم القراءة والكتابة وأمور الدين وعين في بلدته شقراء في شئون الخاصة الملكية، وكان رحمه الله واحداً من رجال الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، إذ خاض معركة فتح جدة مع الملك فيصل رحمه الله وحضر تسليمها يوم ذاك من قائم مقامها الشيخ عبدالله رضا رحمه الله وخاض مع الملك فيصل حرب اليمن، ثم عاد إلى الطائف فأصدر المغفور له الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه أمره بتعيينه أميراً على مدينة ينبع في ١ رجب عام ١٣٥٣هـ وقضى في ينبع سبعة وعشرين عاماً.

إذ أصبح واحداً من أهلها وارتبط بهم ارتباطاً وثيقاً، وأصبح له العديد من الأصدقاء والمحبين في الينبعين نخلها وبحرها ولولا ظروف خاصة لما غادر ينبع في أواخر حياته رحمه الله ـ وقدم معه إلى ينبع أولاده: محمد، عبدالعزيز، عبدالله إذ كانوا في سن الطفولة يومها.

أما ابنه أحمد فكان عمره يوم ذاك عاماً واحداً، وعبدالرحمن وصالح ولدا في ينبع، وجميعهم تلقوا العلم في مدرسة ينبع الأميرية وكما قال لي الابن الأكبر صديقنا الشيخ محمد العيسى أنه كان لهم مدرس خاص هو الأستاذ جميل معيلف رحمه الله.[1]

ومازالوا يعتبرون أنفسهم من أهالي مدينة ينبع وتربطهم بأهلها وشائج قوية حتى وقتنا الحاضر، ولا يترددون دائماً عن زيارة أصدقائهم فيها

---

(١) جميل معيلف: من أول المدرسين في مدرسة ينبع، وهو من أهلها.

إذ كان الرابط القوي هو سنوات العشرة الطويلة . وقد قام الشيخ محمد العيسى وكيلاً لوالده في أمارة ينبع أكثر من مرة وكذلك الأبناء عبدالعزيز وأحمد قاما بوكالة إمارة ينبع لمرات عديدة في اجازات والدهم .

وتأمر حمد بن عبدالعزيز العيسى على مدينة ينبع يوم كانت في أوج مجدها التجاري مع الداخل والخارج، واستقبل بها العديد من الشخصيات الوافدة إلى الحجاز عن طريق ميناء ينبع ، إذ استقبل عَلَم المال والاقتصاد المصري طلعت حرب باشا ، وأصبحت بينهما صداقة ورسائل متبادلة . كما ترأس وفداً كبيراً من شيوخ ينبع وأعيانها في عام ١٣٦٥هـ لاستقبال المغفور له الملك عبدالعزيز في مدينة رابغ ، وهو قادم إلى ينبع للقاء الملك فاروق ملك مصر السابق في خليج رضوي بينبع ، وأقام لجلالته حفل توديع كبرى داخل مدينة ينبع في دار الوجيه الشيخ مصطفى سبيه شيخ تجار ينبع رحمه الله ، واستقبل الملك سعود أثناء زيارته لمدينة ينبع في شهر صفر عام ١٣٧٥هـ .

ودع حمد العيسى في أواخر حياته مدينة ينبع لظروف خاصة وكان الوداع شاقاً على نفسه لحبه لتلك المدينة التي قضى بها جل حياته وكان الوداع شاقاً على نفوس أهلها إذ ودعوا رجلاً أقام بينهم وأصبح واحداً منهم بعد أن ترك في ينبع تاريخاً طويلاً واسعاً في كافة الجوانب .

كان حمد العيسى رحمه الله هادئ الطبع ، على خلق رفيع ، لين الجانب ، باشّا ، كثيراً ما يأخذ الأمور بالهدوء والروية والحكمة .

كانت هذه سيرة لواحدة من خيرة أمراء ينبع فليرحمه الله .

* * *

القاضي حامد بن عبدالله القاري

حامد القاري من أهالي مكة المكرمة، ومن أسرة علم وشريعة، ولد بمكة عام ١٣١٤هـ وظل يتدرج في مدارج التعليم والتثقيف في ميادين العلم المختلفة على أيدي كبار علماء مكة المشهورين والذين كانت تضمهم المدرسة الصولوتية «الجامعة» وكان منهم والده الشيخ عبدالله القاري المقرئ الشهير وأستاذ علم القرآن في المدرسة والشيخ عبدالرحمن أحمد دهان والعلامة الشيخ مشتاق أحمد الكارفوري والعلامة المفتي عبداللطيف ومؤرخ مكة الشهير الشيخ عبدالله غازي والشيخ عيسى رواس وشقيقه الأكبر الشيخ أحمد القاري والشيخ أحمد ناضرين والخطاط الشهير السيد محمد مرزوقي الكتبي، وغيرهم من أساتذة الصولوتية وعلماء ومدرسي المسجد الحرام، وقد نال شيخنا القاري شهادات تقدير وتحصيل، وأجازته مدرسة الحرم المكي الشريف في العهد العثماني بالتدريس في المسجد الحرام عام ١٣٣٢هـ وظل يدرس به لسنوات عدة، كما قام بالتدريس في المدرسة الصولوتية التي تخرج منها، كما درس في المدرسة الراقية، وقد تم تعيينه قاضياً لمدينة ينبع البحر في العهود السابقة من عام ١٢٩٩هـ إلى عام ١٣٤٣هـ وندرك من خلال ترجمة الشقيق الأكبر لشيخنا حامد القاري وهو محمود القاري أنه عمل معاوناً لمدير مدرسة ينبع التحضيرية عام ١٣٤٠هـ وبعد عام من تعيينه بها أصبح مديراً لها واستمر في هذا حتى عام ١٣٤٢هـ حيث انتقل إلى جدة فعين مساعداً لمدير المدرسة الابتدائية ويتبين لنا أنه كان بمدينة ينبع مدرسة تحضيرية في العهود السابقة، ولعل أول مدرسة ابتدائية فتحت في مدينة ينبع في هذا العهد في عام ١٣٤٤هـ وكان مديرها من أهلها الأستاذ أحمد أبو بكر أبو طالب

من آل زارع ودفعت الظروف بشيخنا القاري إلى الترحال فجال في بلاد الهند وأندونيسيا وسنغافورة حيث درس هناك في بروناي حيث عين مديراً للمدرسة الإسلامية هناك وعاد إلى أرض الوطن مكة المكرمة عام ١٣٥٨هـ ليعود إلى الخدمة بكل كفاءة وجدارة فعين مدرساً في مدرسة تحضير البعثات ثم معاوناً لقاضي الطائف وكاتب عدل بها سنة ١٣٥٩هـ وقاضياً بالقنفذة من ١٣٦٤هـ، وتعود به الحياة بمشيئة الله قاضياً لمدينة ينبع البحر من عام ١٣٦٦هـ إلى عام ١٣٨٥هـ فانصهر في مجتمع مدينة ينبع في خلال تلك السنين الطويلة وأصبح واحداً من أهلها حيث كان يشارك في الحياة العامة فيها إلى جانب القضاء إذ نجده يترأس الإشراف على المهرجانات الأدبية والثقافية التي كانت تقام في مدينة ينبع بالمناسبات.

لقد أصبح لشيخنا في ينبع البحر والنخل العديد من الأصدقاء والمحبين عرفوا شيخنا حامد القاري فعرفوا فيه الروح الطيبة والأخلاق الدمثة وحبه للناس وحب الناس له، تجد فيه الدعابة والحديث العذب ودفعت به إقامته الطويلة في مدينة ينبع أن يتصاهر مع أهلها فتزوج من أحدى الأسر الكبيرة وهي أسرة آل زارع وغادر شيخنا حامد القاري مدينة ينبع بعد أن ترك فيها تاريخاً طويلاً حافلاً بالعمل والذكريات التي لا تنسى وسيخلدها له التاريخ في القضاء الينبعي وأقام في أواخر حياته في مدينة مكة ولكن نشاطه الثقافي والفكري والتعليمي لم يتوقف بعد أن أحيل إلى التقاعد يقول ماجد مسعود رحمه الله في مقالة وفيات الأعيان في مجلة المنهل العدد الرابع السنة الثانية والأربعون «كان رحمه الله محبوباً لدى جميع الطبقات لحسن أخلاقه وجميل صفاته فكان يزوره الكثيرون ويستفتونه ويراجعونه في حل مشكلاتهم وكنت أزور فضيلة الشيخ حامد في داره بزقاق النجارين بالمسفلة فأستفيد من معلوماته وحديثه العذب».

وقد اخترم الموت شيخنا القاري مساء الثالث من ربيع الأول عام ١٣٩٦هـ بعد أن ترك صفحات ناصعة في تاريخ العلم والأدب والقضاء في بلادنا وقد انجب من الأولاد الذكور من يشغلون وظائف علمية وحكومية ومنهم الأستاذ محمد قاري والذي ولد في مدينة ينبع عام ١٣٤٠هـ وتلقى تعليمه في مكة وعمل رئيساً لكتاب محكمة ينبع لمدة عشرين عاماً ويعمل موظفاً للمحكمة الشرعية بمكة في وقتنا الحاضر ومتخصص في جداول المناسخات في علم الفرائض كما يعمل مأذوناً شرعياً وهو أكبر أنجاله، ومن أنجاله الأستاذ شاكر وعبدالباري.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال العلم والثقافة والقضاء، لقد عاش في مدينة ينبع اثنين وعشرين عاماً خلد فيها الأثر الطيب والذكر الحسن، إنه شيخنا الجليل رحمه الله حامد بن عبدالله القاري.

***

محمد محمود عبدالواحد

كان محمد محمود عبدالواحد الأنصاري واحداً من أبناء ينبع، إذ ولد فيها وتعلم في كتاتيبها قدر ما أتاح له زمانه من علم، ودخل الحياة العملية إذ تشير الوثائق التي بين أيدينا أنه أصبح رئيساً لبلدية ينبع من عام ١٣٤٦هـ حتى اخترمه الموت في بداية الستينيات، يومها أمر نائب جلالة الملك المعظم بالحجاز الملك فيصل طيب الله ثراه بتعيين الشيخ مصطفى الخطيب قائم مقام المدينة وعضو مجلس الشورى المتقاعد رئيساً لبلدية ينبع من بعده.

محمد محمود عبدالواحد بقلة امكانات زمانه استطاع يرحمه الله أن يسير ببلدية ينبع قدماً، إذ وفر للمدينة اضاءة شوارعها بالكلوبات أي بالأتاريك، كما أوجد عربات مخصصة بعمالها لنظافة المدينة، وأوجد الرقابة الشديدة على نظافة الخضروات والمأكولات واللحوم المباعة في أسواق المدينة، كان نشيطاً في عمله إذ يغشى أسواق المدينة ويجوب الشوارع يراقب كل شيء بنفسه، كان لا يجامل بل يضع الأمور في نصابها، إذا كانت هناك مخالفات فردية تمس أوضاع المدينة وكان للبلدية مجلس له أعضاء ينتخبون من قبل أهالي البلاد إذ كان يحرص على نزاهة تلك الانتخابات، ولا يتهاون مع المقصر في جهاز إدارته، وكان كثيراً ما يشاهده الناس وهو يجوب الشوارع راجلاً يتفقد نظافتها، أو يبصرونه يجوب الأسواق مع مراقبي البلدية الذين يزنون الخبز للتأكد من الوزن الصحيح، كان ينصرف من البلدية بعد الظهر ويعود إليها بعد صلاة العصر لمزاولة العمل، ويحرص أن يكون جهاز البلدية متواجداً في تلك

الفترة ليسهل خدمة المواطنين، وكانت البلدية في مدينة ينبع تشرف على إحياء المهرجانات الوطنية ونصب السرادقات العامة ويحرص أن يكون متواجداً بنفسه للاشراف على ذلك.

كان يرحمه الله رجلاً تقياً صالحاً لا ينقطع عن ارتياد المساجد، وكنت أبصره دائماً يؤدي صلاة المغرب في مسجد الشاذلية، ومن ثم ينصرف إلى داره، كان يرحمه الله طيب المعشر نقي القلب صريحاً لا يعرف المجاملة في سبيل المصلحة العامة، ويرفض الوساطة إلا إذا كانت في سبيل المصلحة العامة، وكان شقيقه حمزة عبدالواحد أحد فقهاء مدينة ينبع، وكان مسئولاً عن تخزين بترول الدولة في ينبع يوم كانت لا توجد محطات وقود في بلادنا، وكان موضع التخزين في مستودعات في أطراف المدينة «تسمى بالزيتية».

كان يرحمه الله رجلاً تقياً صالحاً متفقهاً في أمور الدين، وقد طلب العلم على يد عالم ينبع الكبير الشيخ حامد القباني يرحمه الله، وقد انجب حمزة عبدالواحد حسن عبدالواحد الذي كان أول مدرس بقرية السويق بينبع النخل، كما أنجب عبدالرحمن وصديق من خيرة الشباب، ولقد عاشرت هذا الرجل فعرفت فيه صفاء النفس وحبه لعمل الخير، وقد أنجب محمد محمود عبدالواحد رئيس بلدية ينبع يرحمه الله عليثة وسعادة الأستاذ المربي الكبير سعد عبدالواحد مدير التعليم في وقتنا الحاضر بمنطقة الطائف وعبدالعزيز عبدالواحد الملحق الثقافي بوزارة المعارف.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع الذين خدموا بلادهم ودولتهم فتركوا السيرة العطرة، إنه محمد محمود عبدالواحد الأنصاري.

***

الشيخ أحمد عبدالغفار بن علي الأنصاري الخزرجي

أسرة آل عبدالغفار من الأسر العريقة في مدينة ينبع وتعود هي وأسرة آل عبدالقادر وآل عبدالواحد، وآل زين الدين وآل صدقه حمدان، وآل القفطي إلى جد واحد وهو نجم الدين زين الدين الخزرجي الأنصاري من المدينة المنورة، وكانت له ولأولاده تجارة واسعة بين موانئ البحر الأحمر بالحجاز ومصر والسودان، وكان من أشهر أسرة آل عبدالغفار في هذا العصر الشيخ «أحمد» أحد فقهاء مدينة ينبع، إذ كان إماماً وخطيباً بالجامع الكبير في ينبع وهو جامع ابن عطاء على سيف بحر ينبع بالقرب من الميناء القديم، كان رحمه الله على جانب كبير من التقوى والصلاح، وأسرة بن عطاء هي أسرة حسنية كما هو ثابت في الوثائق الشرعية التي بين أيدينا وينتسب المسجد إليها، وقد هدم في عام ١٣٨٥هـ بحكم توسعة ميناء ينبع.

وقد رحل الشيخ أحمد عبدالغفار إلى جوار ربه بعد أن تولى إمامة وخطابة المسجد الكبير سنين عديدة واخترمه الموت في السبعينيات الهجرية ويشهد له أهل بلاده بالتقوى والصلاح إذ كان كثيراً ما يقضي أيامه في خلوة بهذا المسجد عابداً متقرباً متبتلاً إلى الله كما يشهد للعديد من أفراد هذه الأسرة بالتقوى والصلاح والاستقامة ومن هذه الأسرة في هذا العصر الشيخ محمود عبدالغفار رحمه الله والذي هاجر من مدينة ينبع حينما كسدت الحياة فيها إبان الحرب العالمية الثانية وأقام بمدينة جدة وكانت له تجارة في أحد الأحواش الكبيرة وهو حوش أبو اليسر.

ومن أنجاله اليوم عواد محمود عبدالغفار مدير جمرك ينبع سابقاً

والأستاذ منصور عبدالغفار مدير عام مصلحة الزكاة والدخل حالياً، والذي كان يشغل قبل ذلك مساعد مدير مصلحة الجمارك، وأحمد وعبدالله عبدالغفار الموظفان في وزارة البترول والثروة المعدنية، ومن أشقاء محمود عبدالغفار سعد ومسعود وسليمان رحمهم الله جميعاً، وكان من آل عبدالغفار علي عبدالغفار الذي عمل عضواً في المجلس البلدي في ينبع أكثر من مرة ورحل في أواخر حياته إلى المدينة المنورة، واخترمه الموت فيها، وكان من آل عبدالقادر في هذا العصر التاجر المعروف بمدينة ينبع محمد حامد عبدالقادر الذي انتقل بتجارته إلى المدينة في نهاية السبعينيات واخترمه الموت فيها، وكان من أكبر أنجاله الأستاذ حامد أحد موظفي إمارة المدينة سابقاً ـ رحمه الله ـ.

كذلك من هذه الأسرة الأستاذ حامد حسن عبدالقادر الذي كان مديراً لإدارة الموظفين بمديرية التعليم بالمدينة، ومن رجال آل عبدالواحد في هذا العصر محمد محمود عبدالواحد الذي كان رئيساً لبلدية ينبع وهو والد الأستاذ سعد عبدالواحد مدير التعليم في منطقة الطائف وشقيقه عبدالعزيز عبدالواحد الملحق الثقافي بوزارة المعارف.

وكان من آل عبدالواحد حمزة عبدالواحد من فقهاء ينبع وهو شقيق محمد محمود عبدالواحد وقد انجب من الأولاد حسن وعبدالرحمن وصديق، ومن آل حمدان في هذا العصر الأستاذ الأديب حمدان صدقه حمدان والأستاذ محمد محمود حمدان الذي كان مديراً للأحوال المدينة في ينبع.

ومن أسرة القفطي الشاعر حسن عبدالرحيم القفطي الذي فرضت التجارة بجدة أن يرحل إلى صعيد مصر واستقر بالقصير فأصبح شيخ تجارها وفيها تعلم ابنه حسن في مدارسها بعث به ليساعد أخاه الأكبر

في التجارة في ينبع وهناك اتصل بالأستاذ زارع ابن والي ينبع إبراهيم باشا آل عواد أحد أصدقاء والده فتوثقت عرى الصداقة بينهما وتعلما العروض على يد أحد علماء ينبع وهو الشيخ سالم باسودان وأصبحا شاعرين مجيدين وقد عين القفطي سكرتيراً لولاية ينبع لمدة عشر سنوات وفي أواخر حياته غادر ينبع لزيارة أهله الذين استقروا في قفط من صعيد مصر والذين هجروا القصير لضياع أهميتها التجارية بعد فتح قناة السويس وفي هذه الفترة مات والده فرفض اخوته عودته إلى ينبع وفي عام ١٣٢١هـ اخترمه الموت .

كانت هذه سيرة الشيخ أحمد عبدالغفار الذي كان لأهالي مدينة ينبع فيه محبة إذ قضى كل حياته في العبادة والتلاوة وذكر الله ، كان رحمه الله لا يحب المجتمعات والأسواق .

كانت هذه سيرة عطرة لإمام وخطيب وفقيه من أسرة آل عبدالغفار العريقة في ينبع .

***

الأستاذ أحمد العربي

أسرة العربي هي من أشراف ينبع وتعود بنسبها إلى جدها محمد الأصغر الملقب «بالعربي» وهو من أبناء موسى الثاني ابن عبدالله بن موسى بن الحسن المثني بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو جد الأشراف ذوي هجار جميعاً بينبع.

وانتقلت أسرة العربي من ينبع النخل إلى المدينة المنورة في بداية القرن الرابع عشر واستقرت بها وكان من أبرز رجالها في هذا العصر أستاذنا الأديب الشاعر/ الدرعمي[1] أحمد العربي، ولد بالمدينة المنورة ونال العلوم الأولية فيها وفي عام ١٣٤٧هـ وفي بداية هذا العهد سافر في أول بعثة علمية إلى مصر وكانت تضم الأستاذ ولي الدين أسعد والأستاذ محمد شطا والأستاذ أحمد القاضي والأستاذ عمر نصيف، ودلف إلى مدرسة دار العلوم العليا في مصر فنال شهادتها العالية وعاد إلى المملكة وعُين أستاذاً في المعهد العلمي السعودي، ثم نقل إلى الرياض مديراً لمدرسة الأمراء، ثم عين مديراً لمدرسة تحضير البعثات التي انجبت العديد من العلماء والأدباء بمكة المكرمة، ولعلني أقول هنا عن أديبنا الفاضل وأستاذ الجيل المربي الكبير أستاذنا أحمد العربي ما قاله الأستاذ محمد حسين زيدان رحمه الله: «إن مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة كانت به وكان لها وأنها كانت الفاتحة لعهد المدارس والجامعات في هذا الكيان الكبير».

ثم عُين عضواً في مجلس الشورى ويطرب أستاذنا أحمد العربي أطال

---

(١) درعمي: نسبة إلى دار العلوم بجمهورية مصر الشقيقة.

الله في عمره كثيراً إذا ما ذكر له موطن جدوده بينبع إذ أهديت له نسخة من مؤلفي تاريخ ينبع فأجابني برسالة مطولة لعلني أعتبرها من الوثائق التي اعتز بها، وأطل هنا على بعض فقراتها إذ يقول فيها «لقد سعدت بلقائك ولقاء تلك النخبة الممتازة من أدبائنا النابغين في منزل الابن محمد العربي ثم في ندوة أديبنا الكبير الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي بارك الله فيه وجزاه الله خيراً عما حباني من تكريم وإطراء لا استحقه»، إلى أن يقول: «وقد اغتبطت كثيراً بالتعرف بك وبما أثمره هذا اللقاء من تجديد وشائج القربى التي تربطنا بموطن الأجداد الأمجاد بلاد ينبع العريقة والمجد والسؤدد وضاعف من اغتباطي أن ألتقي في شخصك الماجد بأديب ألمعي جلى ببحثه وجده صفحات مشرقة من تاريخ ينبع العريق وأدبها الرائع».

هذا بعض ما قاله الأستاذ أحمد العربي في رسالته المطولة فشكراً جزيلاً على الإطراء الذي لا أستحقه ولكن تأبى مكارمه إلا أن تضعني في موضع لم أرق إليه بعد في دنيا الأدب والبحث فجزاه الله خير الجزاء. ولقد أنجب الأستاذ أحمد العربي العديد من الأولاد النافعين منهم رجل الأعمال الأستاذ محمد العربي ورجل الأعمال الدكتور نزار العربي.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أدبائنا وشعرائنا الذين يعودون بجذورهم الأصلية إلى مدينة ينبع، إنه أستاذنا الكبير وشاعرنا المخضرم الأستاذ أحمد العربي أطال الله في عمره.

***

عودة بن زويد

كان عودة بن زويد واحداً من أعيان ينبع ومن رجالها المعروفين، وكان شيخ فخذ عشيرته الزوائدة من جهينة، وكانوا يقطنون قرية المبارك المتاخمة لقرية البركة، وهاتان القريتان هما من بقايا منطقة العشيرة إذ كانت عامرة بعيونها الجارية وبساتينها الناضرة حتى نهاية السبعينيات الهجرية وكان من ملاك وسكان تلكما القريتين آل جبر الخطيب الزوائدة آل الزمعي آل الطوري آل جريد آل عاتق الكبيدات العقب من جهينة، وتعتبر منطقة العشيرة منطقة تاريخية إذ وقعت فيها الغزوة النبوية التي سميت باسمها إذ قال ابن إسحاق: «في اثنين جمادى الأولى من السنة الثانية من الهجرة غزا النبي ﷺ قريشاً حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة وودع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة»[١].

والمعروف تاريخياً أن سيد البشرية ﷺ أسس مسجداً في العشيرة إذ كان معروفاً إلى عهد قريب في هذه المنطقة وكان عودة بن زويد يرحمه الله يملك بعض الدور في مدينة ينبع البحر إذ كان من سكان المدينتين وكانت داره في قرية المبارك من الدور المشرعة الأبواب إذ كانت تستقبل الوافدين إليه، كان كريماً جواداً، وكما قال عنه الأولون كان يقرى الضيف ويعين المحتاج ويساعد المظلوم وكان فارساً شجاعاً لا يهزم إذ عدّوه واحداً من فرسان العرب، تحدث عنه لورانس العرب في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» وأثنى على شجاعته في حرب الأتراك مع عرب

(١) بنو ضمرة: هم رهط عزة صاحبة الشاعر كثير.

الجزيرة إذ خاض أكثر من معركة فانتصر فيها وقد اخترمه الموت في بداية العهد السعودي الحالي في مدينة ينبع فحزن عليه أهل بلاده ولازالوا حتى اليوم يعددون مواقفه النبيلة وشجاعته المعروفة وسوف لا يهمله تاريخ بلاده ينبع ولازال له أحفاد يعيشون بين المدينتين ينبع النخل وينبع البحر .

وهكذا يظل التاريخ الصادق الأمين خير شاهد على الماضي إذ كان لعودة بن زويد تاريخ مشرق في الشهامة والمروءة والشجاعة .

***

محمد العبيسي

أسرة العبيسي من الأسر العريقة في مدينة ينبع انتقلت من ترمدا من قلب نجد إلى ينبع ، والأستاذ العبيسي نال من اطلاعه في الكتب الثقافية ما جعله يتحدث دائماً باللغة العربية الفصحى ، كان لين العريكة مرحاً صاحب نكتة ودعابة كانت لديه ملكة في الخطابة مرتجلاً وإذا جلست إليه تجده موسوعة في شتى صنوف الثقافة ويحدثك في الأدب العربي وفي التاريخ وفي السياسة ، كان صريحاً مع كل الناس حتى مع أصدقائه ومحبيه .

حدثنا رحمه الله أنه كان من الخارجين على الملك الحسين ، وأنه كان يرى في الحسين ضيق أفق إذ يكره أبناء البلاد العربية الأخرى ، ويحرم العلم والتعليم على أبناء الحجاز ، ويكره التطور الذي يسير مع العقيدة الإسلامية .

قال العبيسي رحمه الله عن الحسين في نهاية كل عام يبتز أموال التجار بحكم القرض ولا يوفيهم حقوقهم وكان غير قادر على تأمين الحجاز وأن الحجاج القادمين إليه كانوا يتعرضون للسلب والنهب والقتل . . وفيما قاله العبيسي عن تعنت الملك الحسين مع المواطنين أن أهالي مكة إذا رغبوا السفر إلى الطائف التمسوا موافقة الحسين . .

ونقل بعض الوشاة معارضته للحسين وقالوا له يقول فلان أنك لست بالرجل الكفء لحكم الحجاز فوعد الوشاة بالانتقام منه وما أن علم العبيسي بذلك الوعيد حتى ولى هارباً إلى السودان وأخذ ينشر هناك مقالاته المعارضة في الصحافة السودانية ويكشف عن حقائق تأخر البلاد

وتأخر العلم والثقافة واضطراب الأمن وبمرور الأيام عاد العبيسي إلى الحجاز وظفر به الحسين فأمر بادخاله سجن الجب المخيف تحت الأرض، وكما قال العبيسي أنه سجن خطير لاقى فيه الآلام والعذاب إذ كان لا يبصر الشمس في ذلك النفق المخيف الذي جمع العديد من أمثاله من المعارضين من رجال الحجاز وكما قال تضرر بصري بأسباب ذلك السجن، وكان العبيسي رحمه الله كلما تذكر أيامه الأليمة في سجن الجب يردد مطلع قصيدة الشاعر خير الدين الزركلي التي نظمها على إثر خروج الملك الحسين من الحجاز ويقول فيها:

صبر العظيم على العظيم	جبار زمزم والحطيم
ان القضاء إذا تسلط	ضاع فيه حجى الحكيم
الق السلام على الطلول	وحي شاخصة الرسوم
ودع قصور أبي نمى	لست فيها بالمقيم

إلى أن يقول:

اسمع أنين القبو	ويح القبو من حنق الكظيم
اعددت للأحرار فيه	عقاب منتقم ظلوم

وكان العبيسي شغوفاً بالأدب المصري والثقافة المصرية ويحرص على اقتناء الكتب التي تصدر في مصر لكبار الأدباء من أمثال طه حسين والرافعي والعقاد، وحينما جاء المازني في رحلته إلى الحجاز ونزل في مدينة ينبع في عام ١٣٤٨هـ حرص العبيسي على لقائه ودار بينهما حوار لطيف إذ قال العبيسي للمازني: إنني معجب بأدبك وقرأت لك صندوق الدنيا، فأشار المازني في رحلته إلى ذلك الحوار إذ يقول: «فغاظني ذلك وان كان قد سرني وقلت سأضعك فيه إن شاء الله بعد عودتي، فأقبل علي يرجو مني أن لا أفعل فقلت على شرط. قال ما هو؟

قلت أن تعفيني أنت واخوانك من ذكره وإلا حشرتكم فيه جميعاً. قال وهو يضحك ولكنه والله ممتع. قلت: وسيكون الجزء الثاني أمتع بوجودكم فامتقع وجهه واحسبه خاف أن أرسم له صورة تمسخه وتجعله أضحوكة فطمأنته وأكدت له أني أمزح، فسألني ـ وقد سكنت نفسه ـ ولكن لماذا تكره أن يذكر لك. فقلت له أن الذي يضحك منه هو الذي أبكاني واحسبني معذوراً إذ كنت أزهد في كل ما يذكرني بسر ما جرت به المقادير فإذا كنت تفهم هذا فبها ولله الحمد وإلا فأمسك».

وقد عمل الأستاذ العبيسي عضواً في المجلس البلدي في مدينة ينبع إلى جانب بعض التجارة المحدودة وحينما دارت الأيام دورتها ضعفت أحوال مدينة ينبع في عشر السنين من القرن الماضي كان ينادي ويطالب بعودة الحياة إلى مدينته. كان وطنياً صادقاً وسوف لا يهمله تاريخ ينبع.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع إذ اخترمه الموت في الثمانينيات الهجرية ولم يكن له عقب؛ فليرحمه الله.

***

الشيخ زكي عمر

كم من رجال ودعوا هذه الحياة بعد أن تركوا الأثر الطيب في خدمة وطنهم ودولتهم وتركوا السيرة العطرة لحسن مكارم أخلاقهم بحبهم للناس ومساعدتهم لهم .

كان الشيخ زكي عمر واحداً من أبناء ينبع من الذين تلقوا العلم في أول مدرسة فتحت فيها في عام ١٣٤٤هـ وبعد تخرجه من تلك المدرسة عين موظفاً في مالية ينبع ، ويقول أستاذنا حمد الجاسر في معرض حديثه عن مدينة ينبع في سوانح الذكريات في العدد ١٦٩ شهر صفر سنة ١٤١٢هـ :

والشيخ زكي عمر كان رئيس محاسبة ، وكان المدير محمد العثمان الناجم من أهل عنيزة ، وفي أحدى الليالي شعر أهالي مدينة ينبع بالبناية[١] الواقعة بقرب الميناء تشتعل فيها النيران وتنبعث منها طلقات الرصاص المخزن في أسفلها حتى احترقت البناية وما تحويه ، فتم ارسال هيئة للتحقيق يرأسها عباس قطان أمين العاصمة ، وفيها الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي والسيد حلمي كتبي من وزارة المالية ومدير شرطة ينبع فقررت الهيئة أن الحريق قضاء وقدر ، وأن ينتقل زكي عمر ومساعده محمد النجمي[٢] إلى عمل آخر وهو إدارة مالية الأحساء وجماركها فكان من أحد أصدقائه الذين لحقوا به الأستاذ محمد النحاس[٣] وعبدالعزيز ابن عبدالله بن رشيد من أهل الشقة وكان مديرًا لخفر السواحل في ينبع

---

(١) البناية : هي مالية ينبع القديمة .

(٢) محمد النجمي : كان من الملاك في قرية البركة بينبع النخل وله بستان الهزاعية والنجمية .

(٣) محمد النحاس : كان مدير مدرسة ينبع .

ثم في المنطقة الشرقية .

ونحن نقول وإن امتحن الشيخ زكي عمر في ذلك الحدث وثبتت براءته إذ استقبل الحياة بإيمان قوي وروح عالية وانطلق ليعمل في هذه الدولة ـ كما كان بكفاءة .

وقد عين مديراً عاماً للجمارك في المنطقة الشرقية وأشرف على كافة تأسيس جمارك مدنها وحقق أكثر من مشروع وساهم بقسط وافر في تشريع النظم الجمركية في المملكة فأخلص في أعماله طيلة السنين التي قضاها في المنطقة الشرقية التي تعتبر حديثة يوم ذاك . . كما حاز على ثقة الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ .

ولما كان ميناء جدة بحاجة إلى من يقوم بإدارة أعمال جماركه اختارته الدولة لمنصب الأمانة ، ولما توسعت أعمال الجمارك في جميع أنحاء المملكة وازداد عدد المديريات فيها صدر أمر سامٍ بتعيينه مفتشاً عاماً للجمارك فأخذ يدخل وينظم الشؤون الجمركية ثم عين مستشاراً لوزارة المالية برتبة وكيل وزارة .

كتب عنه رئيس تحرير جريدة «البلاد» السعودية سابقاً الأستاذ عبدالله عريف والتي كانت تصدر يوم ذاك بمكة المكرمة في أحد اعداد جريدته في السبعينيات الهجرية فوصفه بالذكاء والحكمة وقوة الارادة وقال إنه رجل من طراز فريد في الإدارة في بلادنا ، وقال : إن الحياة علمت هذا الرجل الشيء الكثير وعلمته كيف يتصرف بحكمة وروية لمعالجة الأمور المستعصية .

وفي منتصف الثمانينيات الهجرية تعرض لحادث أعجزه عن مواصلة العمل فرحل إلى مصر واستقر بها في أحد قصور الجيزة بالقاهرة إلى أن

توفاه الله عام ١٤٠٠هـ ونقل جثمانه إلى المملكة ودفن بالمدينة المنورة .

يتصف الشيخ زكي بدماثة الأخلاق، ترك أثرًا طيبًا في نفوس أصدقائه ومحبيه وأهالي بلاده لمواقفه النبيلة والشجاعة معهم .

كان قوي الشخصية واقعيًا تعرفت عليه في أواخر حياته حينما كان مقيمًا بالقاهرة وكنت أزوره تباعًا كلما ذهبت إلى مصر .

كان يلقى كل وافد إليه بالحب والترحاب وكانت داره في مصر تمثل أحد الصالونات الأدبية إذ كان يستقبل الأدباء والعلماء من أصدقائه ومحبيه، كان يجلس إليهم فيحدثهم ويناقشهم عن معرفة وإدراك وإن كان لم ينل الشهادات الكبيرة ولكنه نال العلم والمعرفة بالإطلاع والفطرة وممارسة الحياة التي عركها وعركته .

كان من رواد مجلسه صديقه فضيلة الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر سابقًا والدكتور عبدالحميد بخيت أستاذ التاريخ في جامعة القاهرة والشيخ أحمد الباقوري وزير الأوقاف سابقًا وأحد علماء مصر .

كان رحمه الله يطرب كثيرًا حينما يسمع ذكر مسقط رأسه بلاده ينبع ويسر كثيرًا إذا زاره أحد منها ويبادره بالاستفسار عن حاله وحال أسرته وحال أهالي بلاده .

كان على جانب عظيم من مكارم الأخلاق وحب الخير ومساعدة المحتاجين، كنت أجلس إليه مصغيًا فيحدثني عن أطيب ذكرياته في بلاده ينبع وعن أطيب ذكرياته في المنطقة الشرقية وعن أطيب ذكرياته حينما كان يزور الملك عبدالعزيز في مدينة الرياض وكيف أنه تعلم منه الشيء الكثير في تسيير الأعمال، وكان يتمتع بذاكرة قوية فيحدثك عن أسر بلاده فردًا فردًا وعن صلة قرابتهم ويحدثك بالشيء الكثير عن بادية

بلاده وتاريخها وماضيها .

لقد رحل الشيخ زكي عمر من هذه الحياة بعد أن ترك سيرة حسنة وعطرة بين كافة أصدقائه ومحبيه . . إنه واحد ليس من رجال ينبع فقط ، بل إنه كان واحداً من رجال هذا الكيان الكبير .

* * *

محمد نور رحيمي

آل الرحيمي من الأسر العريقة في مدينة ينبع ومن أشهر رجالها في هذا العصر الشيخ محمد نور بن ناصر بن فرج الرحيمي ولد في مدينة ينبع وتلقى التعليم فيها ثم دخل إلى الوظائف الحكومية ويعتبر محمد نور رحيمي واحداً من أبناء ينبع العصاميين الذين كافحوا وجاهدوا في دنيا العمل حتى أصبح واحداً من المرموقين في دنيا الأعمال الجمركية بوزارة المالية .

إذا جلست إلى هذا الرجل وأصغيت إليه يحدثك عن الماضي بحلوه ومره إذ كانت له تجربة واسعة في هذه الحياة. . يحدثك عن تاريخ الجمارك وكيف تم تأسيسها وفروعها في المنطقة الشرقية إذ كان أحد موظفيها بين العقير والجبيل، يحدثك عن قسوة الحياة وكيف كانت في الماضي وكيف كان الموظفون في تلك المناطق يواجهون متاعب الحياة لقلة الامكانات وشظف العيش يوم ذاك يقارن بين الماضي والحاضر ويقول لك كيف كنا وكيف أصبحنا وكيف تطور العمل الجمركي مع تطور العصر، كان واحداً من كبار موظفي الجمارك في المنطقة الشرقية ثم عين مديراً لمالية بلاده ينبع من عام ١٣٦٤هـ إلى عام ١٣٦٧هـ ثم عين مديرًا عامًا لديوان شئون الجمارك بوزارة المالية بمكة المكرمة إذ عمل مع أول وزير للمالية في عهد المغفور له الملك عبدالعزيز وهو الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله وفي عام ١٣٧٢ هجرية صدر مرسوم ملكي بتأسيس أول مديرية عامة للجمارك فعين مديرًا عامًا لها وقد بذل المجهود الكبير في تطوير الجمارك في كافة أنحاء المملكة وفي عهده صدرت أول تعريفة جمركية ومن ثم عين وكيل وزارة لشئون الجمارك وبعد أن أدى رسالته

كاملة طلب إحالته على التقاعد في أول التسعينيات الهجرية بعد أن خدم وطنه ودولته، ومن أكبر أنجال الشيخ محمود نور رحيمي الدكتور توفيق إذ يعمل في الوقت الحاضر بكلية الطب بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

ومن أشقاء الشيخ محمد نور رحيمي الأستاذ الأديب فرج رحيمي والد الدكتور مدني رحيمي وكان فرج رحيمي من موظفي وزارة الصحة بينبع كما عمل مراسلاً لجريدة «البلاد» السعودية في الستينيات الهجرية ثم انتقل إلى جدة وعمل في الجمارك وكان رحمه الله مرحاً لين العريكة يميل إلى الاطلاع والمعرفة ويناقش في كثير من الأمور، عرفته فعرفت فيه صفات الأديب إذ كان يبعث ببعض ما يكتب إلى صحفنا المحلية.

ومن أشقائه الأستاذ الأديب محمود رحيمي والذي تقلب في عدة مناصب، إذ رحل من ينبع شاباً إلى المنطقة الشرقية وعمل في جماركها، ثم عاد إلى ينبع وعمل في محلات آل الخريجي التجارية، ثم رحل إلى جدة وعمل مديرًا لمكتب وزير التجارة الشيخ محمد علي رضا يومذاك، ثم عين مديراً لشئون الحج في ينبع واستقر بها.

ومن أشقائه أيضاً أسعد رحيمي كان موظفاً بمديرية الجمارك بجدة وكذلك رجل الأعمال بجدة أحمد رحيمي وهو رجل موفق لأعمال الخير ـ رحمه الله ـ.

ويعتبر الشيخ محمد نور رحيمي واحداً من أبناء ينبع الذين يعتز بعصاميتهم وجهادهم وكفاحهم الواسع في هذه الحياة، وندعو له بطول العمر والبقاء، ويظل له تاريخ إذا ما ذكرت الجمارك وتأسيس فروعها في المنطقة الشرقية، ويظل له تاريخ إذا ما ذكرت ينبع لأنه مخلص ومحب لها، فليحفظه الله.

إبراهيم زارع

أسرة آل زارع من الأسر العربية العريقة الأصيلة في مدينة ينبع، وقد خلف حسين زارع العديد من الأولاد الذين كان لهم أثر في الحياة وهم: محمد، إبراهيم، علي، يحيى وعبدالله.

وكان من أبرز هؤلاء الأبناء الشيخ إبراهيم زارع في هذا العصر إذ ترك الأثر الطيب فيما قدم من انجازات نافعة لوطنه، إذ كان من الطلائع الأولى الذين أجادوا علم فن التلغراف إذ كان عدد الذين يجيدونه في ذلك الزمان يُعدون على الأصابع وكان واحدًا من ثلاثة في أول بعثة ابتعثت إلى بريطانيا من بلادنا لمعرفة المزيد من ذلك الفن والوقوف على أسراره العلمية، كان هو والأستاذ إبراهيم سلسلة والأستاذ محسون حسين رحمهم الله.

يقول الكاتب المصري الكبير إبراهيم عبدالقادر المازني يوم زار المملكة عام ١٣٤٨هـ ونزل في ينبع وزار إدارة التلغراف وشاهد إبراهيم زارع يعمل عليه قال: وقد شعرنا من أول لحظة أننا في بلاد مستقلة فلا أجنبي هناك ولا نفوذ ولا سلطان إلا لأبناء البلد وقد أبى زكي باشا إلا أن يرى هؤلاء العمال وهم يبعثون بتحياتنا إلى سمو الأمير فيصل في مكة كأن لم نكن نصدق أن لابسي العباءة والعقال يستطيعون أن يحسنوا ما يحسنه الأوروبيون من الأعمال الآلية على الأقل.

وتدرج إبراهيم زارع في الوظائف الحكومية إذ عمل مديرًا للأعمال اللاسلكية حتى أصبح في الثمانينيات الهجرية مديرًا عامًا للبرق والبريد بوزارة المواصلات وقد مثل بلاده في كثير من المؤتمرات اللاسلكية

والبريدية .

كان رحمه الله هادئ الطبع على جانب كبير من الأخلاق الرفيعة ولين العريكة عرفته فعرفت فيه حبه للناس وحب الناس له لا يتردد في مساعدة من يعرف ومن لا يعرف وقد حرص حينما كان يعمل مديرًا للأعمال اللاسلكية على فتح العديد من المدارس اللاسلكية في بعض مدن المملكة تدرب فيها الكثير من أبناء مكة المكرمة والمدينة والرياض وينبع والوجه وضباء وأفسح لهم أن يجيدوا ذلك الفن إذ انتشروا في طول البلاد وعرضها يخدمون وطنهم يوم كان علم التلغراف من العلوم الرفيعة لا يجيدها إلا الواعي اللبيب وقد قضى أكثر سنوات عمره في خدمة دولته وبلاده إذ نزل عليه المرض فجأة وهو يعمل بمكتبه بمدينة الرياض عام ١٣٨٩هـ ونقل إلى أحد المستشفيات للعلاج وتوفي بعد عدة أيام فليرحمه الله ، وقد أنجب من الأولاد الدكتور منير زارع رحمه الله والأستاذ محمد زارع والكابتن طيار عبدالعزيز زارع بالسلاح الملكي السعودي .

وكان شقيقه علي حسين زارع تلقى تعليمه في مدينة ينبع وعمل موظفًا بالمالية ثم وقع عليه الاختيار من الأسرة التجارية الكبيرة بالمدينة المنورة آل الخريجي ليدير تجارتهم في ينبع خلفاً للشيخ عبدالله الحركان رحمه الله .

وكان آل الخريجي هم المسئولون من قبل وزارة المالية إبان الحرب العالمية الثانية عن توزيع التموين الحكومي على الأهالي في كل من المدينة المنورة وينبع والمدن الشمالية فقام الشيخ علي حسين زارع بدور كبير في تلك المهمة إذ كان حريصًا كل الحرص أن يصل التموين إلى كافة الأهالي وقد بذل مجهودًا كبيرًا في مساعدة الفقراء والمحتاجين إذ كان يتعقب أحوال الأسر الفقيرة ولاسيما الشيوخ والأرامل والأيتام ويدفع لهم من ماله الخاص ، وكان إذا حل الشتاء القارس على مدينة ينبع يبحث عن

المحتاجين للكساء والغطاء ويساعدهم، ولهذا الرجل مواقف إنسانية لا ينساها أهالي بلاده.

وحينما شلت حركة الحياة في مدينة ينبع دخل الوظائف الحكومية فعمل مفتشاً بالمديرية العامة للجمارك بجدة ثم عين أمينًا لمنطقة الجمارك الجنوبية ثم أمينًا عامًا لمنطقة الحدود الشمالية حتى تقاعد واستقر في مدينة جدة وتوفي عام ١٤٠٥هـ.

كان رحمه الله محبوبًا بين الناس على جانب من سعة الحلم والأخلاق.

وقد خلف أبناء أفاضل منهم الأستاذ محمد زارع الذي كان يعمل مديرًا عامًا للحجز في مطار الرياض وسامي زارع رجل الأعمال في المنطقة الشرقية وناجي زارع كان واحداً من موظفي محكمة ينبع الشرعية وجعفر زارع من موظفي مطار جدة.

وكان الشقيق الثالث لإبراهيم وعلي حسين زارع أحمد زارع المكني «بسنده» تلقي تعليمه في المدينة المنورة قدم شابًا إلى ينبع فعمل بالإمارة وكان آخر مركز له مدير ديوان الإمارة بينبع وكان رحمه الله يتميز بأخلاقه الفاضلة وسعة الصدر ولين العريكة مرحًا له محبة عند كل معارفه يأخذ الأمور بالروية والحكمة، تقيًا صالحًا يسعى دائماً في عمل الخير.

كم كان هؤلاء الرجال المعاصرون على جانب من الشمائل الطيبة وكانت خدمته في الإمارة تزيد على نيف وأربعين عاماً إذ عمل مع العديد من الأمراء الذين تعاقبوا على مدينة ينبع وكان آخرهم والدنا الشيخ حمد بن عبدالعزيز العيسى رحمه الله الذي قضى في امارة ينبع أكثر من ثلاثين عامًا والذي كان يعتبر أحمد حسين زارع أخًا له قبل أن يكون مديرًا لديوان الإمارة إذ كان يقربه إليه ويستشيره في كثير من الأمور،

انتقل إلى جوار ربه فجأة في مدينة ينبع في عام ١٣٧٥هـ بعد أن خلف العديد من الأولاد النافعين ومنهم الأستاذ سمير وزهير اللذان كانا يعملان في إدارة البرق والبريد في المدينة المنورة وأصبحوا من سكانها.

وشقيقهم يحيى حسين زارع كان من موظفي الجمارك بالمنطقة الشرقية ثم أصبح مديرًا عامًا للتفتيش بوزارة المالية وقد توفي في مطلع عام ١٤١٠هـ ومن أكبر أنجاله الأستاذ فريد، وكذلك شقيقهم عبدالله حسين زارع كان من كبار موظفي الجمارك بالمنطقة الشرقية رحمه الله.

أما الشقيق الأكبر فهو محمد حسين زارع والذي كان يعمل إمامًا لجامع الخضر الكبير بمدينة ينبع وكان على جانب كبير من التقى والصلاح وكان من أكبر أنجاله حسين زارع الذي عمل مدير لاسلكي لعدد من المدن في المنطقة الوسطى والجنوبية وكذلك شقيقه أسعد زارع الذي كان يعمل نفس عمل أخيه.

هذه سيرة عطرة للشيخ إبراهيم زارع وأشقائه الميامين إذ كان واحداً من المؤسسين الأوائل في علم التلغراف حيث ترك الأثر الحسن بين معارفه وتلاميذه والأثر العملي لخدمة دولته ووطنه، إنه إبراهيم بن حسين زارع من ينبع رحمه الله رحمة الأبرار.

* * *

يوسف الخلاوي

أسرة الخلاوي من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكان أبرز رجالها في هذا العصر الشيخ محمود الخلاوي الذي كان شيخ طائفة العمال بمدينة ينبع وكان واحداً من المعاصرين لعهود عديدة إذ حدثنا رحمه الله أنه شهد تشييد بناء سور ينبع عام ١٣٠٣هـ وهذا السور أمر ببنائه دولة عثمان باشا نوري الحاكم العادل في حياته حماية لمدينة ينبع من غزوها من الأعراب وكان الشيخ الخلاوي رحمه الله رجلاً فطرياً مرحاً لين العريكة مستقيماً في حياته وقد عاش من العمر ما يقارب الخمسة والتسعين عاماً وقد انتقل في أواخر حياته من مدينة ينبع إلى المدينة المنورة واستقر بها وقد اخترمه الموت في أول السبعينيات الهجرية وقد خلف محمود الخلاوي ياسين ويوسف أما ياسين رحمه الله فقد اتجه لهندسة السيارات، أما يوسف بعد أن أتم دراسته في مدارس ينبع التحق بالوظائف الحكومية وكان واحداً من أبناء ينبع العصاميين إذ أصبح في يوم من الأيام أمين جمارك مدينة قرية[1] بين المملكة والكويت وبعض دول الخليج والحديث عن الأستاذ يوسف الخلاوي يطرب ويشجي لأنه كما يقول الذين عاصروه من زملائه في العمل كان واحداً من المثقفين واكتسب تلك الثقافة بسعة اطلاعه المستمر وكان من الذين يحتفون بالكتاب وحدثني من أثق فيه وكان من زملائه في الوظيفة عن اهتمامه بالكتب وقال لي أنه كان يدفع المبالغ الطائلة في سبيل اقتناء الكتب وجلبها من الخارج إذ كانت له مكتبة كبيرة في داره في مدينة قرية وأن داره كانت منتدى أدبياً لموظفي تلك المدينة

---

(١) مدينة قرية هي مدينة من مدن بلادنا كانت تقع على الطريق القديم بين المملكة والكويت .

يومذاك . وكان يوسف خلاوي موضع تقدير دولته لأنه كان واحداً من المخلصين لعمله ووطنه وعلى جانب من الخبرة والدراية بالعمل الذي انيط به وهو العمل الجمركي والمالي إذ كان يتحمل المسئولية وكان على جانب من الأخلاق الفاضلة ولا يتوانى عن مساعدة الآخرين كما كان رحمه الله مستقيماً في حياته ويعتبر واحداً من أبناء ينبع الذين يشار إليهم بالبنان في ذلك الزمان إذ كان واحداً من الذين شقوا طريقهم في الحياة بالجد والدأب والمثابرة حتى وصل إلى ما وصل إليه ولكن لعل الكثير من أبناء هذا الجيل في بلاده ينبع لا يعرفون شيئاً عن تاريخ هذا العصامي من أبناء بلدتهم وجلدتهم الذي لم ينل من السيرة الذاتية شيئاً بعد رحيله من هذه الحياة ولكن تاريخ بلاده ينبع سوف لا يهمله بمشيئة الله وكان من آل الخلاوي في مدينة ينبع الشيخ عبدالرحمن الخلاوي صاحب الكُتاب المعروف في قلب ينبع إذ كان يدرس فيه القرآن وشقيقه محمد الخلاوي ومن أسرة الخلاوي في هذا العصر الأستاذ عبدالعزيز خلاوي مدير مكتب جمعية الثقافة والفنون بجدة .

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أبناء ينبع العصاميين والمثقفين ، إنه الأستاذ يوسف محمود خلاوي رحمه الله .

***

عواد أحمد سليمان حادي

أسرة آل الحادي من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكان من رجالها البارزين في هذا العصر عواد أحمد سليمان حادي إذ تلقى تعليمه في بلاده ينبع ودرس علم الفرائض على علمائها وتدرجت به الوظائف حتى أصبح وكيلاً لقاضي ينبع وهذا ما تشير إليه الوثائق الصادرة من محكمة ينبع عام ١٣٤٩هـ.

كان شخصية محبوبة بين أهالي بلاده وكان نظيف القلب واليد وقد أنجب العديد من الأولاد الذين خدموا بلادهم وأكبرهم حمدان الذي أصبح مساعداً لمدير جمرك ينبع ثم انتقل إلى جمرك المدينة المنورة وعبداللطيف الذي كان مديراً لمدرسة الشاطئ الابتدائية بينبع وعبدالعزيز الذي كان يعمل مديراً للأحوال المدنية بينبع ومن آل الحادي محمد عيد حادي والأستاذ علي حادي رحمه الله الذي كان رئيساً لقلم الحسابات بشرطة ينبع وكان رجلاً نقي القلب صاحب أخلاق فاضلة لين العريكة مرحاً، ومن آل الحادي طه حادي الذي كان رئيساً لحسابات بلدية ينبع.

وكان لآل الحادي العديد من البساتين الزراعية في قرية عين عجلان بينبع النخل وسميت هذه القرية بعين عجلان نسبة إلى عجلان بن قتادة، وقتادة هو جد أشراف ينبع الذي زحف من قرية العلقمية في عام ٥٩٨هـ واستولى على مكة واستخلص الحكم في الحجاز من أبناء عمومته وكان لآل الحادي الدار الكبيرة التي تقبع على شاطئ بحر ينبع والتي تشبه الفنادق في هذا الزمان وكانت تسمى بالمنشية وكان ينزل بها الحجاج القادمون من مصر إلى ينبع.

وكان من آل الحادي الشاعر محمد أحمد الحادي الذي عاش في العصر الذي عاش فيه شاعر ينبع حسن عبدالرحيم القفطي الأنصاري وكان متنقلاً بين مدينة ينبع وفاروقية الأشراف بمدينة قنا في صعيد مصر وقد جرت مساجلات عديدة بين القفطي والحادي ومنها أن بعث الشاعر الحادي سؤالاً عن ألفاظ لغوية يطلب حلها من الشاعر القفطي ومنها:

مذ كنت في أمة بالحسن تشتهر ... قد كنت في أمة ترجى وتنتظر
حاشاك من أمة ظلت محادثها ... قد فاقت الأمة العظمى كما ذكروا
ما أنت من أمة جاءت فضائلها ... إلا كذى أمة يا صاح منتشر
دانت لآلك آلٌ للجبال ألا ... فانظر لآلٍ كآلٍ ليس ينحصر
أأَنت جفن الورى جفن لمقلتنا ... قد كنت جفنا وأنت الجفن منعطر
حقا فجفنك قد جاءت محادثة ... كجفن كرم سقاه السبح والمطر

فأجابه الشاعر القفطي بقصيدة طويلة يقول فيها:

قد كنت في أمة أي نعمة عرفت ... وكنت في أمة بالقصد تشتهرُ
حاشاك من أمة في الرأس مؤلمة ... تقضي إلى الشجة العظمى كما ذكرُوا
ما أنت من أمة أغنى جماعتها ... إلاَّ كذى أمة بالخير تستقر
دانت لآلك أي نعمائك اتضحت ... آل الجبال بلفظ الأهل يعتبرُ
فانظر لآلي إذا في نظمها لمعت ... جاءت كآل سرابٍ ليس ينحصر

ويظل لأسرة آل الحادي ولعواد حادي وكيل قاضي ينبع في زمانه ذكر حسن بين أهالي بلاده وقد انتقل إلى جوار ربه في أول السبعينيات الهجرية، فليرحمه الله.

***

حسين عبدالرحيم الخطيب

ويرحل الناس من هذه الحياة وتظل ذكراهم وإن كانت من الذكريات المشرقة تناقلوها فيما بينهم ولقنوها للأجيال القادمة . . وحديثنا عن واحد من أعيان ينبع وأبرز تجارها في هذا العصر ومن أعرق أسرها وهو حسين بن عبدالرحيم الخطيب . . ويقول أستاذنا حمد الجاسر في حديثه سوانح الذكريات في المجلة العربية في العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١هـ عن مدينة ينبع .

وإن كان معظم السكان يتكون من أسر متميزة من أشهرها أسرة آل الخطيب وكثير من أفرادها يمتهنون التجارة ومن مشاهير هذه الأسرة الشيخ مصطفى الخطيب قائمقام المدينة وهو رجل بهي الطلعة وقور ذو رزانة وحلم، توفى رحمه الله في اليوم الخامس من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٢هـ وهذه الأسرة تنتمي إلى السادة .

وحسين عبدالرحيم الخطيب هو ابن عم مصطفى الخطيب وابن عم عالم ينبع وقاضيها عام ١٢٢٩هـ الحنفي مذهباً أحمد الخطيب وهو ابن عم لآل الخطيب جميعاً وكانت لحسين عبدالرحيم الخطيب تجارة واسعة مع الداخل والخارج ، كان هذا الرجل يتصف بسعة الصدر وحبه للناس وحب الناس له، لا يتوانى عن خدمة بلاده وأهلها ولاسيما الفقراء والمعوزين .

وكما يحدثنا المتقدمون أنه مرت بمدينة ينبع في الماضي محنة قاسية وقحط لقلة الأمطار وتضررت بادية ينبع فما كان من هذا الرجل الذي بسط الله له الرزق في تلك الفترة إلا أن مد يده لمساعدة المحتاجين بثلث

ماله إذ وزعه كأرزاق من حبوب وتمور ، وأفرد مستودعات كبيرة بجوار متجره الملاصقة لداره في قلب ينبع القديمة والتي مازالت باقية كأثر من آثار ذلك العصر الذي يتميز بالزخرفة الإسلامية في نوافذه بجوار دار أسرة آل بابطين الأثري الذي حرصت إدارة الآثار بوزارة المعارف أن تمتلكه كمعلم من المعالم الأثرية في بلادنا ينبع .

أفرد تلك المستودعات الكبيرة وفتح أبوابها لشراء بعض الخردوات التي ليس في حاجة إليها بل كان القصد مساعدة المحتاجين ، كان رحمه الله لا يصد أحداً إن أحضر له خشباً أو حديداً أو مسامير قديمة لبيعها بل يشتريها على الفور ويدفع الثمن مضاعفاً لأنه كان يدرك رحمه الله أن الحاجة هي التي دفعت بعض الناس لحملها وبيعها وكان من صفاته رحمه الله أنه كان يسعى دائماً للتوفيق بين الناس وقد أنجب من الأولاد شحاد الخطيب الذي كان واحداً من أعيان ينبع وتجارها المعروفين في السبعينيات الهجرية كما كانت له تجارة في ميناء السويس بجمهورية مصر العربية وحينما ركدت الحياة في مدينة ينبع بسبب الحرب العالمية الثانية انتقل بتجارته إلى المدينة المنورة وقد انجب شحاد العديد من الأولاد النافعين وهم حسين وعبدالله والدكتور عميد كلية التربية في الوقت الحاضر محمد الخطيب بجامعة الملك سعود ومصطفى ونبيل .

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من الأسر العريقة في مدينة ينبع ومن أعيانها وتجارها الموفقين لعمل الخير ، إنه حسين عبدالرحيم الخطيب .

***

حامد بن محمد الخطيب

كان حامد الخطيب واحداً من أعيان ينبع وتجارها البارزين في هذا العصر، إذ كانت له تجارة واسعة ويستورد من الداخل والخارج، ويتبين لنا من خلال الوثائق الرسمية لإمارة ينبع أنه كان يعهد إليه بالتوفيق بين الأهالي إذا ما اختلفوا على أرض أو أملاك وحامد الخطيب هو شقيق مصطفى الخطيب قائمقام ينبع في هذا العصر، ويقول أستاذنا حمد الجاسر عن أسرة آل الخطيب في حديثه سوانح الذكريات في المجلة العربية العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١هـ: «وإن كان معظم السكان يتكون من أسر متميزة من أشهرها أسرة الخطيب قائمقام المدينة وهو رجل بهي الطلعة وقور ذو رزانة وحلم وقد توفى رحمه الله في اليوم الخامس من ذي القعدة ١٣٧٢ هجرية وهذه الأسرة تنتمي إلى السادة».

ويشير الشيخ حمد الحقيل صاحب كتاب كنز الأنساب، الطبعة الحادية عشرة، عام ١٤٠٨هـ عن نسب قبيلة الأشراف، فيشير أن آل الخطيب ينتسبون إلى جدهم الأكبر موسى الكاظم. ومن أعمام حامد الخطيب قاضي ينبع الحنفي أحمد عبدالرحمن الخطيب في عام ١٢٢٥ هجرية، ومن أشقائه التاجر المعروف في ينبع في هذا العصر موسى الخطيب رحمه الله، ولازال قسم من أحفاده يقطنون مدينة ينبع، وقسم من أولاده يسكنون مكة والخرج ومن أنجاله سعد وسليمان وحسن وحسين وحمزة، كما كانت لموسى الخطيب تجارة واسعة في منطقة وادي الصفراء بقرية الواسطة، إذ استقر بها سنين عديدة، ومن أبناء عمومته حسين عبدالرحيم الخطيب التاجر المعروف في مدينة ينبع، وشقيقه حامد عبدالرحيم الخطيب والد

عرفة وبركة ومحمد الخطيب، ومن أبناء عمومته وكبار تجار ينبع في هذا العصر الشيخ حامد عبدالرؤوف الخطيب صاحب السبيل المعروف في طريق ينبع النخل، والذي كان من المناهل النافعة للمسافرين والعائدين، ومن أبناء عمومته آل مراد الخطيب، ومازال البعض منهم يقطن المدينة والبعض منهم يقطن جدة، ومنهم أحمد بن دريب الخطيب وأشقاؤه، وكذلك آل محمد عبدالله الخطيب من سكان حي القاد بمدينة ينبع وآل عبدالرحمن وأحمد الصادق الخطيب المقيمون بجدة في الوقت الحاضر، وآل صالح عبدالرحيم الخطيب ويقطنون ما بين ينبع والمدينة في الوقت الحاضر، وقد خلف حامد الخطيب العديد من الأولاد النافعين وهم أحمد ومحمود وعبدالحميد ومصطفى الخطيب، وكانت لهم تجارة واسعة في مدينة ينبع في هذا العصر كما كانت لهم سفن عديدة تنقل البضائع بين موانئ البحر الأحمر كما كانت لهم قصور عديدة في ينبع البحر وبساتين عديدة ودور في قرية البركة في منطقة العشيرة، وقد اخترم الموت حامد الخطيب في الخمسينيات الهجرية بعد أن ترك الأثر الطيب بين عشيرته وأهالي بلاده فليرحمه الله.

***

شيخ جهينة سعد بن غنيم

هو شيخ قبيلة جهينة في ينبع، كان رحمه الله من فرسان العرب وشجعانهم، كريماً جواداً بماله على الآخرين، فيه صفاء القلب، يسعى دائماً للتوفيق بين رجال القبائل في المنطقة إذا شجر بينهم سوء تفاهم أو خلاف يعمل على إصلاح الأمور بينهم، ولو أدى ذلك لدفع مال من جيبه الخاص، له أحداث مشهورة يرويها أهالي ينبع ويذكرونه دائماً بالخير، ومن أحداثه المشهورة أنه وفد على المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه بمدينة الرياض وطلب منه أن يأمر له بمؤونة وأرزاق فأمر له بذلك وحملت له العديد من السيارات المشحونة بأرزاق متنوعة من أرز وقمح وبن وهيل وقماش فأخذ يمر بالقرى ويوزع تلك الأرزاق على الفقراء والمحتاجين حتى وصل مدينة ينبع وقد نفدت كافة الأرزاق التي معه.

ويحدثنا أستاذنا حمد الجاسر عن سعد بن غنيم في كتابه «بلاد ينبع» فيقول: «هناك رجال كثيرون عرفتهم واجتمعت بهم في ينبع لا يتسع المقام لذكرهم، ولكن لا أنسى من بينهم الشيخ سعد بن غنيم أحد مشائخ جهينة، إنه يمثل العربي بكرمه ومظهره وكثيراً عندما أراه أذكر عقيل بن علقة المري أحد رجال العرب في صدر الإسلام وأحد شعرائهم: يروون عن عقيل ابن علقة أن أمير المدينة خطب منه أحدى بناته قائلاً زوجني بنتك فأجابه (أبكرة من إبلي تريد) فكرر عليه الكلام فأجابه بمثل جوابه الأول، وفي المرة الثالثة قال له: (ألم تسمع ما قلت لك؟ فقال سمعت وأجبتك.. ان أردت من إبلي فهي لك، أما بناتي فلست لهن بكفء)».

ويروون عنه أنه دخل على أحد الأمراء وقد لبس خفين جديدين وهو

يضرب الأرض بهما مما استرعى انتباه الحاضرين فاتجهوا إليه ينظرونه فقال له الأمير أتدري مم يتعجب هؤلاء؟ قال: أنهم يتعجبون منك من فظاظتك وغلظ طبعك. فقال: لا أيها الأمير ولكنهم يتعجبون من زمان أصبحت فيه أميراً.

وروى عن الشيخ سعد بن غنيم أنه تقدم للصلاة مع جماعة في إحدى المرات وكان ابنه الشيخ صياح اقرأ منه فتقدم إماماً بالحاضرين ومنهم أبوه وفي أثناء الصلاة تقدم الشيخ سعد وجر ابنه إلى الخلف قائلاً والله لا تتقدمني وأنا حي. ويروون عنه أنه يقول مشيراً إلى بطنه: «في هذا البطن ستون لحية على وضح النقا أما غيرهم فكثيرون، مدللاً على شجاعته وكثرة من قتل ممن يستحق القتل من أعدائه».

يروي المتقدمون من أهالي ينبع أن الشيخ سعد كان كريماً جواداً لا يبخل بما عنده على أحد، ومما يروون عنه أنه في ذات مرة قدم عليه ضيوف وكانت الحياة مجدبة في المنطقة التي يقطنها فلا شياه ولا خراف ولا أرزاق، فما كان منه إلا أن ذبح مطيته الخاصة وقدمها لضيوفه، كان يضرب به المثل رحمه الله في الكرم والشجاعة بين مشايخ قبائل الحجاز، كان فطرياً يحب الناس ويحبونه وما توسط أو تدخل بين المتخاصمين إلا وأصلح بينهم.

داهمه المرض المفاجئ وأمر يومها الملك فيصل طيب الله ثراه بعلاجه في الخارج على حسابه الخاص ولكن لم تطل به الأيام إذ اخترمه الموت وكان ذلك في نهاية السبعينيات الهجرية فتأسفت يومها عليه ينبع ببا ديتها وحاضرتها لأنه كان محبوباً بينهم.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع ومن فرسانها وشجعانها وكرمائها، إنه الشيخ سعد بن غنيم شيخ قبيلة جهينة في منطقة ينبع.

بدر بن شفيع القايدي

كان بدر بن شفيع من قبيلة الأحامدة واحداً من شجعان العرب لا تقل مكانته في بلاده ينبع بين الرجال في قرية سويقة عن مكانة الشيخ محمد بن جبارة في السويق ومكانة دخيل الله بن طلال في قرية عين علي وشعثاء.

وقرية سويقة هي من أقدم الخيوف في ينبع وكانت من منازل الحسنيين أبناء الحسن المثنى السبط بن علي بن أبي طالب، وقد قام بعض هؤلاء بثورات متعددة على الخلفاء العباسيين في فترات مختلفة من الزمن، ولهذا تعرضت بلدتهم سويقة للتخريب وقطع النخيل وهدم البيوت، ففي سنة ١٤٥هـ بعد القضاء على ثورة النفس الذكية محمد بن عبدالله بن الحسن الذي كان في المدينة حيث قضي على ثورته في عهد المنصور، وقد كانت بلدته سويقة فخربت وعقر نخلها وصودرت أموال محمد وآله من الطالبيين، وعندما ثار محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن سنة ٢٤٤هـ في عهد الخليفة المتوكل جرى لسويقة ما جرى لها في عهد المنصور، ولشاعر ينبعي جهني هو سعيد بن عقبة قصيدة مؤثرة يصف خراب هذه البلدة، ولم تسلم هذه القرية من نكبات أخرى في العصور الأخيرة، وقد ذكر النابلسي في رحلته الحقيقة والمجاز أنه لما مر بها في اليوم الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ١١٠٥هـ وجد البلدة خالية ليس فيها أحد، قال: رحل أهلها وخرجوا على الشريف سعد بن زيد لأنهم حالفوا قبائل حرب فذهبوا معهم يساعدونهم على قتاله وهذه القرية فيها ماء جار ونخل كثير، وكان له حمل كثير في هذه السنة والعراجين

بعدما نضج بسرها قال: فجلسنا على حافة ذلك الماء وشربنا القهوة، وقد أمر الشريف بحرق بيوت القرية وإننا لنرى النار تتأجج في جدرانها وعراجينها التي هي من أخشاب النخل اليابس والهواء يزيدها تأججاً والتهاباً، وقد أمر بقطع النخيل فكان الخادم يصعد إلى أعلى النخلة ويقطع جمارها فتسقط العراجين إلى الأرض حتى ذكرنا لحضرة الشريف قول الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً[1] عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

ويعلق شيخنا حمد الجاسر فيقول: «لم يكن منصفاً ولا عادلاً ونحن نؤكد هذا القول ما كان ينبغي من حاكم مسلم أن يحرق بلدة ويضعف أهلها».

وكان بدر بن شفيع ابن هذه القرية ـ قرية سويقة وشيخ قومه فيها ـ كريماً مرحاً يتصف بالشجاعة والوطنية الصادقة، لقد ساهم في حرب تحرير الجزيرة العربية من الأتراك ومنها الحجاز والشام، وقد ذكر لورانس العرب في كتابه أعمدة الحكمة السبعة أنه استبسل في أكثر المعارك التي اشترك فيها، كما أشار أنه رافقه في كثير من الرحلات في حرب الشام، وأنه كان يقود مجموعة من عبيده العتقاء في عديد من المعارك، وأنه كان على جانب من الأخلاق الفاضلة ويعده واحداً من شجعان العرب.

كان له تاريخه، إنه الشيخ بدر بن شفيع ابن قرية سويقة وابن ينبع النخل بالذات وقد خلف رجلاً من خيرة الرجال ومن خيرة من عرفنا، إنه الشيخ حمدان بن شفيع ـ رحمه الله ـ ومازال أبناء عمومته يقيمون في مدينة ينبع، وممن عرفنا من أقاربه الشاعر الشعبي عواد بن كامل، وله قصائد عديدة.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٥.

ومن أقاربه الشيخ عمر القايدي وعتيق القايدي مرشد في إدارة الدعوة والإرشاد، وعبدالرؤوف الصادق مدير الضمان الاجتماعي في المدينة المنورة وقد عرفت من أقاربه رجل الأعمال «عبدالله بن عمران».

هذه سيرة لواحد من رجال ينبع سوف لا يهمله التاريخ، إنه بدر بن شفيع رحمه الله.

***

محمد عمر سبيه

السادة آل سبيه من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكما يقول أستاذنا حمد الجاسر في العدد ١٦٤ في رمضان ١٤١١هـ في سوانح الذكريات بالمجلة العربية «ومن الأسر الكريمة في ينبع أسرة آل سبيه، وكان من هذه الأسرة رئيس التجار مصطفى سبيه» وهو عم محمد عمر سبيه رحمهم الله جميعاً الذي كان واحداً من أعيان ينبع ومن تجارها البارزين في هذا العصر إذ كانت له تجارة واسعة مع الداخل والخارج وكان ممثلاً في بلاده ينبع لتجارة البيت التجاري الكبير «آل الخريجي»، وقد أعقبه على هذه الوكالة بعد أن اخترمه الموت في نهاية الستينيات الهجرية الشيخ عبدالله الحركان رحمه الله من أهالي القصيم، وأعقب الشيخ عبدالله الحركان الشيخ علي حسين زارع من أعيان مدينة ينبع رحمه الله، وكان للسيد محمد عمر سبيه قصران في حي السور ـ وهو من أقدم الأحياء في ينبع ـ يطلان على مخازن الحبوب الأثرية والتي تسمى بالشونة والتي أمر بتشييدها في عام ٩٢٦هـ السلطان سليم القانوني حينما قررت الصدقات لأهالي الحرمين الشريفين، وكان السيد محمد عمر سبيه والشيخ حسن بابطين ـ من تجار ينبع ـ هما أول من أدخل السيارات إلى مدينة ينبع في شركة متضامنة عام ١٣٤٥هـ إذ بين أيدينا في الوقت الحاضر وثيقة تشير إلى ذلك، وهي رسالة مرفوعة من سعادة أمير ينبع عبدالرحمن بن سعيد رحمه الله إلى جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه برقم ٤٧ وتاريخ ٢١ رمضان ١٣٤٥هـ يطلب فيها السماح لأهالي ينبع بادخال (الأوتوموبيلات) أي السيارات إلى بلادهم ومما جاء فيها: «استرحم تجار وأهالي ينبع باعطائهم امتياز الاوتوموبيلات».

وكانت دار السيد محمد عمر سبيه رحمه الله من الدور العامرة في مدينة ينبع، إذ تستقبل الضيوف من أهالي المدينة المنورة من محبيه وأصدقائه، كان على جانب من سعة الصدر والأخلاق الفاضلة، موفقاً لعمل الخير كأفراد أسرته تربطه صداقة وشيجة بأسرتنا آل الخطيب وبوالدي رحمه الله إذ رأيته باكياً يوم وفاته، وسمعته يقول للأسرة وأنا يومها طفل صغير: لقد فقدت أخاً عزيزاً، وكانت وفاته في نهاية الخمسينيات الهجرية فحزن عليه أهل بلاده كثير الحزن وفي طفولتي ذكريات مع هذا العم العزيز تظل منقوشة في الذاكرة ما ظلت هناك حياة وما اتذكره إذ أخذني والدي رحمه الله معه ذات ليلة إلى دار الشيخ محمد عمر سبيه وصعد بي إلى غرفة علوية في الدار تطل على ميناء ينبع لأبصر لأول مرة في حياتي ذلك المخترع الجديد وهو الراديو الذي أصبح فيما بعد مهنتي، فإذا بالرجل يلقاني بحنو الأبوة الصادقة والابتسامة الحلوة ترتسم على شفتيه وهو يمنحني لعبة جميلة وشيئاً من الحلوى، كم كان هؤلاء الرجال من آبائنا السابقين من جيل الماضي في بلادنا ينبع يتمتعون بالروح الطيبة من أمثال السيد محمد عمر سبيه رحمه الله، إذ يتميزون بالعاطفة الصادقة، ولقد رحل السيد محمد عمر سبيه عن هذه الحياة بروحه لكن تظل ذكراه الطيبة باقية بين معاصريه من أهالي بلاده.

ولقد خلف العديد من الأولاد الذين كان لهم أثر في مدينة ينبع، وكان أكبرهم حمزة - رحمه الله - من موظفي المالية، وعمر من موظفي الجمارك، وياسين من موظفي الإمارة، وبحق كانوا خير خلف لخير سلف في الصفات الحميدة.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من تجار ينبع ومن رجالها البارزين، إنه السيد محمد عمر سبيه رحمه الله.

الأستاذ حمزة رسلان

كم حفظت لنا الوثائق تاريخ أناس رحلوا عن هذه الحياة، وكان لهم دور في دنيا العلم في منطقة بلادنا ينبع، ولعل هناك الكثير لم يدركوا أن التعليم في منطقة ينبع كان قديماً جداً، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ حمد الجاسر في كتابه «بلاد ينبع» إذ يقول: إن المدرسة الابتدائية أسست في عهد الحكومة التركية ولم يشر إلى تاريخ تأسيسها ولكن لعل أول مدرسة فتحت في ينبع في العهد العثماني بين عام ١٣٢٧هـ إذ جاء في مذكرات المجاهد بشير السعداوي والذي كان قائم مقام ينبع حتى نهاية شهر رمضان عام ١٣٣٤هـ والتي كتبها محمد الدغين في جريدة «الحياة» في العدد ٦٧٩ وتاريخ ٢٩ رمضان ١٤١٥هـ، وكما قال بشير السعداوي أنه فتح أول مدرسة في ينبع وكان مديرها «خليل الحوار» كما ساهم هو شخصياً بالتدريس فيها، وكتب تمثيلية «نهضة الإسلام» مثلها تلاميذ مدرسة ينبع والدرك أمام شيوخ العشائر والأعيان، وخليل الحوار من أسر ينبع التي وفدت إليها في العهد المملوكي من صعيد مصر، وهي من قبيلة العسيرات ولكن لم نجد لها أثراً في الوقت الحاضر، ولربما لا يعرف الكثير أن أول بعثة للتعليم انطلقت من مدينة ينبع إلى المدارس السلطانية في بلاد الشام في عهد قائم مقام ينبع بشير السعداوي، وكان قوامها ثلاثة من أبناء ينبع، وهم أحمد أبو بكر أبو طالب ومحمد حامد العنيبسي الإبراهيمي ومحمد عنبر أغا، وعادوا بعد أن حصلوا على شهادة الإذن بالتدريس من المدرسة السلطانية، وعين أحمد أبو طالب مديراً لمدرسة ينبع في العهد الهاشمي، ثم نجده كذلك يعين مديراً للمرة الثانية في بداية العهد السعودي في عام ١٣٤٤هـ، أما محمد حامد العنيبسي فقد

عين مديراً لمالية العقبة، أما محمد عنبر أغا لم نجد له أثراً في حياة ينبع .

ومن خلال وثيقة رسمية مرفوعة في العهد السعودي من أمير ينبع برقم ٦ وفي ٢٢ شوال ١٣٤٤هـ أنه كانت هناك مدرسة في أملج في العهد الهاشمي مرتبطة بمدرسة ينبع، إذ يقول فيها «من عبدالرحمن بن سعيد لمعالي صاحب الفضيلة مدير المعارف العمومية الشيخ صالح شطا أعرض لحضرتكم تشرفنا بأخذ تحريركم ٥٤ رقم و ١٤ شوال ١٣٤٤هـ ثم نعرض أنه يوجد معلم بأملج (حمزة رسلان) من أهالي ينبع وهو سابقاً كان معلمًا فيها وله كفاءة للوظيفة وشهد له بذلك جميع أهل البلاد وهو من أصحاب حسن السيرة أرجو أمركم بتعيينه معلماً لأملج، وإذا وافق نظركم بإرسال واحد معلم ثاني من مكة يكون أوفق والبواب موجود هنا وورقة الاختبار ما رأينا لزوم لها حيث الشيخ حمزة سابقاً كان معلماً في أملج وما جرى تعيينه هنا إلا بعد الاختبار من قبل هيئة قضاء ينبع في الدور السابق أي بعد الامتحان والاختبار تبين والمومأ إليه قديم بالوظيفة والمرجو تبلغونا ميزانية أملج وبالختام نسأل الله التوفيق لنا وإياكم وينصر ملكنا المعظم ويديم عرشه بالعزى سيدي» ٢٣ منه .

هذه هي الحقيقة التي وقفنا عليها تاريخياً أن الأستاذ حمزة رسلان رحمه الله كان أول من درس من أهالي ينبع في مدرسة أملج في العهد الهاشمي، ثم يتم اختياره للمرة الثانية في هذا العهد الزاهر إذ كان رمزاً تاريخياً إذ يظل واحداً من بناة التعليم في المنطقة، وكما علمت أنه انتقل إلى جوار ربه وهو يؤدي رسالته التعليمية في مدينة أملج التي كانت مرتبطة مدرستها بمدرسة ينبع وهي تبعد عن ينبع بمسافة مائة وأربعين كيلومترا وكانت الوسيلة بينهما في المواصلات إلى نهاية الستينيات هجرية الجمال التي تحمل الركاب والبريد، وكنت أذكر في طفولتي أنه كان هناك

نجابٌ من أهالي ينبع واسمه الشريف مديحج يحمل البريد بين المدينتين مرتين في الأسبوع . رحم الله ابن ينبع الأستاذ حمزة رسلان الذي كان يمتطي الجمال ويستقر في بلدة كانت يومها تشبه القرية إذ لم تتوفر فيها كافة إمكانيات الحياة رحم الله ابن ينبع حمزة رسلان فلن يهمله تاريخ التعليم في المنطقة بمشيئة الله .

* * *

عبدالمطلب بن عبدالرحيم الوكيل المويلحي

أسرة المويلحي تعود بنسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم من أشراف ينبع النخل، ولازالت لهم فيها أملاك من دور وبساتين باقية في قرية الجابرية، ومن خلال وثائقهم التاريخية التي زودوني بمجموعة منها نجد لهم صلة رحم مع الأشراف القرون أشراف قريتي البثنة واليسيرة بينبع النخل كما نجد لهم صلة رحم مع الأشراف العيايشة أشراف قرية السويق.

وفي العهد الأموي والعباسي نزحت أسر كثيرة من آل البيت من ينبع النخل إلى مصر وإلى المغرب وإلى اليمن وإلى أندونيسيا لتعرضهم للأذى الذي حل بهم من أبناء عمومتهم العباسيين إذ تنافس آل البيت جميعاً على الأحقية بالسلطة إذ كان الطلابيون يخرجون عليهم بين وقت وآخر من ينبع النخل.

ونزح الأشراف آل الوكيل من ينبع النخل إلى ثغر المويلح على ساحل البحر الأحمر شمال الحجاز، ولما كان من مكانة لهذه الأسرة بين الناس فقد تولوا امارتها وتعاقبوا عليها وكان هذا الثغر تابعاً في اصطلاح التقسيم الإداري العثماني لمتصرفية ميناء الوجه، حيث نجد أن الشريف مصطفى بن محمد الوكيل المويلحي الجدُّ الثامن لهذه الأسرة أسس وكالة لصناعة الحرير بالتربيعة بالقاهرة.

ترك أمر إدارتها لابنه الشريف أحمد بن مصطفى المويلحي، وكان أول الوافدين إلى مصر من هذه الأسرة وكان ذلك في عهد محمد علي باشا، وتزوج من السيدة رابية البكرية شقيقة السيد خليل البكري وبنت عم

السيد محمد البكري الجدّ الأكبر للسيد عبدالحميد البكري نقيب الأشراف، وأنجب منها الأديب الكبير إبراهيم المويلحي أول مويلحي ولد في مصر، وشب فيها وأنجب الأخير عبدالخالق الذي أنجب عبدالسلام باشا المويلحي والأديب إبراهيم ولازالت هذه الأسرة التي نزحت من ينبع النخل ثم إلى المويلح ثم إلى مصر تعرف باسم المويلحي نسبة إلى المويلح الثغر الذي نزحوا منه.

واستمرت أسرة المويلحي تحكم هذا الثغر في العهد العثماني وفي العهد الهاشمي حتى انضم الحجاز في عام ١٣٤٤هـ إلى حكم جلالة الملك عبدالعزيز حيث أكرم هذه الأسرة باستمرارهم في إمارة المويلح إذ كان أمير المويلح السيد عبدالرحيم فأمر جلالته بتعيين ابنه السيد أحمد بعد رحيله. ورحل السيد أحمد عام ١٣٥٤هـ وعين أخوه عبدالمطلب بن عبدالرحيم الذي أحيل على التقاعد عام ١٤٠٩هـ والذي يعتبر عميد الأسرة المويلحية وأميرها، إذ كان من خيرة الرجال الطيبين النافعين ويظل لهذه الأسرة تاريخها الناصع في ثنايا تاريخ هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية.

***

عبدالغني عثمان مشرف

كانت مدينة ينبع هي بوابة المدينة المنورة البحرية على مر العصور منذ القرن السادس، وبعد أن اندثر ميناء المدينة القديم «الجار» والذي مازال يعرف بمرسى البريكة ولقرب ينبع من المدينة نجد هناك صلة قربى واسعة بين أهالي المدينتين ولا غرابة في ذلك، وكان لأكثر أهالي ينبع أملاك في المدينة المنورة وكان قضاء ينبع في العصور الماضية مرتبطاً بقضاء المدينة وتشير إلى ذلك الوثائق الشرعية التي بين أيدينا.

وحديثنا عن واحد من أهالي المدينة قدم إلى ينبع في منتصف الأربعينيات الهجرية مدرساً في مدرسة ينبع ثم أصبح فيما بعد بحكم الإقامة الطويلة وكيلاً لقضاء ينبع وهو الشيخ عبدالغني عثمان مشرف والذي ولد في المدينة المنورة وتلقى العلم في مدارسها وفي أروقة المسجد النبوي الشريف على أيدي كبار العلماء، وبحكم إقامته في ينبع وجدناه يشارك في الحياة الوطنية فيها، إذ نجده يشارك نيابة عن مدينة ينبع مع بعض أعيانها في المؤتمر الوطني الذي عقده المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه في مكة المكرمة في شهر محرم ١٣٥٠هـ، إذ جاء في جريدة «أم القرى» العدد ٣٣٨، الجمعة ١٨ محرم سنة ١٣٥٠هـ أسماء وفود المدن المشاركة في هذا المؤتمر ومن بينها وفد مدينة ينبع ويتألف من الشيخ عبدالغني عثمان مشرف وسالم علي شاهين وأحمد عبدالرحمن نقادي.

ومع بداية الخمسينيات تشير الوثائق الشرعية التي بين أيدينا أنه كان لمدينة ينبع قاض ووكيل قاض، فكان القاضي يومذاك الشيخ أحمد هرساني من الأسر العريقة في مكة المكرمة، وكان وكيلاً له الشيخ عبدالغني

عثمان مشرف الذي أصبح فيما بعد قاضياً لمدينة ينبع ويتحدث أستاذنا حمد الجاسر في كتابه «بلاد ينبع» عن الشيخ عبدالغني مشرف فيقول:
«وكان الشيخ عبدالغني مشرف من خيرة الرجال الذين عرفتهم وكسبت صداقتهم في تلك المدينة، ومع أن دراسته كانت دينية إلا أن اطلاعه كان واسعاً، وكان ذا رغبة قوية في مطالعة أي كتاب في أي علم من العلوم، ولهذا فكثيراً ما كنا نقضي أمسيات الأيام خارج المدينة ومعنا ما نحصل عليه من الكتب التي وصلت إلينا حديثاً وعندما نقرأ خبر نشر كتاب نسارع إلى طلبه من مصر، وكانت المواصلات بين ينبع ومصر منتظمة وفي كل أسبوع وقد اعتدنا أن نخرج بعد صلاة العصر ويكون معنا في الغالب رجل ينبعي كريم يدعى (محمد العبيسي) كان عضواً في المجلس البلدي، كنا نخرج خارج البلدة ونجلس في ظل أحد الصهاريج نطالع ونقرأ ونبحث مسائل أدبية حتى تغرب الشمس فنصلي هناك ثم يعود كل واحد منا إلى حيث يمضي ليلته».

وإن كان الشيخ عبدالغني مشرف من أهالي المدينة المنورة ولكنه أصبح من أهالي المدينتين بحكم إقامته الطويلة فيهما ومشاركته في حياة ينبع الوطنية وقد انجب فيها أولاداً وبنين إذ قضى في ينبع ما يزيد على الخمسة عشر عاماً، وكان موضع تقدير أهالي ينبع جميعاً وأصبحت لهم فيه محبة وأصبح واحداً منهم.

وكما يقول الذين عاصروه من أصدقائه من أهالي ينبع أنه كان صاحب ديباجة رفيعة، وأنه عالم بكثير من أمور المعرفة الدينية والدنيوية نتيجة اطلاعه الواسع، فكان عالم ينبع الذي يستفتونه إذا ما دعت الحاجة لمعرفة أمور دينهم، محبوباً بينهم ذا رزانة هادئ الطبع يأخذ المتحاكمين بين يديه بالحكمة والروية.

وكما يقول الذين عاصروه من أصدقائه أنه كان تقياً صالحاً لا ينقطع عن العبادة محباً لعمل الخير والمصالحة بين الناس، وفي منتصف الستينيات الهجرية انتقل الشيخ عبدالغني من مدينة ينبع قاضياً لمدينة ضباء فحزن الكثير من أهالي ينبع على فراقه، ولكن لم تنقطع الصلة بينه وبينهم، فإذا ما كر عائداً من مدينة ضباء في اجازته متوجهاً إلى المدينة قضى أياماً عديدة في مدينة ينبع واستقر في أواخر حياته في المدينة المنورة، واخترمه الموت فيها في منتصف الثمانينيات الهجرية وقد خلف من الأولاد حسن وعبدالعزيز، كما خلف السيرة العطرة والذكرى الحميدة بين أهالي المدينتين: المدينة المنورة وينبع، إنه قاضي ينبع الشيخ عبدالغني عثمان مشرف.

***

محمد حامد عبدالقادر الأنصاري

ما أكثر الذين رحلوا عن هذه الحياة بعد أن تركوا السيرة العطرة والذكر الحسن بين عشيرتهم وأهالي بلادهم ومعارفهم، وكان الشيخ محمد حامد عبدالقادر الأنصاري واحداً منهم، إذ كان واحداً من أعيان ينبع وتجارها البارزين في هذا العصر، وتجتمع أسرة آل عبدالقادر وآل عبدالغفار، وآل عبدالواحد، وآل زين الدين، وآل القفطي في جد واحد، وهو زين الدين نجم الخطيب الخزرجي الأنصاري من المدينة المنورة، وكان الشيخ محمد حامد عبدالقادر من الرجال الذين نشأوا على الفطرة، إذ نجد فيه صفاء النية والهدوء والتواضع والتقوى والصلاح، كان رجلاً جواداً كريماً لا يبخل عن مساعدة الآخرين، وله مواقف شجاعة ونبيلة مع بعض الناس يذكرها معاصروه، كانت لمحمد حامد عبدالقادر تجارة واسعة مع الداخل والخارج، وكانت له العديد من القصور في حي السور ويحرفه دهماء الناس من كلمة السور إلى الصور وأسباب تسمية هذا الحي بالسور إلى أول سور يشيد في ينبع عام ٩١٥هـ شيده آخر حكام الدولة المملوكية قنصوه الغوري وقد هدمه أمير مكة الشريف سعد بن زيد عام ١٠٧٩هـ ومازالت تلك القصور باقية في قلب مدينة ينبع كآثار قديمة بالقرب من ميناء ينبع القديم، كما كان له قصور عديدة في المدينة المنورة وبعض البساتين في ينبع النخل، كانت قصوره في مدينة ينبع من القصور العامرة تستقبل كل الوافدين من أصدقائه ومعارفه ومحبيه من المدينة المنورة وجدة وأملج وينبع النخل.

كان رحمه الله محبوباً بين أهالي بلاده وتجارها لأنه كان سمحاً في تعامله

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**رحم الله رجلا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا اقتضى**»، وكان يركن إليه أكثر تجار المدينة المنورة إذ يتعاملون معه لسماحته إذ كان وكيلاً للعديد منهم وخاصة الذين يستوردون الأرزاق من الخارج إذ كان يستقبلها لهم في ميناء ينبع، ويقوم بتصديرها لهم إلى المدينة المنورة على الجمال في الزمن الماضي وقبل أن تدخل السيارات إلى البلاد، وكان يحرص كل الحرص على وصولها إليهم كاملة سليمة. ولكن حينما دارت الأيام دورتها، وضعفت أحوال بلدة ينبع ضعفاً كان عميق الأثر بالنسبة لجميع السكان والتجار في عشر السنين الأخيرة من القرن الماضي انتقل بتجارته إلى المدينة، كما انتقل إليها العديد من تجار ينبع في تلك الفترة، وظل محمد حامد عبدالقادر الأنصاري يمارس تجارته في المدينة المنورة حتى تقدم به السن، فظل مقيماً في داره، ولكنه كان حريصاً على الصلاة مع الجماعة في المسجد النبوي الشريف. وقد اخترمه الموت في عام ١٣٨٩هـ في المدينة المنورة، وقد خلف العديد من الأولاد النافعين، وكان أكبرهم السيد حامد عبدالقادر - رحمه الله - من موظفي إمارة المدينة المنورة سابقاً، وأشقاؤه عواد وحمزة ومدني ومحمود. ومن أبناء عمومة السيد محمد حامد الأستاذ حامد حسن عبدالقادر الذي كان مديرًا لإدارة الموظفين في إدارة التعليم بالمدينة المنورة، وشقيقه محمود الذي كان موظفاً ببلدية المدينة.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع عرفته فعرفت فيه صفاء السريرة وكرم النفس والتواضع الجم والعشرة الطيبة، إنه واحد من أعيان ينبع وتجارها المعروفين في هذا العصر، إنه الشيخ محمد حامد عبدالقادر الخزرجي الأنصاري فليرحمه الله.

***

أحمد جابر العياشي

كان الشريف أحمد جابر العياشي واحداً من رجال ينبع وأعيانها في هذا العصر ولا تقل مكانته عن واحد من مشايخ ينبع النخل في زمانه كان على جانب من الكرم والمروءة والأخلاق الرفيعة، هادىء الطبع محبوباً بين الناس في ينبع نخلها وبحرها، وحين يذكر أحمد بن جابر يذكر آل العياشي «جابر ابن جبارة العياشي» صاحب التاريخ المشرف حينما كان أميراً لينبع في العهد السعودي الأول عام ١٢٢٦هـ حينما أرسل محمد علي باشا الألباني حاكم مصر ابنه طوسون، واستولى على ينبع البحر بعد تدميرها وتشريد أهلها ونهب بضائع تجارها، وكان دافع ذلك الغزو من الخلافة العثمانية للحجاز أنها ترى استيلاء الإمام سعود بن عبدالعزيز على الحرمين ينقص من شأنها، لأنها تدعي حق الخلافة على المسلمين بعد سقوطها من العباسيين، إذ تخوفت من دعوة آل سعود السلفية الصادقة التي تسعى إلى الاصلاح والمحافظة على الدين ومحاربة البدع والشعوذة والخرافات. ويقول المؤرخ ابن بشر رحمه الله صاحب كتاب عنوان المجد في ينبع: «هرب منه رئيسه جابر بن جبارة العياشي وقصد المسلمين».

لاشك أن هذا الموقف من أمير ينبع العياشي كان موقفاً كريماً ومشرفاً، إذ لم يخضع لمحمد علي باشا الذي دمر ينبع وأساء إلى سكانها، وذهب ليساعد وينصر اخوانه وأبناء أمته وجلدته في قرية الخيف بوادي الصفراء القريب من ينبع، إذ كتب الله النصر للسعوديين حينما زحف جيش محمد علي إلى ذلك الوادي فقابله السعوديون بقيادة عبدالله بن سعود

واستطاع عبدالله أن يهزم جيش محمد علي فولى هارباً إلى ميناء الجار القريب من ينبع والذي يسمى في وقتنا الحاضر البريكة.

كم كان من الرجال في ينبع من أمثال جابر العياشي صادقين في عقيدتهم ومبادئهم وأخلاقهم. ويقطن آل العياشي قرية سويقة وهي منازل أجدادهم الحسنيين أبناء الحسن المثنى السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد قام هؤلاء بثورات متعددة على الدولة العباسية وجد الأشراف العيايشة هو محمد ابن عبدالله بن الحسن ذو النفس الذكية الذي خرج على ابن جعفر المنصور من ينبع إلى المدينة في عام ١٤٥هـ، ويجتمع في النسب مع الأشراف العيايشة أبناء عمومتهم حكام المغرب في وقتنا الحاضر أصدقاء ملوكنا آل سعود ملوك الجزيرة العربية، وقد خرج هؤلاء من قرية المدثر بينبع النخل في القرن السابع الهجري لحكمها، ويشير التاريخ أنه عندما اضطربت أحوال المغرب في ذلك القرن، فكر وفد من مدينة سجلماسة في صحراء المغرب في السفر إلى الحجاز لاستقدام حاكم من نسل الرسول ﷺ ونزلوا ميناء ينبع البحر وعرضوا الأمر على حاكمها أحد شرفاء ينبع من بني الحسن، وكان له ثلاثة أولاد وعند اختياره أحدهم للذهاب لحكم المغرب وجه سؤالاً إلى كل منهم على انفراد فقال للأول ماذا تعمل إذا اصابك خير أو شر من أحد فأجابه قائلاً: اقابل الخير بالخير والشر بالشر، وسأل الثاني فأجابه قائلاً: أقابل الخير بالخير وادفع الشر بالخير، فسأل الثالث فأجابه قائلاً: أقابل الخير بالخير واتمادى في فعل الخير حتى يصبح المسيء صديقاً لي، عندئذ قال الوالد للابن الثالث أنت أصلح من يحمل الأمانة في المغرب وأوفده معهم لحكمها.

ومن أبرز رجال أسرة العياشي في هذا العصر: المؤرخ والباحث

الأستاذ إبراهيم العياشي الذي كان مديراً لمدرسة ينبع البحر ، واستقر في أواخر حياته في المدينة المنورة، وهو صاحب كتاب تاريخ المدينة . وقد اخترمه الموت فيها في أول التسعينيات الهجرية ، والأستاذ عبدالله بن حمد العياشي مدير فرع وزارة التجارة في مدينة ينبع في وقتنا الحاضر .

ورحل الشريف أحمد بن جابر العياشي عن هذه الحياة في التسعينيات الهجرية بعد أن ترك الأثر الطيب والسيرة العطرة له ولأسرته الكريمة بين أهالي بلاده ينبع فليرحمه الله .

***

أحمد حامد الخطيب

أسرة الخطيب من الأسر العريقة في ينبع، وكان أحمد حامد وأشقاؤه محمود وعبدالحميد ومصطفى من أعيان ينبع وتجارها البارزين، إذ ورثوا التجارة عن والدهم، وقاموا بإدارتها حيث كانت لهم تجارة مع الداخل والخارج، كما كان لآل الخطيب العديد من البساتين الزراعية بقرية البريكة من منطقة العُشيرة التاريخية «إذ نزل رسول الله ﷺ في جمادى الأولى من السنة الثانية الهجرية من بطن العُشيرة أقام بها إلى ليال من جمادي الثانية ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة وفيها كنى رسول الله ﷺ علياً أبا تراب حين وجده نائماً هو وعمار بن ياسر».

كما كانت لآل الخطيب العديد من السفن التي تمخر البحر الأحمر محملة بالبضائع، إذ كانوا يستوردون من الهند وجمهورية مصر ويُصدرون السمن والعسل والتمور إلى جمهورية مصر العربية. ومن بساتينهم المعروفة بمنطقة العشيرة الهاشمية نسبة لجدودهم بني هاشم. والمحمودية نسبة لمحمود حامد الخطيب، ومن سفنهم فتح الخير والسهالة.

كانت دار الخطيب مفتوحة في قلب مدينة ينبع الأثرية تستقبل المعارف والأصدقاء من التجار الوافدين من جدة والمدينة ومدن الشمال كما كانوا يعملون وكلاء لتجار المدينة على بضائعهم التي تصل من الخارج؛ كما كانوا وكلاء لدار الأيتام بالمدينة المنورة، كما كانوا هم المشرفين على أوقاف الأسرة السنوسية في ينبع وبدر وأملج والوجه وضباء والمويلح والخريبة.

وكانت أوقاف السنوسية هي عبارة عن زوايا ودور وأربطة وصهريجات

ماء، وقد كان أحمد الخطيب هو عميد الأسرة بعد رحيل عمه مصطفى الخطيب عام ١٣٧٢هـ وعاش أحمد الخطيب طيلة حياته صاحب سمعة طيبة بين تجار الحجاز، وقد أنجب العديد من الأولاد النافعين وكان أكبرهم محمد أحمد الخطيب الذي كان يعمل مديراً عاماً للإدارة المالية بالإدارة المالية بالرياض.

والأستاذ عبدالله أحمد الخطيب الذي عمل وكيلاً لإمارة ينبع لسنوات عديدة، وفي عام ١٤١٤هـ اختير عضواً في مجلس المدينة المنورة عن مدينة ينبع، والأستاذ عبدالرحمن أحمد الخطيب كان مديراً عاماً لميناء ينبع توفي في أول شهر رمضان ١٤١٧هـ فليرحمه الله.

كانت هذه سيرة لواحد من أعيان ينبع وتجارها المعروفين الذي انتقل إلى جوار ربه عام ١٣٧٩هـ في مدينة جدة إذ كان قدم إليها من ينبع بحثاً عن العلاج على إثر مرض أصابه فليرحمه الله.

***

محمود حامد الخطيب

قبل أعوام عديدة من عمر الزمن، كتبت زاوية أسبوعية في مجلة «اقرأ الغراء» وهي سيرة ذاتية لبعض الشخصيات من رجال بلادنا ينبع، والذين كان لهم أثر في حياة بلادهم وأمتهم. ولعل أبناء هذا العصر هم أحوج ما يكونون لمعرفة آثار سلفهم في هذه الحياة. وعتب عليّ العديد من أدباء ينبع لكوني لم أترجم سيرة والدي رحمه الله، وكان أحدهم الصديق الأديب الأستاذ خلف عاشور سبيه، مدير مشروع توسعة الحرم النبوي في الوقت الحاضر، واعتذرت له قائلاً: حينما أتحدث عن والدي كأنما أتحدث عن نفسي، ومن الخير أن يتحدث عنه الآخرون، ولكن الزمن مسافات وأبعادٌ وأيامٌ وأعوامٌ تمضي وتلفنا وتطوينا إلى النهاية، وأخشى ما أخشاه أن نرحل من هذه الحياة ونظلم السابقين من أمثال أبي حينما ننكر أعمالهم، وكان لهم دور في الحياة وكان أحدهم والدي، وأجد نفسي مضطراً أن أترجم له وأنا أكثر ما أكون خجلاً وحياء، والحياء من الإيمان كما قال سيد البشرية ﷺ.

والدي هو محمود بن حامد بن محمد بن مصطفى بن سليمان بن عبدالعزيز، وجده العالم العلامة أحمد يوسف علم الدين المكنى بالخطيب المتواجد عام ٧٧٥هـ الهاشمي نسباً، وأحد أعلام زمانه. وقال بحاثة الجزيرة العربية شيخنا حمد الجاسر في حديثه سوانح الذكريات في عدد رمضان ١٤١١هـ «معظم سكان ينبع يتكون من أسر متميزة ومن أشهرها أسرة الخطيب، وكثير من أفرادها يمتهنون التجارة ومن مشاهير هذه الأسرة مصطفى الخطيب: قائم مقام المدينة، وهو رجل بهي الطلعة

وقور ذو رزانة وحلم وقد توفى رحمه الله في اليوم الخامس من ذي القعدة ١٣٧٢هـ وهذه الأسرة تنتمي إلى السادة».

وُلد والدي في مدينة ينبع البحر سنة ١٣١٨هـ، وتلقى تعليمه في كتاتيب بلاده، وحينما شب عن طوقه دخل إلى دنيا التجارة مع والده وأشقائه، إذ كان أحد سواعد والده، فأقامه وكيلاً شرعياً على أملاكه في ينبع والمدينة المنورة. ولم يكتف بالدراسة في الكتاتيب، إذ تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وعكف على طلب العلم على يدي عالم ينبع الكبير الشيخ حامد القباني الذي كان مفتياً في العهد الهاشمي وقاضياً في العهد السعودي، تزوج من أسرة معروفة عريقة في ينبع تعود بنسبها إلى قبيلة البراهمة من جهينة، ومن أبرز رجال هذه الأسرة خالي محمد حامد العنيبسي الذي سافر في أول بعثة من ينبع عام ١٣٣٣هـ إلى المدرسة السلطانية بالشام، وحصل منها على الإجازة في التدريس وعاد وعمل مديراً لمالية العقبة في العهد الهاشمي وتوفى هناك.

عشق والدي ـ رحمه الله ـ الزراعة حيث أمتلك هو وأشقاؤه العديد من البساتين الزراعية في قرية البركة بمنطقة العشيرة التاريخية بينبع النخل، ومن هذه البساتين الهاشمية نسبة إلى أجدادنا بني هاشم، والمحمودية نسبة إلى والدي كما شيدوا قصراً منيفاً يطل على هذه البساتين وما زال القصر موجوداً كأثر من الآثار، كما عشق الوالد وأشقاؤه إلى جانب الزراعة التجارة إذ ورثوها عن والدهم وأجدادهم إذ كانت لهم سفن عديدة تمخر البحر الأحمر محملة بالأرزاق، ومن هذه السفن «فتح الخير» «السهالة».

وكان والدي وأشقاؤه هم المسؤولين عن أوقاف الأسرة السنوسية الهاشمية في ينبع وبدر وأملج والمويلح والخريبة وكانت هذه الأوقاف

عبارة عن زوايا للصلاة ودوراً ودكاكين وصهاريج مياه وقد توارثو هذه المسؤولية عن أجدادهم الأوائل، وكانت هناك الرسائل العديدة المتبادلة بين أسرة آل الخطيب والأسرة السنوسية.

في حج عام ١٣٦٣هـ التقى والدي بجلالة الملك إدريس - رحمه الله - بمكة وجرى بينهما حديثٌ طويلٌ ودعاه لزيارته في ليبيا لينظرا معاً في توسعة الأوقاف وتشييد بعض المساجد في مدن الحجاز ولم يتمكن من السفر إلى ليبيا نظراً لمشاغله العديدة، وفي عام ١٣٦٤هـ زارنا في مدينة ينبع الشيخ محمد الشارف ابن عم الملك، كما حلت علينا ضيفة في دارنا أكثر من مرة وهي في طريقها إلى المدينة: شقيقة الملك إدريس «الأميرة صفية» وابنها فخري، وكان المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله يأمر إمارة المدينة بإرسال سيارة خاصة تنقلها من ينبع إلى المدينة وكان يرافق الأميرة بعض خدمها ومدير أعمالها عبدالله الزوي في الستينيات الهجرية. وحينما ركدت الحياة في مدينة ينبع رحل الوالد إلى الرياض، وأسس له تجارة هناك، وقد تعرف على الكثير من الشخصيات في مدينة الرياض، ومنهم «المغفور له الملك خالد بن عبدالعزيز طيب الله ثراه» إذ كان الوالد يتردد عليه في حوطته - كما قال لي - وحينما عاد الوالد إلى ينبع أبصرت الرسائل المتبادلة بينهما ولاسيما في المناسبات السعيدة.

وحينما رحل والدي رحمه الله كنت مقيماً في الرياض، وسافرت إلى ينبع في اليوم التالي من وفاته، وحينما سألت الوالدة رحمها الله عن الرسائل التي كان يحتفظ بها والدي، قالت: لا أدري فعذرتها وفي اليوم الثالث من شهر شوال عام ١٣٩٥هـ زرت والوالد منديل الفهيد والأخ إبراهيم اليوسف جلالة الملك خالد في منزله بطريق الدرعية وأمنا في صلاة المغرب، وسألني عن الوالد فقلت له لقي وجه ربه عام ١٣٨٩هـ

فذكره بالخير ودعا له بالمغفرة، وحينما ذهبت تجارة أسرتنا في عام ١٣٧٥هـ التحق والدي بالوظائف الحكومية.

وعمل مديراً لإدارة المستودعات بجمرك ينبع وفي عام ١٣٨٥هـ نزل به المرض، فأخبر السفير الليبي بجدة الشيخ حسين بلعون جلالة الملك إدريس عن مرضه فأمر أن يحضر للعلاج في ليبيا والتقى به هناك أكثر من مرة وأكرمه أيما اكرام، وأحضر كبار الأطباء لعلاجه وعرض عليه أن يكمل علاجه في فرنسا على حسابه الخاص فاعتذر له الوالد وعاد إلى ينبع.

وفي اليوم الثالث عشر من شهر رمضان عام ١٣٨٩هـ وبعد أن أدى صلاة الظهر في منزله وهو صائم إذ تعذر عليه الخروج إلى المسجد لشدة المرض رفع يديه إلى السماء وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وفاضت روحه إلى ربه. وعندما سمعت عن وفاة والدي أحسست أن رجلاً صالحاً قد توارى في التراب وأحسست أنني أبكي ولم تبك عيناي ولكن قلبي وعقلي أجهشا بالبكاء وحينما علم الملك إدريس بوفاته بعث سفيره بجدة ومعه بعض رجال السفارة ليقدموا لنا العزاء في دارنا في ينبع، وأحضر السفير بعض المال، وقال لنا بالحرف الواحد: هذا من الملك إدريس لوالدة عبدالكريم».

كان والدي رحمه الله مؤمناً بربه وكان أشد ما يحرص عليه صلاة الجماعة. ولقد كرس حياته لخدمة الأرامل والأيتام والشيوخ، كان إذا قصده أحد في حاجة لا يعرف كلمة لا، ولو كلفه ذلك أن يدفع من ماله، كان يحب الناس وكان حريصاً على صلة الرحم، كان ذا عاطفة جياشة إذا ودعنا في سفر بكى وإذا أبصر أو سمع عن شيء يغضب الله بكى، ومن كلماته المأثورة التي حفظتها عنه: «نحن نحرث للدنيا فعلينا أن

نحرث للآخرة» وقد حج اثنتين وثلاثين حجة وحججت معه حجتين وكان يحج معه في كل عام أربعون رجلاً من أهالي ينبع والمدينة المنورة إذ كان هو مقدمهم حيث كانت له خيام وأدوات من مستلزمات الحج يودعها في كل عام في مستودع صديقه التاجر المعروف في المسعى بمكة المكرمة «جميل نايته». وكما قال لي أهلي في ينبع أنه يوم رحيله كرمته مدينته ينبع إذ خرجت بقضها وقضيضها، رجالها وشبابها وشيوخها، وهي تشيع جثمانه إلى مثواه الأخير.

رحمك الله يا أبي، لقد عرفتك فعرفت فيك الرجل المؤمن الموحد بربه، المخلص لدينه ولأهله ولعشيرته ولبلاده.

***

حامد عبدالرؤوف الخطيب

وجميع آل الخطيب المقيمون بينبع يجمعهم جدٌ واحد هو مصطفى بن سليمان بن عبدالعزيز الخطيب الهاشمي، وكان أكثر رجال هذه الأسرة يمتهنون التجارة، وكان حامد عبدالرؤوف واحداً من تجار ينبع وأعيانها، يستورد من الداخل ومن الخارج، كما كان يعمل وكيلاً لبعض تجار المدينة، وكانت له بعض السفن الكبيرة التي تحمل الأرزاق بين موانئ البحر الأحمر، وكانت له تجارة واسعة مع تجار منطقة جازان، إذ كان يستورد منها الحبوب، كما كانت له تجارة واسعة مع تجار منطقة وادي الصفراء القريبة من ينبع، وهو صاحب السبيل المعروف بين ينبع البحر وينبع النخل، إذ كان من الروافد النافعة لسقيا المسافرين، وكان يطلق عليه «سبيل أبو عبدالرؤوف». فجزاه الله خير الجزاء على هذا العمل الذي خلد له الذكر الحسن بين أهالي بلاده، وكان من أكرم الرجال: إذ كانت داره مفتوحة للوافدين من أصدقائه من أهالي المدينة وينبع النخل. كان رجلاً مرحاً دمث الخلق، هاشاً باشاً، له محبة بين أهالي مدينته ينبع، وبين أسرته، كريماً جواداً لا يبخل على الآخرين إذا ما استنجد به أحد. وهو جد زملينا الإعلامي الأستاذ مدير عام وكالة الأنباء السعودية سابقاً بدر أحمد كريم، وكان حامد عبدالرؤوف يمتلك عدة قصور في مدينة ينبع، وعدداً من البساتين في ينبع النخل، وبعض الدور في المدينة المنورة، كما كانت له سفن بحرية تجوب موانئ البحر الأحمر تحمل البضائع، وكانت من أكبر سفنه «البحراوي» وهي تحمل ألف طن من الأرزاق.

لقد أنجب العديد من الأولاد وكان أكبرهم محمد الذي تولى تجارة

والده بعد رحيله، وعبدالحميد رجل الأعمال الذي كان مقيماً بجدة، وتوفي عام ١٤١٧هـ، وحمدان وكان من موظفي الجمارك بالمدينة المنورة ومازال مقيماً بها.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع المرموقين والمعروفين بالتجارة الواسعة، إنه حامد بن محمود عبدالرؤوف الخطيب الهاشمي نسباً فليرحمه الله، ومن أحفاده اليوم بجدة رجل الأعمال محمد عبدالحميد.

ويجتمع آل الخطيب في مدينة ينبع في جد واحد هو مصطفى بن سليمان بن عبدالعزيز، وأنجاله عبدالرؤوف وعبدالرحيم وعبدالله وعبدالرحمن وسليمان ومحمد وأحمد، وقد أنجب عبدالرؤوف محمود وعبدالقادر، وأنجب عبدالرحيم حسين وحسن وحامد، وأنجب عبدالله محمد وحسين وأحمد، وأنجب عبدالرحمن أحمد ومحمد، وأنجب سليمان مراد، وأنجب محمد مصطفى وموسى وحامد، وأنجب أحمد محمد.

***

محمد ياسين بخيت

أسرة آل بخيت من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من رجال هذه الأسرة الشيخ محمد ياسين بخيت، كان واحداً من أعيان مدينة ينبع وتجارها المعروفين، يستورد من الداخل والخارج، وعمل وكيلاً لبعض تجار المدينة المنورة يرحل لهم بعض ما يرد لهم من الخارج، وكان لمحمد ياسين العديد من الدور وبعض البساتين الزراعية في قرية سويقة بينبع النخل، منازل عبدالله بن الحسن المثنى جد أشراف ينبع، وكانت له دور في المدينة المنورة، وكان ورث التجارة عن والده ياسين بخيت الذي رحل إلى الشام واستقر في دمشق، وكون له أسرة هناك وأخوال محمد ياسين بخيت «آل الخطيب». وقد خلف العديد من الأولاد النافعين، وكان أكبرهم مدني، ومن ثم عبدالله اللذين كانا يساعدان والدهما في الدفة التجارية، وفؤاد الذي درس التجارة في القاهرة، ثم عاد وعمل مديراً لمصفاة بترول جدة، ثم اتجه للتجارة، وزياد رحمه الله درس في القاهرة وخرج من الجامعة الأمريكية وعمل مديراً لمعهد الإدارة، توفي في ريعان شبابه في حادث سيارة في عام ١٣٩١هـ.

في منتصف الستينيات الهجرية وحينما ركدت الحياة في ينبع بسبب الحرب العالمية الثانية انتقل بتجارته إلى المدينة المنورة وأصبح واحداً من تجارها، كان على جانب من الأخلاق الرفيعة، صاحب روح طيبة يلقى الناس بكل الحب، وكانت داره مفتوحة لكل الوافدين من أصدقائه من أهالي المدينة المنورة، اخترمه الموت في عام ١٣٩٦هـ بالمدينة المنورة، ومن رجال الأعمال المعروفين اليوم في المدينة المنورة ابنه عبدالله بخيت،

كذلك من رجال الأعمال طلعت وزكي بخيت، ومن أعمام الشيخ محمد ياسين بخيت حمزة بخيت الذي كان معتمد الشيوخ في صرف الرواتب في بداية العهد السعودي، وهو والد الوجيه سمان بخيت رحمه الله الذي كان واحداً من أعيان المدينة، ومن أعمامه الشيخ حسن طه بخيت، كان من موظفي إمارة ينبع، وهو جد الأديب الشاعر في ينبع الأستاذ طه بخيت.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أعيان ينبع وتجارها المعروفين الشيخ محمد ياسين بخيت رحمه الله.

***

محمد أحمد عثمان خلاف

كان الشيخ محمد أحمد عثمان واحداً من أسرة آل خلاف العريقة في ينبع، تعلم في كتاتيب ينبع كما قال رحمه الله، ثم طلب العلم: علم الفرائض والفقه والتوحيد على يد عالم ينبع الشيخ حامد القباني، وعلى يد عمه محمود بن سعد عثمان خلاف، الذي كان نائباً لقاضي ينبع عام ١٣٤٤هـ، كما وجدنا من خلال الوثائق الشرعية أن الشيخ سعد عثمان خلاف كان قاضياً لينبع في العهد العثماني سنة ١٣٢٠هـ، وبدأ الشيخ محمد أحمد عمله بمحكمة ينبع الشرعية، إذ عمل كاتباً للعدل ومن خلال الوثائق نجد أنه كان وكيلاً لقاضي ينبع في هذا العهد عام ١٣٥٢هـ، وكان قاضي ينبع يوم ذاك: أحمد بن حامد بن سليمان هرساني من أهالي مكة، كما وجدنا أن قاضياً من هذه الأسرة كان قاضياً لينبع في عام ١٣٤٦هـ وهو الشيخ أبو بكر بن عمر هرساني.

وفي الستينيات الهجرية ودع الشيخ محمد أحمد عثمان محكمة ينبع ليتولى أول إدارة فتحت للأوقاف في ينبع، إذ كانت هناك أوقاف عديدة للحرم النبوي الشريف، فقد أدى رسالته في رعاية الأوقاف، كما كان إماماً لأحد مساجد ينبع، اخترمه الموت في السبعينيات الهجرية بعد أن ترك العديد من الأولاد النافعين وأكبرهم عثمان الذي كان مديراً للأحوال المدنية في مدينة جدة في السبعينيات الهجرية رحمه الله، وسليمان الذي كان في السبعينيات الهجرية مديراً لمرفأ ينبع ومراسلاً لجريدة «المدينة» حينما كانت تصدر في المدينة المنورة لأصحابها علي وعثمان حافظ.

ومن أنجاله أحمد الذي كان يعمل محاسباً لإدارة الأوقاف في ينبع.

كان الشيخ محمد أحمد حينما تسلم إدارة الأوقاف بينبع حريصاً على إصلاح المساجد والزوايا القديمة وترميمها وتزويدها بالفرش الجديد والإضاءة في كل من ينبع البحر وينبع النخل ومنطقة العيص.

لقد رحل الشيخ محمد أحمد عن هذه الحياة بعد أن ترك الأثر الطيب من خلال خدمته في القضاء وإدارة الأوقاف رحمه الله، إذ كان واحداً من فقهاء ينبع المعروفين.

***

حامد خلاف

آل خلاف من أكبر الأسر العريقة في مدينة ينبع، وهي أسرة علم وقضاة، الشيخ حامد محمد مصطفى خلاف: ولد وتعلم في مدينة ينبع، ولم يكتف بالتحصيل المدرسي بل اتجه لطلب العلم على يد عالم ينبع الكبير الشيخ حامد القباني، وكانت له تجارة بحرية ويملك العديد من السفن والدور في مدينة ينبع وبعض البساتين في قرية العلقمية التاريخية التي خرج منها جد الأشراف قتادة عام ٦٧٥هـ، واستولى على وادي الصفراء ثم استولى على الحكم في مكة من أبناء عمومته الهواشم، واستمر حكم الأشراف في الحجاز حتى عام ١٣٤٣هـ حينما جاء حكم المغفور له الملك عبدالعزيز.

والشيخ حامد خلاف كان يعتبر واحداً من أعيان ينبع في زمانه، إذ كانت تختاره إمارة ينبع في اللجان التي تكونها لحل المنازعات، إن كانت على حدود بساتين في ينبع النخل أو حدود مساقي صهاريج في ينبع البحر، واختير إماماً وخطيباً للجامع الكبير في مدينة ينبع عقب رحيل إمامه الشيخ أحمد عبدالغفار، وهو مسجد ابن عطاء الذى أزيل في عام ١٣٨٣هـ وأدخل في ميناء ينبع الجديد، وقد وقع الاختيار على الشيخ حامد خلاف في منتصف السبعينيات الهجرية ليكون مديراً للمدرسة الأميرية الوحيدة في مدينة ينبع يوم ذاك ومندوباً لإدارة التعليم بالمدينة، إذ كانت مدرسة ينبع النخل والعيص مرتبطة بمدرسة ينبع البحر، وكان الشيخ حامد خلاف على جانب من الأخلاق الطيبة والسمعة الحميدة، كان كثيراً ما يحتكم إليه الناس في ينبع إذا ما حدث بينهم

خلاف على شيء معين ، وكان حريصاً أن يحج كل عام .

لقد رحل الشيخ حامد خلاف في شهر رمضان ١٤١٠هـ بعد أن ترك الأثر الطيب ، ومن أشقائه أحمد خلاف من موظفي جمارك جدة سابقاً ، والأستاذ عبدالحميد خلاف من مدرسي المدرسة السعودية سابقاً، كما خلّف العديد من الأولاد النافعين وأكبرهم الأستاذ محمد مدير مدارس الثغر بمدينة جدة سابقاً .

كانت هذه سيرة عطرة لواحدٍ من رجال ينبع وأعلامها الشيخ حامد محمد مصطفى خلاف .

* * *

مصطفى خلاَّف

كم من الرجال في هذه الحياة دأبوا على الجهاد المتواصل، وكونوا أنفسهم بأنفسهم وكافحوا حتى أصبح يشار إليهم بالبنان، إما في التحصيل العلمي، وإما في التجارة.

وهذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع المكافحين الذين شقوا طريقهم في هذه الحياة بالجهاد المتواصل، إنه مصطفى خلاف، وتعود أسرة آل خلاف بنسبها إلى قبيلة غفار، كما جاء في وثيقة النسب التي بعث بها إلينا المهندس زكي عبدالجواد حسين علام، وتشير الوثيقة أن آل الخلاف، وآل العلام يجتمعون في جدّ واحد وهو «مطاوع» ومصطفى خلاف ولد في مدينة ينبع وتلقى تعليمه في كتاتيبها يوم ذاك، ودرس وحفظ القرآن الكريم، وعكف على الدراسة على يد عالم ينبع الكبير الشيخ حامد القباني رحمه الله، وقد توفى والده وهو في الخامسة عشر من عمره، فبدأ التجارة مع جده، وبجده واجتهاده وحسن معاملته كسب ثقة الآخرين، وأصبح فيما بعد من كبار التجار الذين يصدرون الفحم الشجري إلى جمهورية مصر العربية الشقيقة، كما كان يستورد الحبوب والأقمشة من البلدان العربية، وإلى جانب التجارة توجه إلى الزراعة، وكان من ملاك العديد من البساتين بقرية عين علي الحربية بينبع النخل.

وكان مصطفى خلاف ذا سمعة طيبة وأخلاق فاضلة، رجلاً سمحاً محبوباً بين أهالي بلاده، إذ كان واحداً من أعيان ينبع، واختير أكثر من مرة ليكون عضواً في المجلس البلدي، كما كان عضواً في هيئة الزراعة، وقد توفي في عام ١٤١١هـ.

لقد رحل مصطفى خلاف بعد أن ترك الأثر الحسن بين أهالي بلاده ومحبيه، وقد خلف العديد من الأولاد النافعين وأكبرهم رجل الأعمال أحمد خلاف، والأستاذ حمود الذي تخرج في كلية الآداب، وتقلب في عدة وظائف كان آخرها مدير إدارة القوى العاملة بوزارة العمل، ثم عين مديراً لمكتب العمل ببلاده ينبع إلى أن تقاعد، واتجه إلى التجارة في الوقت الحاضر، والمهندس حامد ويحمل ماچستير في الجيولوچيا، ويعمل مديراً عامًا بالثروة المعدنية بمدينة جدة، والأستاذ ناجي ويعمل مديراً لجوازات ميناء ينبع، والأستاذ عودة ويعمل مدرساً.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أعيان ينبع وتجارها، إنه الشيخ مصطفى عبدرب الرسول خلاف الغفاري.

***

صالح عبدالرحمن الحيدري

رحم الله المدرسين الأوائل الذين ضحوا بجهودهم في دنيا الثقافة والمعرفة، ورحلوا عن هذه الحياة دون أن يذكروا أو تدبج لهم سير تحفظ ماضيهم الحافل بالتضحية والإخلاص، وكان أحدهم أستاذنا صالح بن عبدالرحمن الحيدري، والحيادرة من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكانت منازلهم قرية شعتاء بينبع النخل.. أما في ينبع البحر فكانت لهم محلة خاصة يطلق عليها اسم محلة الحيادرة، تقع شرقاً من قلب مدينة ينبع القديمة بالقرب من أسوارها، ولكن هذه المحلة تهاوت أكثر دورها بمرور الزمن بحكم هجرة أكثر أفراد هذه الأسرة إلى المدينة المنورة، ودخل موضع هذا الحي في وقتنا الحاضر في توسعة ميناء ينبع. ويقول صاحب كتاب تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب عبدالرحمن الأنصاري الذي قام بتحقيقه المؤرخ التونسي الأستاذ محمد العروسي المطوي ما نصه: «بيت الحيدري أصلهم من وادي ينبع المعمور ثم سكن المدينة المنورة منهم جماعة كثيرون، من أشهرهم الشيخ محمد سعيد الحيدري، كان رجلاً كاملاً عاقلاً ورد المدينة عام ١١٤٠ هجرية، واشترى الحديقة المعروفة بالبريدي بجزع قربان وعمرها وأوقفها على أولاده وتوفي سنة ١١٥٠ هجرية».

وما زال هناك الكثير من أسرة الحيادرة يقيمون في منطقة ينبع النخل وفي قرية شعتاء، وأذكر منهم أسرة صالح الحيدري، والد زميلنا الأستاذ عبدالرحمن الحيدري الذي كان موظفاً بوزارة الاعلام وغيره من آل الحيدري.

وأستاذنا صالح الحيدري تعلم في المدرسة الرشيدية في المدينة المنورة، كما درس في أروقة المسجد النبوي الشريف على يد العديد من العلماء، وعمل في سلك التعليم، فكان أستاذاً مخلصًا ونموذجًا للمدرس المثالي الذي يحرص على مصلحة تلاميذه في سبيل التحصيل العلمي الجيد، وفي منتصف الستينيات الهجرية عين مديراً لمدرسة بلاده ينبع الأميرية فقام بإدارتها إدارة متميزة.. إذ كان الرجل رحمه الله يتميز بالهدوء والمرونة والرزانة، وكان متمكناً في علم اللغة العربية، وكان واحدًا من الغيورين عليها، وكنت واحدًا من تلاميذه في نهاية المرحلة الابتدائية، قضى سنين عديدة يدرس اللغة العربية إلى جانب إدارة المدرسة، حتى نقل إلى المدينة المنورة، وعمل وكيلاً لأول مدرسة ثانوية تؤسس بالمدينة المنورة يوم كان مديرها يومذاك الأستاذ أحمد بو شناق، ولما ترك أستاذنا صالح الحيدري مدينة ينبع ترك الأثر الطيب والذكر الحسن بين أهالي بلاده وتلاميذه، عرفته فعرفت فيه الأخلاق الرفيعة وحبه للناس وحب الناس له، وبعد أن ودع التدريس ظل مقيمًا في المدينة المنورة، كنت أبصره كلما زرت المدينة لا ينقطع عن المسجد النبوي الشريف لتأدية الفرائض المكتوبة، كان رحمه الله كلما أبصر شخصاً من أهالي بلاده ينبع يسأله ويستفسر عن الكبير والصغير، وعن أحوال تلاميذه وما وصلوا إليه في هذه الحياة، إذ قضى معهم سنين من أجمل سني حياته، وفي أول الثمانينيات الهجرية توفي أستاذنا صالح الحيدري بالمدينة المنورة، فحزن عليه أكثر محبيه ومعارفه، ولكن لم ترحل ذكراه من قلوب الذين عرفوه إذ ترك بينهم السيرة العطرة فليرحمه الله.. إنه أستاذنا صالح بن عبدالرحمن الحيدري.

***

إبراهيم العياشي

العيايشة من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وهم ينتمون إلى جدهم الأكبر محمد بن عبدالله بن الحسن، ذو النفس الذكية، والذي خرج من ينبع إلى المدينة على أبي جعفر المنصور في عام ١٢٤ هجرية؛ ومن العيايشة حاكم ينبع في العهد السعودي الأول جابر بن جبارة العياشي، والذي كان له موقف مشرف في عام ١٢٢٦هـ، حينما زحف طوسون بن محمد علي بجيوشه على ينبع. فيؤكد لنا المؤرخ عثمان بن بشر صاحب كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» وفاء أهالي ينبع وحاكم هذه المدينة جابر فيقول: «فلما اجتمعت العساكر في الينبع ـ بقصد احتلالها ـ هرب منها رئيسه جابر بن جبارة، وقصد المسلمين بوادي الصفراء القريب من ينبع. ولقد كتب الله الهزيمة يومذاك لجيش طوسون، فولوا هاربين إلى ميناء البريكة أي الجار القريبة من ينبع الميناء».

وإبراهيم العياشي واحد من هذه الأسرة، تلقى تعليمه في المدينة المنورة وعمل في شرطة المدينة، وآثر حياة الاغتراب مبكراً وهو ما فتىء في ريعان شبيبته، وعاد إلى بلاده في بداية السبعينيات الهجرية ليعمل مديراً لمدرسة ينبع السعودية، وكان مولعًا بالبحث والتنقيب في معرفة الأماكن التاريخية في منطقة المدينة وما حولها من الأماكن والأودية والجبال حتى أصبح مرجعًا يعود إليه الكثير من الباحثين والدارسين في مواضع المدينة وأماكنها. وقد قام إبراهيم العياشي رحمه الله بتأليف كتاب ضخم عن تاريخ المدينة المنورة يظل من المراجع القيمة ويظل له أثر باق في تاريخ مدينة الرسول ﷺ، كما قام بتأليف كتاب يقع في ٢٢٥ صفحة من القطع

المتوسط وسماه «في رحاب الجهاد المقدس غزوة بدر الكبرى» وقد قام النادي الأدبي بالمدينة المنورة بنشره في عام ١٤٠١هـ والمؤلف يبحث في غزوة بدر الأولى والثانية والتعريف بمنطقة بدر والتكوين الطبيعي لها وأوديتها وجبالها ونشاطها التجاري في الماضي ويتحدث عن المساجد الأثرية فيها كما يتحدث عن شهداء بدر من صحابة سيد البشرية وأطل بنا على أشياء عديدة على حياة تلك المنطقة الزراعية والاجتماعية وعاد بنا إلى الماضي البعيد القريب عن التربية والتعليم في تلك المنطقة فيقول:

كانت بدر خالية من النواحي التعليمية الصحيحة والتربوية تماماً إلا من شيء بسيط جداً بدائي للغاية في كتاب القرية لا يتجاوز قراءة القرآن قراءة قاصرة لا يجيدها المعلم، ومضى في عهد كان التعليم في بدر في زاوية مظلمة ضيقة جداً لا يحسد عليها، شأنها في ذلك شأن بقية قرى الحجاز إلى أن يقول: وجاء عهد النور، تضيء مشكاته، فبدأ الشريف عاتق بن محمد سالم بن نامي نقطة البداية في خط التعليم، وتكرم أحد أعيان الحجاز الشيخ إبراهيم شاكر يرحمه الله بمدرسة بدائية، كانت مديرية المعارف وقت الشيخ محمد بن مانع يرحمه الله تزودها بشيء من المطبوعات، ولما انشأت الدولة وزارة المعارف صار في التعليم انقلاب كبير ووصلنا إلى مصاف الأمم النامية في الطريق إلى الرقى وعم نشاطها القرى والمدن في أوسع الميادين. وأشار المؤلف إبراهيم العياشي في مقدمة كتابه أنه ألف كتاباً باسم «مغازي المدينة» وهو على نهج هذا المؤلف، ولكن لعل هذا المؤلف لم ير في وقتنا الحاضر النور.

لاشك أن إبراهيم العياشي يرحمه الله قد خدم التاريخ بهذه المؤلفات، ويظل له تاريخ مشرق بعد رحيله. ومن أعيان ينبع في هذا العصر ورجالها البارزين: الشيخ أحمد بن إبراهيم العياشي يرحمه الله وظل

إبراهيم العياشي مقيماً في المدينة إلى أن اخترمه الموت في عام ١٤٠٣هـ، بعد أن ترك الأثر الطيب والتاريخ المضيء في حياة بلاده ينبع وأمته. فليرحمه الله.

* * *

دخيل الله القاضي

ويرحل الأفراد من هذه الحياة ويظل لهم تاريخ باق إن هم جاهدوا وكافحوا في سبيل الله والوطن وحديثنا الآن عن واحدٍ من رجال ينبع وأعيانها، ومن الذين تركوا أثرًا في الجهاد الواسع في تاريخ بلادهم، إنه الشيخ دخيل الله القاضي شيخ فخذ القضاة من قبيلة جهينة والقضاه منازلهم ينبع النخل، ووادي الحمض القريب من الوجه، وهو من أودية الحجاز المعروفة، وتصب فيها أكثر أودية سيول المدينة المنورة. وكان دخيل الله القاضي يُعد من شجعان القبائل المعروفين إذ هو جاهد وقاد العديد من المعارك بالقرب من ينبع والمدينة وفي شمال الحجاز في الحرب التاريخية المعروفة بين الأتراك وأهل الجزيرة العربية، إذ تحدث لورانس صاحب كتاب أعمدة الحكمة السبعة وأشار إليه في أكثر من موضع أثناء سير المعارك حول أسوار مدينة ينبع، فيتحدث عن ذكائه العسكري فيقول: وتدفق الجند والتحق كل واحدٍ بمركزه، كما أرسل رجال البحرية في منارات المساجد وإلى السفن التي سلطت أضواءها الكشافة على السهل لتحدد لنا الأماكن التي يمكن للعدو أن يهاجمنا منها، ولكن لم تبد من الأتراك بادرة تضطرنا إلى اطلاق النار، ويقول فيما معناه: علمت فيما بعد أن دخيل الله هو الذي قاد الأتراك إلى أسوار ينبع لكي تحل عليهم الهزيمة، لكن ما أن وصلوا حتى وجدوا المدينة هادئة ساكنة ورأوا السفن في المياه ترسل أنوارها الكاشفة فخانتهم أعصابهم وانسحبوا عائدين، وهكذا خسر الأتراك في هذه الليلة حربهم في الحجاز، وكان ذلك بذكاء دخيل الله القاضي. وإن كان للشيخ دخيل الله دورٌ في الكفاح والجهاد في سبيل تحرير الحجاز، كان كذلك لابنه محمد دور في الكفاح

المتواصل إذ أدار العديد من المعارك، إذ ذكره لورانس العرب في أكثر من موضع وتحدث عنه أكثر من مرة فقال عنه: «وفي الصباح الباكر موعد الهجوم المقرر أيقظني محمد الذي كان متشوقاً لرؤية المعارك، ويشير أن محمد القاضي كان شجاعاً وفدائياً كبيراً، فقد ساهم في نسف العديد من قلاع الأتراك ومراكزهم، وكما يقول الأجداد الأولون إن الشيخ دخيل الله القاضي كان من خيرة رجال قبيلته جهينة ذا مروءة شجاعًا كريماً، كما ورث عنه ابنه محمد تلك الصفات ومن رجال القضاة ومشايخها في هذا العصر: مسعد بن عودة القاضي - رحمه الله - وكان من أعيان ينبع ورجالها البارزين وعلى جانب من الشهامة والمروءة والأخلاق الفاضلة، يذكره أهالي بلاده ينبع بالخير. وقد اخترمه الموت في السبعينيات الهجرية.

كانت هذه سيرة عطرة لواحدٍ من رجال ينبع المجاهدين، ومن شجعان الجزيرة العربية، إنه الشيخ دخيل الله القاضي الجهني.

***

الشيخ عبدالرحمن أبو مضاي العلوني

وما أكثر المكافحين في سبيل الحياة، وما وراء الحياة، وعبروا الطريق الطويل بالعزيمة الوثابة الصادقة من أجل التحصيل والعلم والثقافة والمعرفة، وصديقنا الذي نتحدث الآن هو واحد من الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم كما يقول الشاعر:

نفس عصام سورت عصاماً وعلمته الكرم والإقداما

هو الشيخ عبدالرحمن أبو مضاي العلوني من قبيلة جهينة، وجهينة منازلها ينبع، وجهينة من قضاعة، وقضاعة من سبأ، وسبأ من حمير، وهذه القبيلة لها تاريخها الواسع ودورها في صدر الإسلام في منطقة ينبع والمدينة المنورة، إذ ساندت سيد البشرية ﷺ في دعوته، واشتركت جماعة منها في فتح مكة ومنهم عقبة بن عامر الجهني الصحابي الجليل، روى عن النبي ﷺ كثيراً، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، وكان شاعراً وكاتباً، وهو أحد الذين جمعوا القرآن بقول أبي سعيد بن يونس، كان قارئاً وعالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان ورأيت مصحفه بمصر على غير جمع مصحف عثمان، وكان هو المشير على الخليفة عمر بن الخطاب بفتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية وأمَّره بعد ذلك على مصر، ولازال أحد الأماكن بالجيزة بمصر يحمل اسمه وهو «ميت عقبة».

وهناك العديد من الصحابة ورواة الحديث من تلك القبيلة، ومن أراد أن يعرف شيئاً من ذلك فليعد إلى مؤلفنا «تاريخ جهينة». وشيخنا عبدالرحمن أبو مضاي لم تتح له ظروفه الخاصة في أول حياته أن يدخل المدارس في مدينة ينبع، ولكن على كبر شرح الله صدره لطلب العلم

والتحصيل الجاد، فأصبح واحداً من تلاميذ عالم ينبع الشيخ حامد القباني في حلقته اليومية في مسجد السنوسية الكبير في أطراف المدينة، وفي تلك الحلقة أخذ عبدالرحمن أبو مضاي صاحب العزيمة الصادقة ينهل من علوم الدين العديدة من فقه وتوحيد وفرائض، وبروحه الغلابة وطموحه الكبير أصبح واحداً من المتعلمين، وأخذ يبحث عن المزيد فرحل من ينبع إلى المدينة، وطلب العلم في المسجد النبوي الشريف على عدد من علماء المدينة المنورة، وأنار الله بصيرته حتى تمكن من تأليف بعض الكتب الدينية النافعة ومنها:

١- كتاب النفحات الصمدية على مذهب الإمام الشافعي.
٢- الروض الأنيق في أحوال الورثة.
٣- قطف الثمار في أحكام الحج والاعتمار على المذاهب الأربعة.

وعين فيما بعد مدرساً للعلوم الدينية بمدرسة النجاح بالمدينة المنورة، وله حلقة يومية بالمسجد النبوي الشريف يدرس فيها الفقه والتوحيد لكثير من شباب المدينة، ومن شباب ينبع. ويتصف الشيخ عبدالرحمن بالهدوء والرزانة والتقوى والصلاح، نسأل الله أن يطيل في عمره وينفع به وبمؤلفاته.

كانت هذه سيرة لواحد من أبناء ينبع الذين شقوا طريقهم بالدأب والكفاح المتواصل في سبيل التحصيل العلمي، إنه الشيخ عبدالرحمن أبو مضاي العلوني.

***

السيد عبدالله بن علوي آل زارع

أسرة السادة آل زارع الحسينين نسباً من أقدم الأسر في مدينة ينبع، ويعودون إلى جدهم التقي الصالح الورع زارع، ويشير إلى ذلك المؤرخ التركي أيوب صبري باشا في كتابه «مرآة جزيرة العرب» الجزء الثاني، فيقول في معرض حديثه عن السادة الحسينية: «ويطلق على السادة الحسينية الذين يسكنون ينبع الزراعية»، ولعل ذلك نسبة إلى جدهم زارع الذي اخترمه الموت في ينبع ودفن في المقبرة التي أسسها ونسبت إليه، ولازالت مقبرته معروفة حتى اليوم وتحمل اسمه، وتقع في شرق مدينة ينبع القديمة، وكانت خارج أسوارها، واليوم بين أيدينا وثيقتان شرعيتان لأملاك السادة آل زارع في حي القاد في ينبع بتوقيع عبدالرحمن الخطيب، وكانت إحداهما بتاريخ ٢٠ ذي القعدة عام ١٢٢٩هـ، وبعض الوثائق فيما بعد بتوقيع قاضي ينبع سعد عثمان خلاف عام ١٣٢٠هـ، وكان لهذه الأسرة دور كبير في النقل البحري بين ينبع والموانئ الأخرى على البحر الأحمر ومنها القصير، بورسودان، مصوع، أريتريا، الحديدة إذ ينقلون البضائع والركاب، والثابت تاريخياً أنهم كانوا ينقلون على سفنهم الحجاج القادمين من مصر بالمجان، وينفقون عليهم طيلة رحلتهم، فلا شك أن الله سيكتب لهم الأجر فيما ذهبوا إليه ولقد كان لأهالي ينبع فيهم محبة كبيرة لما اتصف به افراد هذه الأسرة من الأمانة والتقوى والصلاح، وفي الستينيات الهجرية كانت سفينتهم النجابة بمثابة البريد بين ينبع وجدة إذ تحمل الركاب والرسائل وصرر النقود للتجار، ومن أسماء سفنهم العديدة التي كانوا يمتلكونها في ينبع «البرق»، «خضرا»، «الذهبية»، النجابة» و «تسمى».

ومن أبرز رجال هذه الأسرة في هذا العصر السيد عبدالله بن علوي ابن عبدالرحيم بن أبي الحسن بن حسين بن علي بن زارع إذ كان هو عميد أسرته الكبيرة التي تسكن حي القاد بينبع ، وكان هو يدير بنفسه شخصياً سفنهم العديدة التي تمخر عباب البحر الأحمر طيلة العام ، وكان موضع تقدير أهالي بلاده هو وأسرته الجليلة ، وقد اندمجت هذه الأسرة بصلة الرحم مع العديد من الأسر الكبيرة والعريقة في ينبع ، وكان السيد عبدالله رجلاً فطرياً كريماً سخياً فيه تقى وصلاح ، ومن أبرز رجال هذه الأسرة في وقتنا الحاضر : حميدي السيد مدير بريد ينبع ، وحمدي السيد مدير الشئون الإدارية بوكالة المشاريع بوزارة المعارف ، وأحمد السيد مدير ثانوية الملك عبدالعزيز بينبع ، وعودة السيد مدرس بالمدينة المنورة ، ومحمد السيد بإمارة ينبع ، وأن ظل لهذه الأسرة تاريخ في ماضيها وحاضرها في مدينة ينبع فهو تاريخ الأمانة والتقى وحبهم للناس وحب الناس لهم .

***

محمد حسن أخضر

كثير من الأفراد قد ودعوا هذه الحياة بعد أن تركوا الأثر الطيب في خدمة بلادهم وأمتهم وكان أحدهم الشيخ محمد حسن أخضر.. وتنحدر أسرة الأخضر من منطقة الريان بينبع النخل وكانت من الأسر التي رحلت من ينبع واستقرت بمدينة جدة وكان من أبرز رجالها في هذا العصر محمد بن حسن بن محمد بن مسلم أخضر الأخضر المحياوي الجهني، ولد بمدينة جدة وكان والده رحمه الله إماماً للمسجد الشافعي المعروف بجدة، وقد عرف عن محمد حسن منذ نعومة أظافره حبه للعلم، مما دفع بالشيخ محمد علي زينل يرحمه الله مؤسس مدارس الفلاح بتخصيص مرتب شهري له لتفوقه على أقرانه، ولايزال اسمه مدوناً في لوحة الشرف بمدارس الفلاح وبعد تخرجه اختاره ليكون ضمن البعثة التعليمية السعودية في الهند.

وعندما عاد من هذه البعثة التحق بسلك القضاء وكتابة العدل بجدة لفترة بسيطة، عاد بعدها إلى بلاده ينبع حيث استقر بها سنين عديدة، ومن ثم صدر الأمر بتعيينه مديراً لجمارك منطقة الرياض، وظل في هذا المنصب حتى عين مديراً لمصلحة الخرج بترشيح من الملك سعود يرحمه الله حينما كان ولياً للعهد، بعد ذلك صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً لبلدية مدينة الرياض، وحينما كان الملك سعود ملكاً للبلاد أمره بتأسيس فرع لمؤسسة النقد السعودي بمدينة الرياض وعمل كمدير لهذا الفرع.

وفي تلك الفترة بدأت الحركة الاقتصادية في بلادنا وظهرت للوجود أنشطة البنوك والمراكز التجارية، وقد ساهم الشيخ محمد حسن أخضر

في العديد من اللجان وذلك في مراحلها التأسيسية ومنها «لجنة استثمار الأموال الأجنبية» ولجنة مصلحة معاشات التقاعد، وقد أحيل إلى التقاعد بناء على رغبته.

وقد تم تكريمه قبل رحيله من هذه الحياة بمنحه درع الأمانة ضمن من كان لهم شرف المشاركة في تأسيس مدينة الرياض وقد انتقل إلى جوار ربه في اليوم الثالث من شهر رمضان عام ١٤١٢هـ، وقد خلف العديد من الأولاد النافعين منهم: الدكتور فاروق رجل الاقتصاد المعروف ـ رحمه الله ـ ورئيس المكتب الاقتصادي السعودي سابقاً، والأمين العام للهيئة الملكية للجبيل وينبع سابقاً، والدكتور فتحي أخضر يعمل بمستشفى القوات المسلحة بالرياض، والمهندس الزراعي فواز أخضر ويعمل مديراً لإدارة الموارد الطبيعية بوزارة التخطيط، والدكتورة فوزية الموجهة التربوية لمعاهد التعليم الخاص، والأستاذة فايزة أخضر مديرة مكتب التوجيه النسوي بمنطقة الخفجي، والأستاذة فتحية أخضر المديرة المساعدة للبنك السعودي الأمريكي قسم السيدات بالرياض.

عرفت الشيخ محمد حسن أخضر يوم كنت يافعاً في بلادي ينبع، إذ كانت تربطه علاقة وشيجة بأسرتنا وكانت الابتسامة العريضة لا تفارق محياه وكان ذا رزانة أنيساً وله محبة في قلوب أهالي بلاده ينبع، وهو صاحب السمعة الطيبة عرفت فيه الاستقامة واخلاصه لبلاده ودولته.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع الذين رحلوا من هذه الحياة تاركين وراءهم السيرة العطرة والذكرى الخالدة، إنه الشيخ محمد حسن أخضر واحد من رجال مدينة ينبع.

***

موسى الطحلاوي

تعتبر أسرة آل الطحلاوي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، ويعودون بنسبتهم إلى فخذ «الحمدة» من قبيلة جهينة، ومن أشهر رجالها في هذا العصر، موسى الطحلاوي الذي يعتبر من الرجال العصاميين الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم، تلقى تعليمه في بلاده ينبع، ودخل معترك الحياة وهو رجل، كان على جانب من الذكاء وبُعد النظر، وسعة الصدر، إذا ناقشته يناقشك بهدوء واتزان، وربما كان يدرك ماذا تريد أن تقوله له في بعض الأحيان دون كلام. كان صاحب عقلية ناضجة كثيراً ما تختاره حكومة ينبع مشرفاً على الاحتفالات الكبيرة حينما يقدم على البلاد أحد الوزراء أو الأعيان من ضيوف.

كان كثيراً ما يستشيره الناس في بعض الأمور فيسدي لهم النصح الصادق.. عمل موظفاً في إدارة جمرك ينبع، ثم انتقل إلى إدارة التفتيش في المديرية العامة للجمارك بجدة ثم عين مديراً لجمرك مدينة بلاده ينبع لسنوات عديدة، ثم ذهب بصره في أواخر حياته فلزم داره، ولكن لم يقاطعه أصدقاؤه ومحبوه، فكانوا يسعون إليه ويطرحون عليه المشورة، فلم يتردد في النصيحة المفيدة.

ومن أنجاله ـ رحمه الله ـ حسن بالقوات المسلحة وأشرف طحلاوي الذي كان يعمل موظفاً في مالية ينبع، وانتقل إلى جوار ربه في أول عام ١٤١١هـ وكذا شقيقه خلف الطحلاوي الذي انتقل إلى جوار ربه قبل سنين عديدة رحمه الله.. وشقيق موسى الطحلاوي سنوسي الطحلاوي الذي كان عضواً في المجلس البلدي في مدينة ينبع، وتوفي في الخمسينيات

الهجرية ومن أنجاله الأديب وجدي الطحلاوي الذي درس في تحضير البعثات بمكة وعين وكيلاً لمدرسة ينبع الابتدائية، ثم التحق بالجيش فعين مديراً للامدادات والتموين بجيشنا السعودي المظفر، ثم غادر البلاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل التجارة، وتوفى في شهر شوال ١٤١٠هـ، وكان الأستاذ وجدي الطحلاوي واحداً من كتاب جريدة «البلاد» السعودية أي جريدة البلاد اليوم في السبعينيات الهجرية.

وشقيقه السيد وهبي الطحلاوي الذي كان عميدًا في الجيش السعودي وهو اليوم واحد من رجال الأعمال بمدينة جدة، وقد انتقل قسم من هذه الأسرة قبل عشرات السنين إلى بورسودان بقصد الإقامة والتجارة، كما انتقل قسم منها إلى المنطقة الشرقية ببلادنا، وكان منهم الأستاذ أحمد طحلاوي، والأستاذ عبدالمنعم الطحلاوي رجل الأعمال الذي انتقل بعد ذلك رحمه الله بأعماله إلى مدينة الرياض.

ومن أنجاله خالد الذي تخرج في كلية الإعلام بالقاهرة، وهو رجل أعمال، وأخوه رجل الأعمال وليد، وكان من آل الطحلاوي الأستاذ عبدالعزيز الطحلاوي الذي درس بتحضير البعثات، ثم انتقل إلى الملحقية الثقافية السعودية بألمانيا.

وكانت لآل الطحلاوي دار جميلة ورتيبة على سيف البحر، وكثيراً ما كان ينزل فيها ضيوف الحكومة، وقد حل بها ضيفاً رجل المال والصناعة في جمهورية مصر الشقيقة حينما جاء إلى الحجاز عن طريق ينبع «محمد طلعت حرب باشا» وكان ذلك في الخمسينيات الهجرية، وأمانة للتاريخ علينا أن نذكر أنه إذا ذكر تعليم الفتاة في مدينة ينبع ذكرت أسرة آل الطحلاوي، وقبل انتشار التعليم في بلادنا قامت الأختان الكبيرتان للشيخ موسى وسنوسي الطحلاوي واللتان تلقتا العلم عن والدهما

بفتح مدرسة خاصة في دارهم لفتيات مدينة ينبع في الستينيات الهجرية والسبعينيات الهجرية إذ كُنّ يعلمن فيها القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم.

هذه سيرة لواحد من رجال ينبع.. من أسرة كريمة كان له أثر في الحياة، إنه موسى الطحلاوي رحمه الله.

***

عواد أبو جلده

والذكرى العطرة تظل باقية يتناقلها الناس في مجتمعاتهم وفي منتدياتهم، يضربون بها المثل على السمو في الأعمال الطيبة كذكرى لصاحبها بعد رحيله.

وكم من الرجال في بلاد ينبع بحرها ونخلها بذلوا الكثير في سبيل خدمة أمتهم وبلادهم، وأنفقوا الكثير من المال في سبيل إسعاد الآخرين، وهؤلاء النماذج من الرجال ستظل لهم ذكرى عطرة بين ثنايا تاريخ بلادهم. وكان أحدهم الشيخ عواد أبو جلده شيخ فخذ المحايا من قبيلة جهينة. والذي كان واحداً من أعيان ينبع النخل في هذا العصر، كان صاحب نخوة وشهامة ومروءة، وبجهوده وماله الخاص أحيا منطقة الريان الصحراوية المتاخمة لعين عجلان[1]، إذ كانت منازل جدوده من المحايا، فعمل على خدمة ورعاية مصالح الريان والجربان ومنته عبيسه والعباش من الكوبري رقم ١ حتى الأسفلت الموصل لقرية السويق قاعدة ينبع النخل، إذ تتواجد فيه أكثر الدوائر الحكومية، ويقام فيه أكبر سوق في ينبع النخل يوم الاثنين، وقد امتدت خدماته إلى بعض القرى، إذ قام بمجهوده وقبل أن تدخل الكهرباء الحكومية إلى تلك المنطقة بمد شبكة كهرباء وشبكة مياه لمنطقة الريان بمساعيه الحميدة، وكان ذلك بإشراف المجمع القروي بينبع النخل، وكان سعيه متواصلاً لإقامة المرافق النافعة في تلك المناطق.

كان الشيخ عواد أبو جلدة بحق هو المواطن المثالي الذي يستحق

---

(١) سميت عين عجلان نسبة إلى عجلان ابن قتادة أمير مكة.

التكريم بعد رحيله كانت داره في منطقة الريان في ينبع النخل لا تعرف الصمت من كثرة الوافدين إليها من جدة وينبع البحر والمدينة المنورة، فيلقاهم ويكرم وفادتهم ويودعهم بالحب والترحاب، كما كان رحمه الله يساعد المحتاجين من أبناء المنطقة، ويضمد جراحهم ويواسيهم في النازلات.

وقد شهدت له أكثر الدوائر الحكومية بينبع البحر أنه المواطن المخلص، والعضو الفعال، والساعي لإحياء منطقة الريان والقرى المجاورة لها، إذ أصبح هذا الرجل في حياته أنموذجاً يضرب به المثل في الشهامة والكرم والمروءة وقد اخترمه الموت في عام ١٤٠٧هـ بعد أن خلد الأثر الطيب والذكرى الحسنة بين عشيرته وأهل بلاده. وقد خلف من الأولاد الأستاذ ناصر، وقد خلفه في المشيخة، وهو شاب على جانب من الطيبة ودماثة الخلق، ولعله ورث أكثر صفات أبيه وقد تفضل وتعطف خادم الحرمين الشريفين أمد الله في عمره بعزائه في أبيه، كما تفضل النائب الأول سمو ولي العهد بالعزاء، والنائب الثاني سمو الأمير سلطان وسمو الأمير ممدوح جزاهم الله خير الجزاء على هذه المواساة.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع الذين ضحوا في سبيل خدمة أمتهم وبلادهم، إنه الشيخ عواد أبو جلدة شيخ المحايا رحمه الله.

***

الشيخ حسن هباش

أسرة آل هباش من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من أبرز رجالها في هذا العصر الفقيه العالم الشيخ حسن هباش الذي خلف الشيخ محمود الخلاوي في رئاسة طائفة عمال ميناء ينبع، ثم أصبح فيما بعد عمدة لأحد الأحياء الكبيرة في ينبع. وشيخنا حسن هباش وإن كان لم يدخل إلى دنيا العلم المنظم لكنه طلب العلم على يد العديد من علماء ينبع السابقين واللاحقين، وكان أحدهم فضيلة الشيخ محمد سنوسي أبو طالب من آل زارع، وعالم ينبع الكبير الشيخ حامد القباني، وكان الناس في مدينة ينبع كثيراً ما يتهافتون على الشيخ حسن هباش ويستفتونه في كثير من الأمور الشرعية، وما يتعلق بأركان الإسلام الخمسة فيجدون عنده المعرفة التامة والتوجيه السليم، كانت له حلقة يومية على مصطبة بجوار داره وترى الناس يتحلقون حوله كل مساء يعظهم ويرشدهم ويذكرهم بالله واليوم الآخر، كان رجلاً تقياً عابداً صالحاً لا ينقطع عن تلاوة القرآن الكريم ليلاً ونهاراً، يشهد له أهالي مدينته ينبع بحسن الاستقامة وحبه للناس وحب الناس له، يروي كثير من الناس أنه حينما كان عمدة لأحد الأحياء الكبيرة يتفقد أمور الفقراء والأرامل والأيتام، فيسعى إلى أصدقائه من تجار ينبع ويأخذ منهم ما تجود به أريحيتهم، وخاصة إذا زحف الشتاء القاسي على ينبع، إذ هو يؤمن لبعض الفقراء الغطاء والكساء، وإذا ما حدثت مشاجرات أو خلافات في الحي يحاول أن يصلح الأمر بنفسه بين المتناحرين دون أن تصل إلى الدوائر الرسمية، فلهذا كان يحترمه ويجله الصغير والكبير في ينبع، ومن آل هباش في هذا العصر الشيخ حمزة هباش الذي كان عضواً في المجلس

البلدي وعضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عرفته فعرفت فيه الطيبة وحسن الخلق والصلاح، رحل من ينبع واستقر بالمدينة المنورة في أول الثمانينيات الهجرية، فكان لا ينقطع عن تأدية الفرائض الخمس في المسجد النبوي الشريف. وقد اخترمه الموت في شهر ربيع الآخر عام ١٤١٣هـ هجرية، فحزن عليه أهل بلاده. وكان من أشقائه في مدينة ينبع الشيخ ياسين هباش وكان رجلاً ورعاً تقياً صالحاً يشهد له أهل بلاده بالخير، أما الشيخ حسن هباش أحد فقهاء ينبع وعلمائها فقد اخترمه الموت في السبعينيات الهجرية، ورحل من هذه الحياة بعد أن ترك السيرة العطرة والذكرى الحسنة، ومازال كثير من الناس في بلاده ينبع يذكرون شمائله الطيبة وأفعاله الحسنة ومواقفه النبيلة. فليرحمه الله رحمة الأبرار.

***

محمد عبدالمطلوب معوض

حينما ضعفت أحوال مدينة ينبع ضعفاً كان عميق الأثر على أهل نخلها وبحرها في عشر السنين الأخيرة من القرن الماضي وأخذ الناس يجلون عنها بحثاً عن الرزق شرق البلاد وعرضها، وخرج ممن خرج من ينبع واحد من أسرة آل معوض المعروفة في ينبع إنه محمد عبدالمطلوب الذي كان كل ما يملكه من حياته يوم ذلك أنه يقرأ ويكتب فقط وكان يعمل بناءً، خرج ليثبت لعشيرته وأهل بلاده أنه نموذج في العصامية.

رحل إلى المنطقة الشرقية ليعمل في البناء، لكنه بعد سنوات عديدة استطاع أن يكون واحداً من رجال الأعمال المرموقين في المنطقة يشار إليه بالبنان، والمعدن الأصيل دائماً لا يتغير: لم تصرفه الوجاهة والثروة عن مسقط رأسه الأول ومرتع صباه ومنبت جدوده مدينة ينبع وأهلها؛ بل أصبح متعلقاً بها عن بعد، يسأل عن أحوالها وأحوال أهلها ويستضيف كل وافد من أهل بلاده إلى المنطقة الشرقية ويساعده إذاما طلب منه المساعدة.

كان إذا ما سمع عن إقامة أي مشروع نافع يقام في مدينته يساهم فيه بما يتاح له من مساهمة، وفي أحد الأعوام ما إن سمع عن تأسيس أول ناد رياضي في ينبع عام ١٣٧٢هـ وهو «نادي رضوي» إلا وهبّ الرجل لمساعدة ذلك النادي، إذ تعاقد مع واحد من كبار المدربين الرياضيين في شركة الزيت العربية، وهو الأستاذ علي جامع، صومالي الجنسية، ليدرب أفراد فريق بلاده نادي رضوي، وشخص المدرب إلى ينبع لعدة شهور، ودرب أفراده تدريباً ممتازاً إذ أصبح من أقوى الفرق الرياضية

في منطقة المدينة وحصل على أكثر من كأس وحصل لاعبوه على كثير من «الميداليات» وإذا قدر أن يكتب تاريخ الرياضة في ينبع ذكر هذا الرجل .

لقد عرفت الشيخ محمد عبدالمطلوب شخصياً فعرفت فيه الوطنية الصادقة والأخلاق الرفيعة بحق كان واحدًا من العصاميين الذين تمثل بهم الشاعر فقال :

نفس عصام سودت عصامًا   وعلمته الكر والاقداما

كان نموذجاً من الرجال . . لا أنسى موقفه يوم صدرت باكورة إنتاجي «أدب من رضوي» في عام ١٣٧٨هـ لقد أبصر الكتاب في إحدى مكتبات المنطقة الشرقية وهي مكتبة بايزيد إذ قال لي صاحبها يومها أنه اشترى الكمية الموجودة وأخذ يوزعها على معارفه اعتزازاً بهذا المؤلف المتواضع الذي كتبه أحد أبناء بلاده . . وقد عرفته بارًا بوالدته وأشقائه وأقاربه ومعارفه . . ومن أنجاله رجل الأعمال الأستاذ عبدالمطلوب بالرياض، ورجل الأعمال عبدالحميد بجدة، ومن أبناء عمومته المقاول بجدة محمد حسن معوض رحمه الله .

هذه سيرة لواحد من العصاميين من أبناء مدينة ينبع ، إنه محمد عبدالمطلوب معوض رحمه الله .

***

الشريف غانم الهجاري

هذا واحد من رجال ينبع وأعيانها في العهود السابقة وفي هذا العهد الميمون، إنه الشريف غانم بن محمد بن عبدالله بن عبدالمعين، والذي تجتمع فيه أغلب أشراف بني هجار بن راجح بن علي بن درّاج بن هجار بن درّاج بن معزي بن هجار بن وبير بن مقبل بن محمد بن راجح بن قتادة ابن إدريس بن مطاوع حتى يصل النسب إلى الحسن المثنى بن الحسن سبط رسول الله ﷺ.

وتعاقب على إمارة ينبع العديد من آل هجار هؤلاء حتى كان آخرهم علي بن هجار سنة ٩٢٨هـ، وصفه ابن إياس بأنه خير من ولي إمارة ينبع سنة ٨٨٧هـ، والشريف غانم الهجاري كان علماً من أعلام بلاده ينبع، إذ تشير الوثائق الرسمية أنه عُيّن رئيساً لبلدية مدينة أملج في العهود السابقة، كما تشير الوثائق إلى أنه عمل في هذا العصر في منتصف الستينيات الهجرية مساعداً لرئيس بلدية ينبع الشيخ مصطفى بن محمد الخطيب، الذي كان قائم مقام البلاد حتى عام ١٣٥٠هـ، والذي كان واحداً من أعضاء مجلس الشورى في دورته الثانية عام ١٣٥١هـ، وقد أدى الشريف غانم رسالته الوطنية في العهود السابقة وفي هذا العصر الميمون، إذ كان صاحب سمعة طيبة وأخلاق فاضلة. وقد اخترمه الموت عام ١٣٨٦هـ بعد أن ترك السيرة العطرة بين عشيرته وأهالي بلاده، وكان والده محمد بن عبدالله وشقيقه المسمى عبدالله أبوما توليا إمارة ينبع في العهود السابقة وعبدالله أبوما والد كل من الشريف جاسر الذي عمل نائباً لرئيس بلدية ينبع ورضا وهاشم ومعلا، وكذلك معلا تأمر

على ينبع بعضاً من الوقت وقد خلف الشريف غانم رحمه الله العديد من الأولاد وكان أكبرهم الشريف فهد الذي توفي عام ١٤٠٨هـ، وكان من خيرة الرجال الذين عرفناهم في ينبع، وقد خلف فهد الأستاذ فهيد نائب محافظ المؤسسة العامة للكهرباء ورئيس مجلس إدارة كهرباء الشرقية، وطلال الذي يعمل في بريد الرياض، والدكتور عبدالله الذي يعمل محاضراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ومن أولاد الشريف غانم دياب، وقد خلف من الأولاد علي، مهدي، مهنا، ومعلا، ومحمد.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع وأعيانها البارزين، إنه الشريف غانم بن محمد الهجاري.

***

محمود أحمد أبو حسين

كم كان في بلادنا رجال يمتازون بالشهامة والمروءة ورجاحة العقل ولهم تجارب واسعة في هذه الحياة ومسالكها؛ كان أحدهم أحد أعيان ينبع النخل ومن قرية السويق إنه الشيخ محمود أحمد أبو حسين ـ كان رجلاً ذا رزانة، إذا تحدث إليك تجد في حديثه الصدق والواقعية، هو الرجل الذي لا تلقاه إلا هاشاً باشاً ترتسم على محياه الابتسامة، حتى في أشد المحن يأخذ أمور الحياة بالهدوء ولا يبت في كثير من الأمور إلا بعد دراسة متأنية. هذا الرجل لم ينل الشهادات الكبيرة، ولكن الحياة علمته الكثير من قضايا الأمور الشرعية، كما علمته كيف ينال محبة الآخرين، إذ كانت داره ولازالت من الدور المشرعة الأبواب تستقبل الوافدين على قرية السويق التي تعتبر قاعدة ينبع النخل، وهو واحد من التجار المرموقين في الوادي. ولسوق السويق يوم «حافل» بالبيع والشراء والأخذ والعطاء إنه يوم الجمعة، يؤمه أكثر المزارعين من القرى المتعددة في الوادي، يسوقون فيه محاصيلهم ومنتوجاتهم الزراعية، ويشترون ما يحتاجونه من الأرزاق والكماليات من هذا السوق. ويملك محمود أبو حسين العديد من البساتين الزراعية، ويشرف على إدارتها بالرغم من تقدم سنه. وما أجمل الحديث مع الرجل المخضرم: فإذا جلست إليه يحدثك عن الماضي بحلوه ومره في بلاده ينبع البحر والنخل، ويحدثك عن كبار الأسر التجارية وكيف كانت تدير تجارتها مع الداخل والخارج، إذ منحه الله قوة في الذاكرة، إنه يعي الكثير والكثير من تاريخ ماضي بلادنا الذي اندثر، وقد خلف الشيخ محمود أبو حسين العديد من الأولاد النافعين، ومنهم عبدالله وخالد وتركي وسعود ومن أشقاء

محمود أبو حسين الشيخ محمد أبو حسين الذي كان يعمل مدرساً بقرية السويق ثم انتقل إلى المدينة وعمل مدرساً في دار الحديث، ثم في الجامعة الإسلامية رحمه الله وقد خلف العديد من الأولاد النافعين ومنهم سعد وعبدالرحمن وعمر وأحمد، كذلك من أشقاء محمود أبو حسين شقيقه جودة أبو حسين رحمه الله الذي كان يساعده في التجارة.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع المخضرمين الذين عاصروا ماضيها بحلوه ومره، وقد أطال الله في عمره فأبصر حاضرها السعيد، إنه أحد أعيانها البارزين الشيخ محمود أبو حسين ـ رحمه الله ـ.

* * *

الشيخ حامد أبو عطي

أسرة آل أبو عطي من بني عمر، من قبيلة حرب ومنازلها الأصلية قرية السويق بينبع النخل، وانتقلت هذه الأسر من ينبع النخل إلى بلدة أملج على ساحل البحر الأحمر شمال ميناء ينبع في عام ١٣٤٢هـ، وكان من أبرز رجالها في هذا العصر الشيخ حامد أبو عطي الذي ولد في ينبع النخل عام ١٣١٨هـ، ودرس القرآن على يد والده الشيخ محمد الذي درس في الأزهر الشريف في مصر، وكان شافعي المذهب.. وأخذ الشيخ حامد يدرس أبناء بلدة أملج القرآن الكريم في الكتاب الذي ورثه عن أبيه، حتى عين مديراً لمدرسة أملج الأميرية، ثم عين رئيساً لبلديتها، وحينما قدم قاضياً لبلدة أملج الشيخ ناصر الوهيبي درس على يديه الفرائض، وكثيراً من الأمور الشرعية، وحينما أدرك أنه أجاد رشحه للقضاء فيها، ثم نقل قاضياً لمدينة العلا، ثم أصبح فيما بعد رئيساً لمحاكم منطقة القنفدة، وكان في أثناء اقامته في بلدة أملج إماماً وخطيباً لجامع المدينة الكبير.

وبعد إحالته إلى التقاعد عاد إلى مدينته ينبع واستقر بها وعمل إماماً لأحد المساجد، وكان ذلك في السبعينيات الهجرية، كان رجلاً تقياً وصالحاً محبوباً بين أهالي بلاده ينبع، وقد اخترمه الموت عام ١٤٠٨هـ بعد أن بلغ من العمر تسعين عاماً، وترك الأثر الطيب بين أصدقائه ومحبيه.

وكان شقيقه محمود أبو عطي إمام وخطيب الجامع الكبير ببلدة أملج، ومدرس القرآن في مدرستها الابتدائية، عرف عنه التقى والصلاح والأخلاق الرفيعة.

وقد أنجب الشيخ محمود من الأولاد عبدالرحمن الذي تلقى دراسته الأولية ببلدة أملج، ثم التحق بالمدرسة العسكرية بالطائف، وتخرج منها فعين مديراً للخدمات الطبية في وزارة الدفاع، ثم انتقل إلى وزارة الزراعة فعمل مديراً لشؤون الموظفين إلى جانب مساهمته في التدريس في معهد الإدارة العامة. وهو صاحب فكرة النماذج الجاهزة في تسيير المعاملات. وكانت له مساهمات في الكتابات الاجتماعية في صحفنا المحلية، وقد اخترمه الموت في ربيع الأول عام ١٤١٣هـ وقد حزن عليه الكثير من أصدقائه ومحبيه وأبناء بلاده لما عرف عنه من شهامة ومروءة وشجاعة وحبه للناس وحب الناس له، وقد خلف العديد من الأولاد النافعين وهم منصور وحسام، ومن البنات أمل مهندسة ديكور بتلفزيون الرياض، وفتحية اخصائية نفسية في مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني وليلى مترجمة بالمستشفى العسكري بالرياض.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أعلام ينبع ومن القضاة الذين خدموا وطنهم ودولتهم إنه الشيخ حامد محمد أبو عطي رحمه الله.

***

عيد بن صالح الصريصري

قرية السويق بينبع النخل هي قاعدة الوادي التي تتواجد فيها الدوائر الحكومية، وهي متاخمة لقرية سويقة والسويق وسويقة لها ذكر في كتب التاريخ وهي بلدة عبدالله بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد قاست هذه المنطقة كثيراً من ضروب الفتن، فخربت مراراً وعقر نخلها وردمت مجاريها، ويحسن أن نورد مطلع قصيدة تتعلق بها بعدما جرى من تخريب هذه المنطقة بعد ثورة محمد بن عبدالله ذي النفس الذكية جدَّ الأشراف العيايشة المتواجدين اليوم في المنطقة وجدُّ أشراف ملوك المغرب في وقتنا الحاضر، وهو الشاعر الينبعي الجهني سعيد بن عقبه، أورد البكرى في معجمه سبعة من أبياتها، وأوردها أبو حيان التوحيدي في كتابه البصائر والذخائر، والمتتبع للتاريخ يجد أن قبيلة جهينة لها محبة وتلاحم مع آل البيت، ولصلة جهينة بالطالبيين غلب اسمهم على بعض أفراد منهم مثل بني إبراهيم.

ومطلع قصيدة الشاعر الجهني حينما خربت المنطقة في القرن الثاني للهجرة:

إني مررت على دارٍ فأحزنني   لما مررت عليها منظر الدار
وحش خلاء كأن لم يغن ساكنها   للمعتفيـــن وقطـــان وزوار

إلى أن يقول:

فيهـا معـالـم إلا أنهـا درسـت   مـن وار دينـا ونـزال وسـدار

وكانت السويق يقام فيها أكبر سوق في الوادي صباح كل يوم جمعة د

تباع فيه الأرزاق والأغنام والإبل والسلاح، والسويق هي منازل فخذ الصراصرة من جهينه وكان رئيسهم في عام ١٣٦٣هـ الشيخ محمد بن جبارة الرجل المشهور بكرمه وشهامته ومروءته بين أهالي بلاده ينبع بحرها ونخلها.

وجاء من بعده في الرئاسة الرجل المعروف ابن أخيه الشيخ عيد بن صالح الصريصري الذي يظل واحداً من أعيان بلاده في هذا العصر رجلاً يتصف بالهدوء والرزانة وحبه لعمل الخير على جانب من الأخلاق الفاضلة وحسن الاستقامة، وهو والد الدكتور المعروف وهو علم من أعلام وزارة المالية والاقتصاد الوطني ببلادنا «جبارة» الذي ولد في ينبع النخل ثم خرج للتحصيل العلمي في الخارج ويظل جبارة على صفات أهله في الأخلاق الحميدة وحسن الخلق والاستقامة.

كانت هذه سيرة لواحد من أعيان ينبع والرئيس العام لفخذ الصراصرة من قبيلة جهينة الشيخ عيد بن صالح.

***

محمود عبدالله الخطيب

محمود عبدالله الخطيب تلقى تعليمه الأولي في مدارس ينبع، والتحق بأول وظيفة له بمالية مدينة ينبع، وتدرجت به الحياة الوظيفية حتى أصبح مديراً لمالية ينبع، حينما كانت كافة الإدارات الحكومية العامة مرتبطة بوزارة المالية وقبل أن تشكل أول وزارة.

كان محمود الخطيب إدارياً ناجحاً لا يقبل الوساطة ولا المجاملة، كان له دور كبير في السبعينيات الهجرية، حينما حلت أزمة الماء على مدينته ينبع، إذ كان يشرف على آلة الكنداسة التي كانت تقطر الماء لأهالي المدينة، ويشرف بنفسه على السيارات التي كانت تحمل الماء من قرى ينبع النخل إلى مدينة ينبع البحر، كان يتابع توزيع الماء ويشرف عليه بنفسه للمحتاجين إليه من الأسر الكبيرة والصغيرة بكل دقة، وقد أشرف رحمه الله على أعمال الشركة التي جلبت العين العزيزية من ينبع النخل إلى ينبع البحر، وكان عضواً ثابتاً بحكم عمله في المجلس الإداري لمدينة ينبع، وكانت كثيراً ما تندبه وزارة المالية للتفتيش على ماليات المنطقة الشمالية كمالية أملج وضبا وتبوك وحقل.

كان رحمه الله نظيف اليد، حريصاً على تنفيذ الأعمال التي تسندها إليه وزارة المالية بكل دقة، كان لا يجامل الصديق أو القريب أو البعيد، حريصاً على مصلحة العمل، وقد داهمه المرض المفاجيء بعد رحلة عمل رسمية قام بها إلى المنطقة الشمالية، وقد ظل يعاني لسنين عديدة من هذا المرض، وقد اخترمه الموت في عام ١٤٠٥هـ، ومن أعمامه الشيخ عاشور حسن الخطيب، الذي عمل لفترة طويلة في جمرك مدينة ينبع ثم

أصبح وكيلاً لمديره، وشقيقه سالم عبدالله الخطيب الذي عمل أميناً لصندوق مالية ينبع، ويعمل حالياً أميناً لصندوق مصنع أسمنت اليمامة، ومن أبناء عمومته لطفي عاشور الخطيب الذي كان واحداً من كبار موظفي إدارة الزكاة والدخل بالرياض.

ومن أبناء عمومته خضر حمزة، كان من موظفي وزارة الزراعة ومحمد أحمد حسن من موظفي مالية ينبع.

هكذا رحل من الحياة مدير مالية ينبع محمود عبدالله الخطيب ووكيل مدير جمرك ينبع عاشور حسن الخطيب بعد أن أديا الرسالة في دنيا المال بكل نزاهة وإخلاص فليرحمهم الله.

***

حمزة الريفي

تعتبر أسرة الريفي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من أبرز رجالها في هذا العصر حمزة إبراهيم الريفي الذي ولد في مدينة ينبع وتلقى تعليمه فيها، وأصبح واحداً من موظفي جمارك ينبع، وتدرجت به الحياة الوظيفية حتى أصبح مديراً لجمرك مدينة أملج، كان يرحمه الله على جانب من الأخلاق الفاضلة، وحسن الاستقامة، وفيه طيبة وصفاء قلب، إذ كان لأهالي بلاده فيه محبة. اخترمه الموت في منتصف السبعينيات الهجرية بعد أن قضى في الحياة الوظيفية ما يزيد على الخمسة والأربعين عاماً. وبعد أن خلف الذكرى العطرة؛ ومن أولاده اليوم في مدينة ينبع الأستاذ عبدالحميد الريفي مدير فريق رضوى الرياضي في مدينة ينبع؛ وتشتهر أسرة الريفي بالمهارة في الطب الشعبي في ينبع والمدينة المنورة، وكان من أشهر أطباء هذه الأسرة سلامة الريفي بالمدينة المنورة، وسليمان وحامد الريفي بمدينة ينبع، وقد ورث محمد حامد الريفي الطب عن أبيه، واستقر في مدينة جدة وأصبح واحداً من الأطباء الشعبيين المعروفيين. وقد خلف سليمان الريفي بالمدينة المنورة العديد من الأولاد النافعين، وأصبحت أسرة الريفي في وقتنا الحاضر تنتشر بين ينبع والمدينة وجدة، وكان لآل الريفي العديد من البساتين في ينبع النخل والعديد من الدور في مدينة ينبع البحر، وكان من أشهر أملاك آل الريفي الحوش الكبير الذي يقع على ساحل ينبع والمتاخم لقصر المنشية الكبير مِلك آل الحادي من الأسر العريقة في ينبع، وكان هذا الحوش يشتمل على العديد من المخازن التي يستعملها البحارة مستودعات لأدوات سفنهم، وقد عرف عن أسرة الريفي صلاح أكثرهم، يرحمهم الله جميعاً

كنت أعرف أكثرهم بحكم جوارهم لأسرتنا فعرفت فيهم النبل والمروءة والشهامة والحرص على حقوق الجار. وكان حمزة الريفي يرحمه الله من أصدق أصدقاء والدي إذ كانت له محبة في نفسه، وظل موضع تقدير حتى رحلوا جميعاً عن هذه الحياة، ومنهم رجل الأعمال بالرياض أمير سليمان الريفي.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أعيان ينبع وأسرته العريقة إنه حمزة إبراهيم الريفي يرحمه الله.

***

إبراهيم البشر

قدم الشيخ إبراهيم بن مسفر آل بشر من بلدة الأفلاج بعد انضواء ينبع تحت لواء الحكم السعودي، وعين إمامًا لجامع الإمارة واستوطن مدينة ينبع، وتزوج من أهلها فأصبح ينبعياً، وبسط الله له في الرزق، إذ أصبح واحداً من ملاك البساتين في قرية سويقة، ثم عين إماماً للجامع الكبير في مدينة ينبع التي تقام فيه صلاة الجمعة بعد وفاة إمامه الشيخ أحمد عبدالغفار الأنصاري، ثم عين رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان على جانب من الثقافة الإسلامية، وقد قدم عليه بعض أولاده وهم أطفال من وادي الدواسر وهما مسفر ومحمد.

كان محمد هذا زميلنا في المرحلة الابتدائية، والتحق بمدارس دار التوحيد بمكة المكرمة، فأصبح قاضياً ثم رئيساً لمحاكم جدة ثم عضواً بهيئة التمييز، وأما مسفر فقد عين مسئولاً لإدارة تعليم البنات بالأفلاج، أما ابنه غازي والذي ولد في مدينة ينبع التحق بكلية قوى الأمن وكان مديراً لسلاح الحدود بمدينة جدة سابقاً، وبعد أن أدى الشيخ إبراهيم رسالته الوظيفية انتقل من ينبع إلى المدينة متفرغاً لعبادة الله. ويتحدث عنه شيخنا حمد الجاسر في زاويته «سوانح الذكريات» بالمجلة العربية حينما كان مديراً لمدرسة ينبع فيقول:

«جاء وقت الصيف فدعاني الشيخ إبراهيم لقضاء أيام في ينبع النخل في بلدة سويقة حيث كان يملك بستاناً جميلاً فاستجبت لدعوته الكريمة وكان أن أمضيت صيفاً جميلاً في تلك البلاد التي كانت في ذلك العهد على جانب كبير من الازدهار: مياه عيونها قوية وأرضها مخصبة وباديتها

على جانب كبير من الارتياح وما أبهج تلك الحدائق والبساتين في تلك الواحة تتخللها الأنهار الجارية وتزدهر بأنواع أشجار الفواكه والرياحين ولاسيما أشجار الحناء التي تعبق أريج فاغيتها تلك الأجواء مما يبعث في النفوس البهجة والانشراح والسرور يضاف إلى كل ذلك ما يتصف به سكان القرى من سلامة النية وطيب القلوب وكرم النفوس والتسامح والتآلف بينهم، وكلهم من العرب الأقحاح ومن الأسرة الطاهرة التي تنتمي للسبطين الكريمين ابني فاطمة الزهراء، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لقد كنت أمضي بياض النهار متنقلاً بين الحدائق فقد هيأ لي مضيفي الكريم منزلاً في بستان واسع بين النخيل وأشجار الليمون التي يتخللها نهر جار وكنت أتناول طعام الافطار ثم أقوم مبكراً فأذهب خارج النخيل أتجول في الأودية القريبة منها وأعلو فوق التلال المرتفعة حيث أشاهد في بعضها آثاراً وكتابات قديمة.

ولو كنت ممن يعني في ذلك الوقت بتدوين ما شاهدت لجمعت حصيلة طيبة مما هو منقوش على الصخور بالخط الكوفي القديم حيث تكرر كلمات الأسماء المنعوتة «بالأنصار» في تلك الكتابات مما يدل على قدمها وامتداد زمنها إلى القرون الأولى من الهجرة بعد أن أمضي أول النهار وأحس بحرارة الشمس أعود إلى منزلي في داخل ذلك البستان: وكان مضيفي يغدق عليّ من كرمه ومما يجود به بستانه من صنوف الفواكه والخضر، ولن أعدم في أكثر الأحيان زواراً أقضي معهم جل الوقت في المذاكرة والبحث، لقد أمضيتها أياماً من أجمل أيام العمر وأعمقها بالذكريات الطيبة في نفسي واستمتعت باصطياف في تلك البلدة قل أن استمتعت بمثله في بلدة أخرى».

بنفسي تلك الأرض ما أطيب   وما أحسن المصطاف والمتربعا

هذه سيرة لواحد قدم إلى ينبع فأصبح من أهلها، إنه الشيخ إبراهيم البشر من آل مغيرة القبيلة الطائية.

* * *

بنيان بن عودة الصيدلاني

بنيان بن عودة هو عمدة قرية الجابرية بينبع النخل وقرية الجابرية تعتبر من أهم قرى الوادي، حيث يقام فيها سوق كبير في صباح كل يوم جمعة، حيث يؤمه كافة أهالي القرى للبيع والشراء، وبنيان رجل ذو سمعة طيبة لا يتوانى عن خدمة الآخرين، وأسرة بنيان تربطها علاقة كبيرة بأسرة الوكيل المقيمة في بلدة المويلح في الوقت الحاضر، وهي أسرة حسنية نزحت من ينبع النخل في العهد العباسي لبعض الضغوط التي تعرض لها بعض الطالبيين من أبناء الحسن والحسين من أبناء عمومتهم العباسيين، والمتتبع لهذا الأمر يجده مدوناً في كتابنا «تاريخ ينبع» في تاريخ قرية سويقة، ولاتزال لأسرة المويلحي أملاك في قرية الجابرية تحت إشراف العمدة الشيخ بنيان، وكان هذا الإشراف قديماً منذ جدوده الأوائل وكان آخرهم جدّه دوَّاس بن حامد الصيدلاني إذ كانت وديعة لديه وحينما نعود إلى وثائق هذه الأسرة نجد أنها كانت دائمة الاتصال بأهالي بلادهم الأصلية ينبع النخل ولعل مكتبتي تضم صوراً عديدة من وثائق هذه الأسرة التي بعث بها إلينا الصديق الشريف معلا بن عبدالمطلب الوكيل المويلحي ومن هذه الوثائق:

١- خطاب من ينبع النخل من دواس بن حامد الصيدلاني من جهينة في ١٣/ ٩/ ١٢٨٢هـ إلى آل المويلحي.

٢- خطاب من ينبع النخل في ذي القعدة ١٣٢٢ه من الشريف زيد بن مساعد.

٣- خطاب من ينبع النخل في ٢٠ شعبان ١٣٠٤هـ من سعيد بن عطية النزاوي.

٤- خطاب من ينبع النخل في ٢ ذي الحجة ١٣٤٨هـ من شيبوب بن مفوز.
٥- خطاب من ينبع النخل في ١١/ ٩/ ١٣١٧هـ من الشريف محمد بن عواد بن زيد الهجاري.

ويظل الشيخ بنيان واحداً من أعيان ينبع النخل وقريته الجابرية في هذا العصر محبوباً بين الناس، ولقد ترك العديد من الأولاد النافعين، وأكبرهم عائد الذي تلقى دراسته في مدارس ينبع البحر، ثم انتقل إلى الرياض، ويعمل حالياً في مطار الملك خالد.

كانت هذه سيرة لواحدٍ من الرجال الطيبين في منطقة ينبع النخل، إنه بنيان بن عودة الصيدلاني.

***

السيد عبدالله عاشور سبيه

السيد عبدالله هو واحد من السادة أسرة آل سبيه المعروفة في ينبع، ولد وتلقى الدراسة فيها، وتدرب على مهنة التجارة في متجر عمه شيخ تجار ينبع يوم ذاك الشيخ مصطفى سبيه، ثم انفرد بتجارته فأصبح وكيلاً لكثير من تجار المدينة. كانت داره في قلب مدينة ينبع في السبعينيات الهجرية مفتوحة لكل وافد، وإني لأشهد له بالسخاء ومساعدة المحتاجين. أذكر في أكثر من عام أنه كان يرعى كسوة الشتاء للأرامل والأيتام والمحتاجين من أهل بلاده، كما كان يطلب المساعدة لهذا المشروع من أثرياء خارج مدينته ويجد الاستجابة إذ تأتيه السيارات محملة بالكساء والأرزاق، ودائماً الشيء بالشيء يذكر هذا هو أستاذي وصديقي الفريق يحيى عبدالله المعلمي من أحاديثه لي حينما يبدي ذكرياته عن مدينة ينبع التي كان يعمل مديراً لشرطتها أنه جاءت في إحدى الليالي إلى مدينة ينبع في فصل الشتاء سيارات محملة بالبطاطين والكسوة وأنه خرج يسعى هو والسيد عبدالله عاشور في منتصف الليل يطرقون أبواب دور الفقراء والمحتاجين ويسلمونهم تلك المساعدة ويعن لي أن أقول مازالت الدنيا بخير.

هكذا كان الرجال في بلادنا ينبع يتميزون بالمروءة والشهامة وكان منهم السيد عبدالله عاشور وأشهد أنه كان وطنياً صادقاً، وهو أول من أضاء مدينته ينبع بالكهرباء بمشروعه الكبير في السبعينيات الهجرية، وعقب أن ودع البلدية رئيسها السابق الشيخ عبدالله محسن زارع اختاره رجال ينبع وشبابها بالاجماع ليكون رئيساً لبلدية ينبع، وكان أثناء عمله

في البلدية يكرم الوافدين، إذ قدر له أن يعمل سنين عديدة، وعمل على تحسين مدينته يوم ذاك بقدر ما اتيح له من امكانات، ثم انتقل بتجارته إلى مدينة جدة. ومن أنجاله الدكتور أحمد عاشور مدير مستشفى الملك فهد بجدة في وقتنا الحاضر، وشقيق الأستاذ عبدالله عاشور صديقنا الأديب، والأستاذ خلف عاشور الذي ولد بالمدينة المنورة، ودرس بها ثم أكمل دراسته في مدارس تحضير البعثات بمكة المكرمة.

كان من الشباب البارزين في مدينة ينبع في السبعينيات الهجرية وكثيراً ما كان يرشح عضواً في الوفود التي تمثل مدينة ينبع في المناسبات إلى حكام هذه البلاد.

كان يعمل في مالية ينبع ثم عين مديراً لإدارة الزكاة والدخل في مدينة الرياض، ثم مديراً لإدارة الزكاة في جدة ثم تفرغ لأعماله الخاصة ثم رشح مشرفاً لوحدة العمل في توسعة المسجد النبوي الشريف.

وصديقنا الأستاذ خلف عاشور وطني صادق محب لبلاده على جانب من الأدب والثقافة، عرفته فعرفت فيه الأخلاق الحسنة وحبه للناس وحب الناس له، يحتفظ بالكثير من ذكريات بلاده وكتب عنها في جريدة عكاظ تحت عنوان «من الماضي القريب» وسترى النور في كتاب بمشيئة الله.

هذه سيرة لواحد من رجال ينبع ـ رحمه الله ـ وشقيقه إنه السيد عبدالله عاشور سبيه وشقيقه السيد خلف عاشور سبيه.

***

خلف أحمد عاشور سبيه

السيد خلف هو واحد من أسرة السادة آل سبيه العريقة، ويعتبر واحداً من أعيان ينبع في هذا العصر، وكان عمه السيد مصطفى سبيه شيخ تجار ينبع في العهد السعودي، كما كان أول عضو لأول مجلس إداري يشكل في ينبع في هذا العهد، وكان أخوه السيد/ عبدالله أحمد عاشور سبيه من أعيان ينبع وتجارها ولآل سبيه دور كبير في الاقتصاد في ينبع فكان أول من أدخل الكهرباء، وأقام مصنع الثلج في ينبع هو السيد عبدالله في نهاية السبعينيات الهجرية، وكان هناك العديد من أعيان ينبع وتجارها من هذه الأسرة وهم أبناء عمومة السيد خلف ومنهم السيد/ محمد عمر سبيه رحمه الله الذي كان تاجراً ووكيلاً لتجارة آل الخريجي في مدينة ينبع وفي عام ١٣٧٣هـ، عُين السيد عبدالله رئيساً لبلدية ينبع بعد أن اختاره أكثر أهالي بلاده في هذا المنصب، ولقد أدى دوره كاملاً في رئاسة البلدية وفي أول الثمانينيات الهجرية انتقل بتجارته إلى مدينة جدة. ومن أنجاله الدكتور أحمد عاشور سبيه مدير مستشفى الملك فهد بجدة في الوقت الحاضر.

والسيد خلف يعتبر واحداً من أدباء ينبع تلقى دراسته الأولية بالمدينة المنورة، ثم التحق بمدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة، بعد التخرج عاد إلى ينبع، وقام بمشاركة أخيه عبدالله في إدارة محلهم التجاري بمدينة ينبع، ثم التحق بالوظائف الحكومية، فعمل بمالية ينبع، ثم انتقل إلى مدينة الرياض فعمل مديراً لإدارة الزكاة والدخل فيها، ثم عين مديراً لإدارة الزكاة والدخل بمدينة جدة، ويعمل في الوقت الحاضر مديراً لإدارة مشروع المسجد النبوي الشريف.

يعتبر السيد خلف واحداً من أبناء ينبع ومن أعيانها النابهين في هذا العصر، محباً للإطلاع على جانب من الوعي والثقافة كان كثيراً ما يساهم في النشاطات الخطابية والثقافية التي تقام في ينبع في المناسبات، وكان يُختار كأحد الأعضاء في الوفود التي تمثل ينبع في المناسبات للقاء ملوك هذه البلاد الغرّ الميامين.

لقد جمع ذكرياته المعاصرة في كتاب أسماه «أيام وأيام»، وفي هذا الكتاب كثيرٌ من الأحداث التي خبرها وعاصرها بحلوها ومرها داخل بلاده وخارجها، وكذلك العادات والتقاليد الجميلة التي اندثرت. وما أجمل أن يعود الإنسان بذاكرته إلى الماضي الجميل الذي لا يعود.

تظل هذه الذكريات من التاريخ المعاصر الذي يجهله الكثير من شباب هذا الجيل، وقد صدر هذا الكتاب في عام ١٤١٧هـ ليظل واحداً من الكتب النافعة في مكتبتنا السعودية، والسيد خلف عاشور يظل يذكر بالخير إذا ما ذكرت ينبع وأهلها، فيه حب ووفاء لبلاده ينبع منبت أسرته وجدوده، يتمتع بأخلاق دمثة، وروح طيبة، يلقى الناس بكل الود والترحاب، فيه أريحية ووفاء، على جانب من الاستقامة محبٌ لعمل الخير، وقد أنجب العديد من الأولاد النافعين أكبرهم الأستاذ نبيل من موظفي وزارة الخارجية، لقد ترسم مسلك والده في الأخلاق.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أعيان ينبع وأدبائها، إنه السيد خلف أحمد عاشور سبيه.

***

عوّاد أبو رقيبة

أسرة أبو رقيبة من الأسر العريقة في قرية السويق بينبع النخل، وهم من قبيلة جهينة، وكان رئيس فخذ آل أبو رقيبة جدهم الرجل المعروف عُليثه بن عبدالرحمن أبو رقيبة، ومن أشهر رجال هذه الأسرة في وقتنا الحاضر عواد أبو رقيبة. ولد وتعلم في قرية السويق وعكف على الاطلاع ويعتبر في الوقت الحاضر واحداً من أعيان ينبع النخل، ومن موظفي المحافظة. وعواد أبو رقيبة يتصف بالشهامة والمروءة وكرم النفس، ويعتبر من أبرز الشعراء في ساحة الأدب الشعبي الينبعي، فن الكسرات وإن كان يشير بعض المؤرخين أن الحاكم التونسي الحبيب أبو رقيبة يعود بجذوره إلى الجزيرة العربية، لقد أكد لي الشيخ عواد أن هذه حقيقة، ولربما أدرك من جدوده الأوائل أن فرعاً من أسرتهم هاجروا من ينبع إلى المغرب واستقروا أولاً في منطقة ليبيا ثم انتقلوا إلى تونس، وما أكثر الأسر التي رحلت من ينبع واستقرت في المغرب وأقامت دولاً، وعلى سبيل المثال خروج إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى الذي ولد ونشأ في قرية سويقة مع والده عالم ينبع عبدالله بن الحسن، وهو الذي هرب بعد صراعه مع الخليفة الهادي العباسي في معركة فخ بزاهر بمكة وتمكن من الوصول إلى المغرب عن طريق مصر في عام ١٦٩هـ، كما خرج من ينبع جدّ حكام المغرب في الوقت الحاضر، وهو من سلالة محمد بن عبدالله بن الحسن ذو النفس الزكية في القرن السابع الهجري، كما هاجرت من ينبع أسرة المجاهد الكبير بطل الريف عبدالكريم الخطابي، وهذه الأسرة تنتسب إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، ويقول عبدالكريم في مذكراته، «وقد نشأ أجدادي في بلدة ينبع من أعمال الحجاز وجاءت

تستوطن مراكش في القرن الثالث للهجرة، كما خرج من ينبع أشراف يُسمَّون السعديين في القرن السادس الهجري، وأقاموا لهم دولة في المغرب، وكان من أبرز حكامهم السلطان منصور المعروف بشجاعته وإقدامه وحسن تصرفه، وبلغت دولة السعديين في أيامه أرفع درجات القوة والعظمة. ونجد لأسرة أبو رقيبة في ينبع النخل علاقات كبيرة مع الأسر العريقة في ينبع البحر، كما نجد اليوم شباباً من هذه الأسرة على جانب من العلم والثقافة. وحينما زرت عوّاد أبو رقيبة في داره في ينبع النخل في شهر محرم ١٤١٥هـ كانت أكثر عيون الوادي قد جفت والأهالي في قرى ينبع النخل يحتاجون ماءً للسقي فوجدته يحمل على كاهله عبئاً كبيراً يجاهد في تلك الأيام لتوفير المياه للأهالي بمجهوداته والسعي في حفر الآبار لكي يستقي الناس منها.

يظل عواد أبو رقيبة واحداً من الرجال المخلصين لبلاده وتظل أسرة أبو رقيبة من الأسر المتحابة مع أهالي ينبع نخلها وبحرها.

* * *

حسين علام

هناك الكثير من أبناء ينبع كانوا رجالاً وأعلاماً بارزين في زمانهم، وقدموا خدمات لبلادهم، ورحلوا دون أن يذكرهم أحد، ولا يعرف أبناء هذا العصر شيئاً عن حياتهم وكان أحدهم حسين علي علام، وأسرة آل العلام من الأسر العريقة في مدينة ينبع. وكما جاء في وثيقة النسب التي بعث بها إلينا المهندس زكي علام حفيد حسين علام أن أسرة آل العلام تعود بنسبها إلى قبيلة غفار التي كانت تسكن ساحل ينبع، ولعلني أشرت في مؤلفي «شعراء ينبع وبنو ضمرة» إلى قبيلة غفار، ومن أراد أن يعرف عنها الشيء الكثير يجده في هذا المؤلف.

ومن منازلهم العذيبه والسليم وقرية مستوره القديمة، أي ودان التي منها الشاعر نصيب، ونصع ومن غفار عزة صاحبة كثير التي أحبها في موضع الخبت الواقع في ساحل ينبع، وكما جاء في الوثيقة أن أسرة آل العلام وأسرة آل خلاف في مدينة ينبع يجتمعان في جد واحد هو «مطاوع»، وأسرة آل خلاف أسرة علم وقضاء، وكان منهم القاضي سعد خلاف والقاضي أحمد عثمان خلاف، وابنه محمد الذي كان وكيلاً لقاضي ينبع، ثم عُيّن مديراً للأوقاف في ينبع، ومنهم مدير مدارس ينبع الشيخ حامد خلاف، والتاجر المعروف مصطفى عبد رب الرسول خلاف.

وكان حسين علام علماً من أعلام بلاده ينبع إذ ولد فيها وتعلم في كتاتيبها، إذ لم تكن هناك مدارس في زمانه، ولكن نجد فيه عصامية إذ تعلم اللغة التركية والإنجليزية. ومن خلال الوثائق الشرعية نجد له أملاكاً في حي السور، وهو من أقدم الأحياء في مدينة ينبع، وقد كان

مسؤولاً عن إدارة بريد مدينة ينبع في عهد الحكومة الهاشمية، وحتى بداية العهد السعودي، وقد كان رحمه الله على جانب من الأخلاق الفاضلة وحسن الاستقامة والسمعة الطيبة عند الذين عاصروه في زمانه.

ومن آل العلام في هذا العصر الشيخ «خليل علام» الذي عمل مديراً لجمرك مدينة أملج، وحفيده أحمد أمين علام الذي كان واحداً من شباب ينبع المثقفين، وقد عمل في المفتشية العامة للجمارك في مدينة جدة ثم مديراً لجمرك جيزان، ثم مديراً لجمرك مدينة طريف، واخترمه الموت في عام ١٤٠٥هـ. ومن أشقائه علي وياسين وطه، ومن آل العلام محمد عباس علام الذي كان مديراً لجمرك أملج ثم مفتشاً لوزارة المالية بالرياض، وقد أحيل على التقاعد. وقد أنجب الشيخ حسين علام من الأولاد: عبدالجواد وقد أنجب عبدالجواد العديد من الأولاد وكان أكبرهم اللواء طيار حسين وعلي من موظفي مؤسسة النقد، والمهندس زكي في أمانة جدة والمهندس عادل في مركز التدريب المهني والمهندس عبدالجليل بكلية الاتصالات بجدة، والطالب الجامعي توفيق.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع في زمانه، إنه الأستاذ حسين علام.

***

محمد إبراهيم النقادي

الأسرة النقادية من الأسر العريقة في ينبع، وكم من أبناء ينبع يعتبرون من العصاميين بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وكم علمتهم الحياة حتى أصبحوا في عداد المدركين لكثير من أمورها، وكان محمد نقادي واحداً من هؤلاء، ومن أعمامه أحمد عبدالرحمن النقادي أحد أعيان ينبع ورئيس بلديتها وعضو مجلس الشورى في دورته الأولى في هذا العصر الميمون في عهد المغفور له الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، خرج محمد إبراهيم نقادي من بلاده يافعاً بحثاً عن الحياة، واستقر في المنطقة الشرقية وبفضل كفاحه وجهاده أصبح واحداً من كبار رجال الأعمال وكبار المقاولين، وقد تمت على يديه الكثير من المشاريع الناجحة في تلك المنطقة.

إذا جلست إليه يحدثك حديث المدرك الواعي لكثير من أمور الحياة، ويناقشك كأحد المثقفين الذين نالوا من العلم الشيء الكثير، علماً بأنه لم ينل من العلم المنظم شيئاً، ولكن كما يقولون علمته الحياة الشيء الكثير من تجاربها الواسعة. كان له خيال واسع وإذا تحدثت إليه وتحدث إليك يجنح بك إلى دنيا فسيحة، كان يرحمه الله وطنياً صادقاً يحب بلاده ومواطنيها حباً عميقاً، إذا وفد عليه أحدهم في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية فرح به كثيراً، وأكرم وفادته وساعده، كان مرحاً كريم النفس تطرب لدعابته وخفة روحه وتعليقاته الساخرة على بعض الأمور.

كان شهماً نبيلاً يساعد المحتاجين من أهل بلاده وغيرها، عرفته حق المعرفة، فعرفت فيه الحرص على صلة الأقارب والأرحام، ومواساة المحتاجين منهم، كانت له مواقف شهامة ومروءة يعرفها الكثير وما أكثر

قصص النقادي الحافلة بالمروءات .

وكما يقولون لا تدوم الحياة لأحد، داهمته عوادي الزمان فأصابه المرض المفاجىء، وفرضت عليه الظروف أن يعود إلى بلاده ينبع ويستقر فيها واخترمه الموت في مدينة جدة عام ١٤٠٣هـ فحزن عليه الكثير من أحبائه وأصدقائه ومحبيه من أهالي بلاده وغيرها، وهكذا رحل النقادي من هذه الحياة بعد أن ترك الذكرى الحسنة والسيرة العطرة، سيرة النبل والشهامة والمروءة، كان أنموذجاً من النماذج الفريدة في عصره فليرحمه الله رحمة الأبرار . وقد خلف العديد من الأولاد وأكبرهم طارق النقادي من رجال الأعمال في مدينة ينبع في وقتنا الحاضر .

كانت هذه سيرة لواحد من أعيان ينبع ورجالها الذين عرفتهم فعرفت فيه أجمل المزايا، إنه رجل الأعمال محمد إبراهيم النقادي يرحمه الله .

***

حمزة علوي أبو رديف

أسرة أبو رديف من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من أبرز رجالها في هذا العصر حمزة علوي أبو رديف، وكان والده علوي من ربابنة البحر الماهرين، فلهذا كان والده كبير المرشدين في ميناء ينبع، وخرج حمزة علوي شاباً من بلاده ينبع بحثاً عن الحياة، ويعتبر واحداً من الشباب العصاميين المكافحين، فعمل في التجارة في المنطقة الشرقية ثم استقرت به الحياة في مدينة الرياض، فأصبح له فيها عديد من الأصدقاء، كان رجلاً جواداً ذا شهامة، سخياً وكانت داره في مدينة الرياض في منطقة المربع من الدور المشرعة الأبواب، يرتادها أكثر معارفه ومحبيه ولاسيما الوافدين من أهالي بلاده مدينة ينبع، وكان بمثابة شيخ لهم يقضي حوائجهم ويستضيف القادمين منهم بقصد العلاج أوْ مَن تعن له حاجة في تلك المدينة، كان رحمه الله يلقى الجميع هاشاً باشاً بالحفاوة والتقدير، وقد اخترمه الموت في منتصف التسعينيات الهجرية بعد أن ترك الأثر الطيب والذكرى الحسنة في نفوس أهالي بلاده وغيرهم من الناس الذين عرفهم وعرفوه ومازالوا يذكرونه بالخير ويترحمون عليه. كلما مرت ذكراه. ويتحدث عنه صديقه الأستاذ خلف أحمد عاشور سبيه فيقول «كان رجلاً كريماً جداً وكان رجلاً شهماً إلى أبعد الحدود في الشهامة، وكانت داره محط كل غريب قادم من بلده، يفزع لنجدة كل من يتعرض لسوء أو يحل به عارض أو يلم به مكروه، سواء كان على صلة بهذا الرجل الذي تنزل به النازلة أم لا تربطه به أية صلة من صداقة أو قرابة أو رحم، وكانت داره مفتوحة يقصده ليلاً نخبة كريمة من الرجال من أبناء الرياض ومن أبناء الحجاز ومن أبناء ينبع بالذات،

لاسيما هؤلاء الذين كانوا يقدمون إلى الرياض لعمل أو لأي سبب آخر من الأسباب .

وكنا نطلق عليه لقب «العمدة» فهو بحق كانت تنطبق عليه صفات العُمد ، إلى أن يقول وكانت داره كما قلت مجمعاً لإخوة كثر .

بعض هؤلاء الآن في مراكز كبيرة وفي مناصب جد رفيعة . لست أدري إن كانوا يذكرون صاحبنا هذا أو قد قد نسوه كما نسوا غيره من الناس ، فالبعض لا يذكرون أحياء من الأصدقاء على الأرض يعيشون ، فما بالك بمن طواه الردى وأمسى تحت الثرى» .

ولقد خلف حمزة علوي العديد من الأولاد النافعين ومن أكبرهم المهندس محمد مدير الشؤون الفنية بتلفزيون الرياض .

فليرحم الله هذا الرجل الذي رحل عن هذه الحياة فترك خلفه السيرة العطرة الحميدة ، إنه ابن ينبع «حمزة علوي أبو رديف» .

***

فرج رحيمي

أسرة آل الرحيمي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، والأستاذ فرج الرحيمي هو شقيق مدير عام الجمارك سابقاً الشيخ محمد نور رحيمي، والأستاذ الأديب مدير إدارة الحج سابقاً في مدينة ينبع محمود رحيمي، ووالد الدكتور مدني رحيمي أحد رواد الرياضة في بلادنا.

ولد فرج رحيمي في مدينة ينبع، وثقف نفسه، إذ عكف على قراءة الكثير من الكتب الأدبية النافعة، ودرس الإنجليزية على رائد الثقافة في مدينة ينبع يومذاك الأستاذ/ ياسين حسن الجداوي.

كان فرج رحيمي واحداً من أبناء ينبع النابهين، دخل إلى الوظائف الحكومية وعمل في إدارة الصحة في ينبع. وفي أول السبعينيات الهجرية انتقل إلى مدينة جدة وعمل في إدارة الجمارك، كانت له كتابات اجتماعية في صحفنا المحلية، عرفت الأستاذ فرج رحيمي معرفة عميقة فعرفت فيه الوطنية الصادقة، إذ كانت له فلسفة في هذه الحياة، ومن أمنياته أن يكون كل فرد في هذا المجتمع مثالياً، كان صاحب عقلية ناضجة، وله أفكار نيرة، أذكر يوم كنت يافعاً في بلادي ينبع وأصابها ما أصابها من شح في الحياة وانحبس عنها المطر لعدة سنين، وقامت الدولة بجلب المياه بالوايتات الكبيرة من ينبع النخل لتوزيعه على الأهالي وقف يومها فرج رحيمي رحمه الله ليقول لكافة أعيان ينبع وتجارها: لماذا نكلف الدولة في الوقت الحاضر جلب عين من ينبع النخل إلى ينبع البحر، هذه هي البواخر تفرغ في ميناء ينبع في كل يوم آلاف الطرود من الخارج، ماذا يضيرنا لو وضعنا ضريبة على كل طرد «قرش واحد» لاستطعنا في فترة

وجيزة أن نحقق مشروع جلب عين من ينبع النخل .

وقد وفق الله الدولة الراشدة أن تخرج مدينة ينبع من شح المياه فجلبت لها العين العزيزية من منطقة المربع في ينبع النخل، واحتفل أهالي ينبع بافتتاحها في مهرجان كبير عام ١٣٧٦هـ. إذا جلست إلى الأستاذ فرج رحيمي لاتمل حديثه، فهو ظريف وأنيس وله تعليقات خاصة على بعض الأمور ويدخل معك في نقاش هادىء ان طرحت عليه بعض الأمور .

اخترمه الموت على إثر مرض مفاجيء عام ١٤٠٧هـ بعد أن ترك الأثر الطيب والذكر الحسن بين أهالي بلاده، وتشير الوثائق التاريخية التي بين أيدينا في الوقت الحاضر إلى أنه كان يعمل مراسلاً من ينبع في الستينيات الهجرية لصحيفة البلاد السعودية، أي «البلاد» اليوم، يوم كانت تصدر من مكة المكرمة .

حدثني عن بعض ذكرياته رحمه الله : أنه حين كان مسئولاً عن الشهادات الصحية في مدينة ينبع للحجاج الذين كانوا يفدون من جمهورية مصر العربية في طريقهم إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، قال: حدث ذات مرة أنه كان من ضمن الحجاج شاعر معروف من فلسطين ويكنى بحسان فلسطين، ولا يحمل بطاقة صحية وكان يفرض عليه النظام أن يدخل إلى الحجر الصحي في جزيرة العباسي في مدينة ينبع لعدة أيام ثم يستأنف سفره إلى المدينة، ودار بيني وبين ذلك الشاعر جدال طويل ولكنه لم يقتنع بفرض الحجر الصحي عليه، وفجأة قال اسمع يا أستاذ فرج :

كل الأمور إذا ضاقت لها فرج   إلا أموري إذا ضاقت فمن فرج

فقلت له يا شاعرنا العزيز لقد اشركت من حيث لا تشعر ، وطلبت

مني الفرج ، وما الفرج إلا من عند الله . قال والله ما قصدت ولكن نظامك القاسي هو الذي اضطرني أن أقول هذا البيت .

وهنا أدركت أن الرجل هو ضيف الله ، وما كان لي أن أقسو عليه ، ورفعت عنه الحجر الصحي ، وأصبحت فيما بيني وبينه فيما بعد صداقة ، وحينما عاد إلى بلاده فلسطين أخذ يراسلني .

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أبناء ينبع ورجالها النابهين ، إنه الأستاذ فرج الرحيمي .

* * *

إبراهيم محمد عواد

أسرة آل عواد من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكان من رجال هذه الأسرة في هذا العصر إبراهيم محمد عواد إذ كان واحداً من أعيان ينبع في زمانه وعمل أميناً لصندوق جمرك مدينة ينبع وفي أول السبعينيات الهجرية انتقلت أسرة آل عواد إلى مدينة جدة فعمل إبراهيم أميناً لصندوق جمرك جدة .

ويعتبر إبراهيم عواد واحداً من الناس الطيّبين على جانب من الأخلاق الفاضلة والهدوء والرزانة، ومن أكبر أنجاله محمد وكان موظفاً في جمارك جدة، وكذلك ابنه عبدالعزيز وشقيقه عواد محمد كان من موظفي جمارك جدة كان رحمه الله ذا شهامة ومروءة محباً لعمل الخير، ومن أنجاله فايز من موظفي شركة أرامكو، وحسن بالإدارة العامة للخطوط السعودية .

وآل عواد وآل خليل وآل فايز وآل أبو غمري يجمعهم جدّ واحد ومن آل خليل محمود خليل في الوقت الحاضر بالمنطقة الشرقية، وصالح خليل كان مقيماً بين ينبع والرياض، ومن أنجاله محمد من موظفي وزارة المالية، ومن آل أبو غمري الشيخ عبدالمطلوب رحمه الله، ومن أنجاله عبدالله المدرس اليوم بمدارس ينبع، وعلي أبو غمري رحمه الله ومن أنجاله حامد ومحمد من موظفي الجمارك بالمنطقة الشرقية، وعبدالرحمن من موظفي جمارك جدة ومن أنجال حامد «العقيد الأستاذ/ عبدالله بن حامد أبو غمري مساعد قائد الدفاع المدني بالمنطقة الشرقية» ومن آل أبو غمري المحامي محمد محمود أبو غمري بمدينة جدة .

وكان من آل فايز الشيخ حسين فايز من أعيان جدة ومن تجارها البارزين، وكان عضواً في المجلس البلدي ومن أنجاله كامل. ومن آل فايز في الوقت الحاضر الأستاذ محمود فايز من كبار موظفي وزارة التخطيط.

تظل أسرة آل عواد وآل خليل وآل أبو غمري وآل فايز بجدة من أسر ينبع العريقة.

***

محمد محمود حمدان

آل حمدان من الأسرة الأنصارية الخزرجية المعروفة في ينبع، ومن أبناء عمومتهم آل عبدالغفار، آل عبدالواحد، آل عبدالقادر، آل زين الدين، آل قفطي، ويجمعهم جد واحد «نجم الدين الخطيب الخزرجي الأنصاري»، ومن آل عبدالقادر التاجر المعروف محمد حامد عبدالقادر، ومن آل عبدالواحد رئيس بلدية ينبع محمد محمود عبدالواحد، ومن آل عبدالغفار خطيب وإمام الجامع الكبير بمدينة ينبع أحمد عبدالغفار، من آل القفطي: الشاعر الينبعي المعروف حسن عبدالرحيم الذي كان سكرتيراً لولاية ينبع في العهد العثماني، والذي أشاد ببلاده حينما فرضت عليه الظروف أن يرحل منها ويستقر في مدينة قنا في الصعيد المصري فيقول:

عودوا بنا لنواحي ينبع عودوا ... فعيشها قد صفا والعود محمود
وزودوا القلب من ذكر الرحيل لها ... فكم له غرض فيها ومقصود
خير البلاد الذي ما اختاره وطناً ... إلا فتى بجنان الحسن موعود
أعظم به بلدٌ ناهيك من بلدٍ ... أمضى الصوارم فيه الأعين السود

إلى أن يقول:

فليت شعري هل الأيام تسعفني ... بقرب قوم نأت بي عنهم العود

ومحمد محمود حمدان هو من أبناء عمومة الصديق الأديب الأستاذ حمدان صدقه حمدان، الذي رحلت أسرته من ينبع واستقرت في مدينة جدة.

ولد محمد محمود حمدان في مدينة ينبع وتعلم في كتاتيبها ومدارسها

وأول وظيفة له عمل «في كرنتينة ينبع» وأصبح فيما بعد مديراً للأحوال المدنية، وحينما صدرت جريدة «الأضواء» في مدينة جدة عام ١٣٧٦هـ لصاحبها صديقنا الأستاذ/ عبدالفتاح أبو مدين، عمل وكيلاً ومراسلاً لها، كان محمد محمود حمدان يتسم بالهدوء والرزانة، على جانب من الثقافة والأخلاق الفاضلة وحسن الاستقامة، اخترمه الموت في الثمانينات الهجرية في بلاده ينبع بعد أن ترك الأثر الطيب والذكر الحسن بين محبيه من أهالي بلاده ينبع.

***

محمود رحيمي

الأستاذ/ محمود ناصر رحيمي واحد من رجال بلادنا ينبع ولعلني أعتبره من أدبائها، كان له تاريخ أدبي مع صدور جريدة «الأضواء» الأدبية العريقة في مدينة جدة، إذ كان يدبج فيها زاوية أسبوعية تحمل اسم «مع الريح»، كما كان يكتب في جريدة «البلاد» السعودية يومذاك، وجريدة «الأحوال» التي كان يصدرها الأستاذ/ سعيد عقل. ولعل أستاذنا وصديقنا الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين لم يبخس الأستاذ محمود رحيمي حقه، إذ قال عنه في كتابه «وتلك الأيام»: الذي أورد فيه تجربته الصحفية الطويلة أن الأستاذ الرحيمي كان واحداً من الذين ساهموا معه وآزروه في إصدار تلك الصحيفة..

عرفت الأستاذ محمود رحيمي يوم كنت طفلاً في بلادي ينبع، أدب على الأرض مع الأتراب في المدرسة الأميرية، إذ كان يعمل بها مدرساً، وانتقل الأستاذ من بلاده إلى المنطقة الشرقية بحثاً عن الحياة فعمل في جمارك العقير سنوات عديدة ثم عادت به الأيام إلى بلاده بعد كفاح سنين، وعمل في محلات آل الخريجي التجارية بينبع، كنت أرى فيه في تلك الفترة الحياة الأدبية الصادقة، إذ كان يحب القراءة ويهوى المسامرات الأدبية ويشجع شباب بلاده على الأدب والثقافة، ومن ذكرياته العذبة الجميلة أن كانت له تطلعات طموحة في دنيا الأدب والصحافة، فكان يحرر صحيفة خطية أسبوعية بيده، فيها الدعابة والطرفة والفكاهة وسماها «أم سحلول» وكان يوزعها على إخوانه الشباب بغية نشر الوعي الأدبي، ويوم ركدت الحياة في مدينة ينبع في ظل الحرب العالمية الثانية ركوداً

شاملاً وأصبح لا حياة فيها، رحل إلى جدة وعمل مديراً لمكتب وزير التجارة الشيخ محمد رضا .

ومن ذكرياته العذبة الجميلة حينما قدم جلالة الملك سعود رحمه الله لزيارة بلادنا ينبع القى بين يدي جلالته قصيدة همزية طويلة يصف له فيها حالة بلاده وما تعانيه من تدهور .

ويومها اهتم جلالته رحمه الله فأمر بجلب العين من ينبع النخل إلى ينبع البحر، كما أمر بربط مدينة ينبع بخط مسفلت يربطها بالمدينة وجدة، في سبيل احيائها وعودة أكسير الحياة إليها، ويظل الأستاذ محمود رحيمي واحداً من رجال ينبع وأدبائها الذين قدموا لها الكثير والكثير في سبيل الحياة، وأمد الله في عمره حتى حقق الله أمانيه، فشاهد ورأى بلاده ينبع ينبع الخير والصناعة والعطاء وهي عروس ترفل في ثوب أملود جديد، فعاد إليها مقيماً مجاهداً ومنافحاً في خدمتها حتى اليوم، وأقولها مقولة حق أمانة للتاريخ وبدون مجاملة ولعلها هي الحقيقة إن من أمثال الأستاذ محمود رحيمي من أهالي بلادنا ينبع النموذج من الرجال الذين يستحقون التكريم في حياتهم قبل مماتهم . .

***

حسن بابطين

أسرة آل بابطين أكثر أفرادها يقيمون بمكة المكرمة ويمتهنون التجارة وانتقل الشيخ سالم بابطين من مكة إلى مدينة ينبع عام ١٣٣٢هـ بعد أن كان مقيماً فيها، أي في العهد العثماني بقصد التجارة واستقر فيها، وكان برفقته ابنه حسن الذي ولد في مكة عام ١٣٢٤هـ وتلقى دراسته فيها وتخرج من مدارس الفلاح، وجاء سالم بابطين بتجارة متواضعة إلى ينبع، ولكن لحسن استقامته بسط الله له في الرزق، فأصبح واحداً من كبار تجارها، وكان ذلك بمساعدة ومجهود إدارة ابنه حسن إذ أصبحت لهم تجارة مع الداخل والخارج، وأصبحت لهم أملاك عديدة في ينبع البحر وينبع النخل، وكان حسن بابطين أول من أدخل الأوتوموبيلات إلى مدينة ينبع عام ١٣٤٥هـ بمشاركة السيد محمد عمر سبيه أحد تجار ينبع، وبين أيدينا اليوم صورة وثيقة رسمية من سعادة أمير ينبع عبدالرحمن بن سعيد مرفوعة إلى جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه برقم ٤٧ وتاريخ ٢١ رمضان عام ١٣٤٥هـ يطلب فيها السماح لأهالي ينبع بامتلاك الاوتوموبيلات، أي السيارات ومما جاء فيها: «استرحم تجار وأهالي ينبع بإعطائهم امتياز الاوتوموبيلات».

وكان حسن بابطين واحداً من عيون ينبع وتجارها المخلصين وإلى جانب تجارته لقد رشح أكثر من مرة لعضوية المجلس الإداري في المدينة.

كان والده سالم بابطين من الرجال الأتقياء الصالحين المحبين لعمل الخير، وقد ورث ابنه حسن تلك الصفات عن أبيه، وكان هادىء الطبع ذا أخلاق فاضلة، كان محبوباً بين أهالي بلاده، ولقد ودع الحياة في نهاية

الثمانينيات الهجرية فليرحمه الله وقد ترك لنا في مدينة ينبع ذلك القصر الخالد «قصر آل بابطين» الأثري الذي تتمثل فيه الزخرفة الإسلامية، وقد حرصت إدارة الآثار في وزارة المعارف أن تمتلكه كمعلم من المعالم الأثرية في مدينة ينبع، وقامت بالفعل بشرائه. وقد شيد هذا القصر في بداية الستينيات الهجرية، وكنت يومها يافعاً في بلادي ينبع وكنت أعي أسماء النجارين الذين قاموا على زخرفة أبوابه ونوافذه، وهي أسرة متخصصة في فن الزخرفة وهي أسرة «أبو يونس» وأذكر منهم أحمد أبو يونس وأنجاله وعبد رب الرسول أبو يونس. .

وقد خلف الشيخ حسن بابطين الذكر الحسن، والسيرة العطرة، كما خلف رجالاً نافعين منهم الأستاذ أحمد الذي يعمل حالياً مديراً لإدارة الضمان الاجتماعي في ينبع، وشقيقه سالم الذي يعمل في ميناء الملك فهد في ينبع.

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع المخلصين فليرحمه الله، إنه الشيخ حسن سالم بابطين.

***

الفقيه عبدالمعين عيسى

أسرة أبو عيسى من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان أحد رجال هذه الأسرة في العهد الهاشمي الشيخ الفقيه المقرئ عبدالمعين، إذ كان واحداً من الذين ساهموا في تعليم أبناء ينبع القرآن الكريم، إذ فتح كتَّاباً يدرس فيه إلى جانب القرآن الكريم التجويد والتوحيد، وكان ذلك في إحدى الزوايا في سوق ينبع القديم إلى جانب كتَّاب الفقيه محمد الموشى والفقيه محمد حسن أبو بصيل في زاوية أبو علوان. وكتَّاب عالم ينبع الكبير الشيخ حامد القباني في مسجد السنوسية في أطراف مدينة ينبع بجوار قصر الأشراف آل أبو ماء بحي الخريق.

وكان الشيخ عبدالمعين يكتب للناس عقود البيع والشراء والأخذ والعطاء وكما قال الأولون رحمهم الله أن الشيخ عبدالمعين كان رجلاً عابداً على جانب من الأخلاق الطيبة.

ومن آل (أبو عيسى) في هذا العصر الشيخ بادي عيسى، كان من موظفي جمرك مدينة ينبع خبرته صديقاً لوالدي، إذ كان من خيرة الرجال الطيبين ذوي الشهامة والمروءة. اخترمه الموت في الستينيات الهجرية، ومن آل أبو عيسى نجله عبدالعزيز عيسى رحمه الله، كان من موظفي الجمارك بالمنطقة الشرقية ثم نقل إلى جمرك ينبع، واستقر في بلاده إلى أن اختاره الله.

وكان لآل أبو عيسى العديد من الدور في قلب مدينة ينبع، وكان منهم البائعون والمشترون في سوق ينبع المسمى «الموقفة».

كانت هذه سيرة لواحد من حملة كتاب الله ومن فقهاء مدينة ينبع، إنه الشيخ عبدالمعين عيسى.

زارع مغربل

أسرة آل المغربل من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من أبرز رجالها في هذا العصر زارع مغربل، ولد في مدينة ينبع وتلقى التعليم فيها ودخل التجارة منذ صباه وأصبح واحداً من أبرز التجار في مدينته، كما أصبح واحداً من أعيان بلاده، وكانت له تجارة واسعة في الداخل والخارج ولاسيما جمهورية مصر الشقيقة، إذ كان يصدر لها آلاف الأطنان من الفحم الشجري وكان ذلك في السبعينيات الهجرية، وكان يستورد منها ما تحتاجه مدينة ينبع من أرزاق، كما كان يعمل وكيلاً لكثير من شركات النقل البحرية العربية والغربية، وقد مثل بلاده ينبع في مجلسها البلدي والإداري أكثر من مرة، وكان على جانب من الأخلاق الفاضلة وطنياً صادقاً يسعى دائماً لعمل الخير محبوباً بين الناس ذا رزانة لا يبت في كثير من الأمور إلا بعد روية، اخترمه الموت في أول الثمانينيات الهجرية في مدينة ينبع بعد أن ترك الذكرى الحسنة والسيرة العطرة وحزن عليه كثير من أصدقائه ومحبيه، كما كانت له تجارة واسعة مع موانئ البحر الأحمر: جدة، القنفذة، جيزان، أملج، الوجه، ضبا، وقد خلف من الأولاد الأستاذ حسن المغربل رحمه الله الذي كان من كبار موظفي البرق والبريد بجدة، ثم أصبح واحداً من موظفي سفارتنا السعودية بالقاهرة. وقد اخترمه الموت في نهاية التسعينيات، وقد خلف أولاداً عديدين منهم الدكتور فؤاد مغربل والمستشار القانوني نبيل مغربل، وكان شقيق زارع مغربل الشيخ طه مغربل، إذ كان واحداً من تجار مدينة ينبع ووكيلاً للعديد من تجار المدينة الذين كانوا يستورودن بضائعهم بواسطة ميناء ينبع من الخارج وقد خلف العديد من الأولاد النافعين منهم الأستاذ

محمد مغربل وكان موظفاً بمالية ينبع، ثم انتقل إلى جمارك المنطقة الشرقية، واخترمه الموت في منتصف التسعينيات، وشقيقه عبدالعزيز الذي كان يعمل بالخطوط السعودية بالظهران، كما خلف المهندس المعروف حسن مغربل من كبار موظفي وزارة البلديات.

كانت هذه ترجمة لواحد من تجار ينبع وأعيانها الشيخ زارع مغربل رحمه الله الذي رحل عن هذه الحياة فترك الأثر الطيب بين أهالي بلاده وأصدقائه. أما شقيقه طه مغربل فلا يزال على قيد الحياة ومستقراً بالمدينة المنورة فندعو له بطول العمر.

* * *

الفقيه محمد الموشى

وكان الشيخ محمد الموشي واحداً من حملة كتاب الله، وكان مقيماً بالمدينة المنورة وله كُتَّابٌ فيها يعلم فيه القرآن وحينما قامت الثورة العربية وأخذ فخري باشا يرحل أهالي المدينة إلى الشام وهو ما يسمى «سفر بارلك» تمكن من الهروب بأسرته من المدينة إلى ينبع البحر واستقر فيها بأسرته، وفتح له كُتَّاباً يعلم فيه بعض أبناء ينبع القرآن وتجويده في الزاوية الواقعة بالمنطقة المسماه بباب الحديد، إذ كان هذا الباب هو أحد أبواب أول سور لمدينة ينبع شُيد عام ٩١٥هـ شيده آخر حكام الدولة المملوكية قانصوه الغوري، وجدده عثمان أغا قائم مقام ينبع بأمر من دار السعادة عام ١١٢٦هـ، وكانت هذه الزاوية قريبة من المنشية عمارة آل الحادي الكبيرة. واستمر الشيخ محمد الموشى يدرس القرآن والتجويد لأبناء مدينة ينبع كما كان يكتب الوثائق الشرعية لأهالي البلدة.

كان حافظاً عالماً بالفرائض تتلمذ على يديه الأستاذ محمد حسين زيدان رحمه الله بالمدينة المنورة في الثلاثينيات الهجرية قبل أن يصل إلى ينبع مع أسرته التي هربت من المدينة حينما حاصرها فخري باشا، ويتحدث الأستاذ محمد حسين زيدان في كتابه «ذكريات العهود الثلاثة» فيقول: «وأدخلوني الكُتَّاب أمام باب الكومة الذي ينحدر الناس منه إذا ما جاءوا من الحرم يمتد إلى وقف السيد علوي السقاف، كان شيخ السادة يومها وهو جد الشيخ عمر السقاف الوزير».

وحينما رحل الشيخ محمد الموشى إلى جوار ربه تولى إدارة الكُتَّاب

من بعده الشيخ حمدان أبو فريح وحيث اخترمه الموت في عام ١٣٥٨هـ وتولى مشيخة الكُتَّاب الشيخ عبدالرحمن الخلاوي الذي انتقل فيما بعد إلى جدة.

* * *

حسن جميل مقدم

آل المقدم من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكان أكثر أفرادها يمتهنون التجارة، ولآل المقدم العديد من القصور في حي السور، ولازالت من القصور الأثرية الباقية اليوم في قلب ينبع القديمة، وكان حسن جميل مقدم واحداً من رجال ينبع وأعيانها في هذا العصر، ولد في ينبع وتلقى تعليمه فيها، وكان من أمهر الخطاطين في مدينة ينبع في زمانه، وكان صاحب ديباجة رفيعة في كتاباته، عمل عضواً في المجلس البلدي أكثر من مرة، وقد خلف العديد من الأولاد وكان أكبرهم الأستاذ توفيق مقدم وكان من كبار موظفي الجمارك في المنطقة الشرقية، والأستاذ عبدالجليل مقدم والذي يعمل من سنوات عديدة في مدينة جدة في البيت التجاري الكبير «آل رضا»، والذي خلف حسن من موظفي وكالة الأنباء السعودية في مدينة جدة في الوقت الحاضر، وكان حسن جميل مقدم على جانب من الأخلاق الفاضلة والروح الطيبة، إذ كان لا يتوانى عن المساهمات الوطنية التي تخدم مصلحة بلاده، وكان من أشقاء حسن جميل مقدم الأستاذ زكي مقدم، وكان من موظفي وزارة الصحة، وكانت له مكتبة في ينبع وهو أول من جلب الصحف الخارجية لتوزيعها في ينبع، وشقيقه أحمد جميل مقدم وكان من كبار موظفي الجمارك بجدة، ولسعة اطلاع حسن جميل وادراكه للأمور الرسمية وتمكنه من الكتابة بأسلوب جيد كان كثيراً ما يركن إليه الناس ويطلبون منه أن يدبج لهم استدعاءاتهم إلى الجهات الرسمية ان كان في داخل ينبع أو خارجها. وقد اخترمه الموت في نهاية السبعينيات بعد أن ترك الأثر الطيب بين أهالي بلاده ومعارفه.

وكان من أعيان ينبع وتجارها في هذا العصر الشيخ أمان مقدم والذي مثل بلاده مع وفد ينبع في اجتماع أُم القرى عام ١٣٤٤هـ وبين أيدينا صورة وثيقة رسمية موجهة من قائم مقام ينبع السيد مصطفى الخطيب إلى الشيخ أحمد نقادي برقم ٥٨ وفي ١١ رجب عام ١٣٤٤هـ ونصها: بناء على كفاءتكم واخلاصكم، فإن كافة أهالي ينبع قد انتخبوكم نيابة عن عموم أهالي ينبع، أنتم والسيد مصطفى سبيه، والشيخ ياسين حسن جداوي، والشيخ أمان مقدم، أن تمثلوا الأمة وتحضروا الاجتماع الذي سيتشكل في أم القرى للنظر في شئون البلاد وما يصلح لها. فعليه يلزم عليكم أن تغادروا ينبع بأول باخرة تقدم إليها والأمل في حضرتكم أن تقوموا بما يقتضي عليكم من الواجبات نحو الأمة والبلاد. والمولى يوفقكم لما فيه الخير ودمتم.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع وأعيانها في هذا العصر ومن أسرها العريقة، إنه حسن جميل مقدم فليرحمه الله.

***

حمدي حمزة أبو زيد

أسرة (أبو زيد) من الأسر العريقة في مدينة ينبع، ومنهم في هذا العصر الأستاذ/ حمدي حمزة أبو زيد الذي يعتبر واحداً من الشباب العصاميين المكافحين الذين كافحوا في سبيل العلم والمعرفة، تلقى دراسته الأولية في مدينة ينبع، وحصل على الماچستير في إدارة التنمية من الجامعة الأمريكية بجمهورية مصر العربية، وبكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية من جامعة الملك سعود بمدينة الرياض، تقلب في العديد من الوظائف الحكومية في وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وكان آخر مركز له نائب الرئيس العام لجمعية الهلال الأحمر السعودي.

يعتبر الأستاذ حمدي واحداً من الشباب الذين ميزهم الله بسعة الاطلاع والأخلاق الحميدة وحسن الاستقامة محباً لعمل الخير.

ومن آل أبو زيد في هذا العصر العميد/ صالح أبو زيد رحمه الله الذي اخترمه الموت في ريعان شبابه وكان على جانب من الأخلاق الفاضلة وحسن الاستقامة.

***

عبدالرحيم بن حمود الزليباني

أسرة الزليباني من الأسر العريقة في مدينة ينبع، ومن رجال هذه الأسرة في هذا العصر الأستاذ/ عبدالرحيم بن حمود الزليباني، إذ كان واحداً من رجال التعليم ومن شباب ينبع العصاميين الذين شقوا طريقهم في هذه الحياة بالجد والدأب والاجتهاد، تلقى تعليمه الأولي في مدينة ينبع ثم أكمل دراسته في المدينة المنورة، ثم واصل دراسته الجامعية وحصل على ليسانس كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود بمدينة الرياض، إذ بدأ حياته مدرساً حتى أصبح مديراً لإدارة التعليم بمحافظة مدينة ينبع، وإماماً وخطيباً لجامعها الكبير، كما أصبح مديراً لجمعية إصلاح ذات البين في مدينة ينبع وعضواً في جمعية البر.

الشيخ عبدالرحيم على جانب من الأخلاق الطيبة وحسن الاستقامة محباً لعمل الخير، ومن آل الزليباني في هذا العصر عواد الزليباني مدير البرق والبريد في مدينة بدر، كان على جانب من الأخلاق الطيبة وحسن الاستقامة، إذ كان شاعراً شعبياً معروفاً له العديد من القصائد رحمه الله رحمة الأبرار.

***

الفقيه الشيخ محمد حسن أبو بصيل

أسرة آل بصيل من الأسر العريقة في مدينة ينبع، ويقول الأستاذ محمد حسين زيدان رحمه الله في كتابه «العهود الثلاثة»: «ورُحِّلنا إلى ينبع مع الذين رحلهم فخري باشا، ودخلت كُتَّاب الشيخ أبو بصيل، وما أسرع ما انضم هذا الكُتَّاب إلى المدرسة التي فتحت في ينبع ومديرها الأستاذ أحمد أبو بكر حمد الله زميل أستاذنا السيد/ حسين طه، كان في بعثة إلى المدرسة السلطانية في دمشق، تخرج من المدرسة الاعدادية في المدينة وكل منهما كان رياضياً ممتازاً ومن أساتذتي في هذه المدرسة الشيخ القاضي الفقيه عبدالغني مشرف من أهل المدينة الأخيار وزملائي فيها إبراهيم زارع، حمزة فرهود، زكي عمر وغيرهم».

لعل البعثة التي أشار إليها شيخنا الزيدان كانت في العهد العثماني وتضم كلاً من أحمد أبو طالب والسيد حسين طه من المدينة كذلك كانت تضم محمد حامد العنيبسي الإبراهيمي، ومحمد عنبر أغا من ينبع البحر مع الذين ابتعثوا من المدينة إلى المدرسة السلطانية بالشام وحصلوا على شهادة عالية بالاجازة في التدريس، وعُين محمد العنيبسي بعد عودته مديراً لمالية العقبة واخترمه الموت هناك وكان كُتَّاب الشيخ أبو بصيل بحي السور بزاوية تسمى زاوية أبو علوان وسميت بزاوية أبي علوان نسبة إلى رجل مغربي اسمه عبدالحافظ أبو علوان أشار إليه صاحب الرحلة الحامدية الذي جاء للحج من مصر عام ١٢٧٩هـ، وغادر ينبع عائداً في شهر صفر عام ١٢٨٩هـ وقد أشرت إلى ذلك في كتابي «تاريخ ينبع» الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.

وظل الشيخ أبو بصيل يدرس في هذا الكُتّاب في نهاية العهد الهاشمي حتى العهد السعودي، ثم تحول كتّابه إلى مدرسة لأبناء البادية عام ١٣٥٤هـ وكانت تضم هذه المدرسة قرابة مائتي تلميذ، تقوم الحكومة بالانفاق على طلباتها، وكان أمير ينبع وقت ذاك حمود بن إبراهيم يولي هذه المدرسة الكثير من العناية. وقد قام الشيخ أبو بصيل وابنه أحمد يدرسون أبناء البادية في هذا الكتّاب. كما نجد في إحدى الوثائق في بداية العهد السعودي في عام ١٣٤٤هـ، وفي رسالة من أمير ينبع عبدالرحمن بن سعيد رحمه الله إلى سعادة مدير عام المعارف الشيخ صالح شطا برقم ٥ وتاريخ ٢٢ شوال بتشكيل أول هيئة للتدريس في مدرسة ينبع ومنهم أحمد محمد حسن أبو بصيل الذي انضم إلى مدرسة البادية في عام ١٣٥٤هـ ثم عاد إلى التدريس في المدرسة الأميرية بينبع، وكان الشيخ أبو بصيل من قراء مدينة ينبع، اخترمه الموت في منتصف الستينيات الهجرية، أما ابنه أحمد فقد ظل مدرساً حتى اخترمه الموت في نهاية السبعينيات الهجرية. وقد خلف العديد من الأولاد وكان منهم حسن من موظفي الجمارك بجدة رحمه الله وحسين كان من موظفي المدرسة الأميرية بينبع، كان الشيخ أبو بصيل من قراء ينبع المعروفين رحمه الله.

***

مدني أبو العلا

آل أبو العلا من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وآل أبو العلا وآل أبو طالب وآل حمد الله وآل هنيدي وآل زارع يجمعهم جدّ واحد. ومن آل أبو العلا الأستاذ/ مدني محمد أبو العلا تعلم في مدينة ينبع وثقف نفسه بنفسه، إذ كان على جانب من الثقافة وسعة الاطلاع إذ كانت له مساهمات أدبية في كثير من الصحف، وعمل مراسلاً لبعض الصحف في مدينته ينبع، بدأ موظفاً في محكمة ينبع الشرعية، حتى أصبح رئيساً لكتابها، وفي منتصف الستينيات الهجرية انتقل إلى مدينة جدة وعمل بوزارة الزراعة، ثم عين مديراً لمكتب الزراعة في مدينة ينبع، واستقر في نهاية حياته في المدينة المنورة، إذ اخترمه الموت فيها ومن أشقائه الأستاذ/ علي أبو العلا كان من موظفي إمارة ينبع، ثم انتقل إلى جدة وعمل بوزارة الصحة، واخترمه الموت فيها ومن أنجاله الأستاذ/ أنور أبو العلا من موظفي وزارة المالية بالرياض في الوقت الحاضر، ومن أشقاء مدني وعلي ياسين أبو العلا، كان من موظفي وزارة الزراعة بالمدينة رحمه الله، وكان مدني أبو العلا وأشقاؤه على جانب من الاستقامة والأخلاق الرفيعة رحمهم الله.

***

زارع حمزة أسطى

يعتبر زارع أسطى واحداً من أعيان ينبع، في زمانه إذ درس في مدارس ينبع، وتعلم على التلغراف بينبع الذي أسس في العهد العثماني، وحينما أطل العهد السعودي أصبح مديراً لإدارة البرق والبريد والهاتف، ظل في ذلك المنصب أكثر من أربعين عاماً، شاء الله لي في أول حياتي الوظيفية في ينبع أن أعمل مع هذا الرجل لسنوات عديدة، فعرفت فيه جوانب طيبة إذ كانت فيه طيبة وتسامح، يحرص على عمل الخير، يعطف على الفقراء، ويحرص على مساعدتهم، سخياً جواداً، لا يعمل حساباً للمال إلا أنه يأتي ويذهب، كان محبوباً بين موظفيه وبين أهالي بلاده، كان للناس فيه محبة، تعرض هذا الرجل إبّان عمله مديراً لإدارة البرق والبريد والهاتف لمحنة قاسية إذا كتب الله له النجاة من الموت وكان ذلك في عام ١٣٧٢هـ:

كان رحمه الله يبكر في الحضور للعمل قبل كافة الموظفين حيث تكون الإدارة خالية من العاملين. دخل عليه ذات صباح أحد المعتوهين وهو يحمل سيفاً قديماً، وانفرد به في غرفته وضربه عدة ضربات في رأسه، ولكن كتب الله له النجاة من ذلك المعتوه الذي أراد قتله حين أدرك مأمور السنترال المتواجد في غرفته وحيداً في الإدارة أن المجنون انفرد بمدير الإدارة صرخ بالجنود الذين كانوا يحرسون الكنداسة[1] التي تقطر الماء العذب للمدينة والتي كانت قريبة من إدارة البرق والبريد والهاتف، وفزع الجنود وخلصوه من المعتوه، ونقلوا زارع أسطى إلى

(١) كنداسة: أي آلة كوندينسر لتقطير المياه.

مستوصف المدينة وقد كتب الله له النجاة والشفاء وحينما علمت المديرية العامة للبرق والبريد بمكة بما حدث لمدير الإدارة أمرت يومها بإيجاد حراس لهذه الإدارة وكان يوم ذاك مدير عام البرق والبريد بمكة الشيخ إبراهيم سلسله رحمه الله .

وقد اخترم الموت زارع أسطى في الثمانينيات الهجرية بعد أن أدى رسالته كاملة في الحياة ، وقد خلف العديد من الأولاد النافعين ، ومنهم لطفي الذي كان يعمل مديراً للمدرسة اللاسلكية في ينبع ، ومفيد الذي كان يعمل مأموراً للبريد . ومن إخوانه المقدم المتقاعد/ حسن حمزة أسطى المقيم حالياً بجدة .

ومن الأمانة التاريخية أن نذكر الزملاء من أهالي مدينة ينبع الذين عملوا في هذه الإدارة مع المدير زارع أسطى ، والذين كان عددهم محدوداً ولكن عطاءهم كان كبيراً بفضل اخلاصهم : حسن عبدالله ضليمي مأموراً للحوالات ، على ضليمي مأمور مخابرة «تلغراف» ، حمزة حمدان أبو صابر أمين صندوق ، صالح حامد السناني كاتب برقيات ، علي كيال مأمور بريد ، محمد محمود درويش مأمور سنترال ، محمد أحمد بدوي مهندس سنترال ، حسين محسن خريشي معمر خطوط ، سعد موسى الخطيب معمر خطوط .

هكذا رحل زارع حمزة أسطى مدير البرق والبريد بينبع بعد أن ترك الذكر الحسن من خلال حياته .

***

محمد حجي

أسرة آل حجي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وتعود بنسبها إلى الشيخ الشريف الولي الصالح أبو الحجاج الأقصري، وكان جدود آل الحجي هم أمراء القلعة في صعيد مصر في القرون السابقة. وكان من أبرز رجالها في هذا الزمان الشيخ محمد حجي الذي كان واحداً من العصاميين إذ بدأ حياته بتجارة متواضعة في أسواق مدينة ينبع، وبفضل جده وكفاحه بسط الله له في الرزق فأصبح في يوم من الأيام من أكبر تجار مدينة ينبع، إذ كانت له تجارة واسعة مع تجار جمهورية مصر العربية الشقيقة ولاسيما تجار ميناء السويس، ومن أشهرهم آل الغفير، وآل مرعي، وآل كمال إسماعيل رحمه الله إذ كان محمد حجي إبان الحرب العالمية الثانية يُصدر لهم من ميناء ينبع على البواخر والسفن آلاف الأطنان من الفحم الشجري والثمور والحناء ويستورد من مصر الأرزاق والفواكه والخضروات.

وكان للشيخ محمد حجي قصور عديدة في حي السور المتاخم لميناء ينبع القديمة، وسمي بالسور لأنه شُيد عليه أول سور لينبع في عام ٩١٥هـ، كما كانت له قصور في أحياء أخرى، وكان له العديد من البساتين في قرية «عين علي» رضي الله عنه بينبع النخل. كما كانت له سيارات شحن كبيرة تنقل البضائع بين جدة والمدينة وينبع وكان يعمل وكيلاً لكثير من شركات البواخر الأجنبية.

قال الأولون من أهالي بلادنا ينبع أنه من الأوليات للشيخ محمد حجي أنه أول من جلب المخترع الجديد المذياع من جمهورية مصر العربية إلى ينبع في الثلاثينيات الميلادية ووضعه في مقهى المنشية القابع على شاطئ

ينبع إذ أخذ الناس يومها يتوافدون على هذا المقهى لرؤية ذلك المخترع الجديد، ومن ثم بدأ المذياع ينتشر في دور الأسر الكبيرة بينبع .

ومن بقايا ذكريات طفولتي أن أول مذياع دخل دار أسرتنا أسرة آل الخطيب هو راديو فيليبس موديل ٤٤ جاء هدية للأسرة من الملك إدريس رحمه الله ملك ليبيا سابقاً، إذ بعثه إلينا عن طريق ميناء السويس من جمهورية مصر العربية واحتفلنا يومها بذلك الحدث الجديد الذي دخل على حياتنا، وكان في كل عام وفي فصل الصيف يقدم من الرياض إلى ينبع ابنها البار الشريف مهنا بن عطية المهندس البارع إذ كان يومها واحداً من مهندسي تلغراف مدينة الرياض فيقوم بمسح شامل لصيانة الراديوهات الموجودة في دور أعيان المدينة بدون مقابل إذ تربطه بهم أواصر قرابة ومحبة .

كان الشيخ محمد حجي رحمه الله رجلاً فطرياً صافي السريرة، متسامحاً في كثير من أمور الحياة، محباً لعمل الخير، باراً بأقاربه وقد اخترمه الموت في الثمانينيات الهجرية، وقد خلَّف العديد من الأولاد النافعين، ومن أكبرهم حسن الذي كان يعمل في جمارك جدة، ورجل الأعمال منصور في مدينة ينبع الذي ميزه الله بروح مرحة يركن إلى الدعابة البريئة مع أصدقائه ومعارفه ـ رحمه الله ـ وقد انتقل إلى جوار ربه في عام ١٤٠٩هـ، ورجل الأعمال حسين في مدينة جدة ورجل الأعمال خضر في مدينة الرياض .

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من رجال ينبع وتجارها العصاميين، إنه الشيخ محمد حجي .

***

محمد حسن سلامة

آل سلامة من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان محمد حسن سلامة واحداً من تجار ينبع المعروفين، وكانت له سفن تجارية في البحر الأحمر، وكان واحداً من التجار الذين يصدرون الفحم الشجري إلى جمهورية مصر العربية، كان له العديد من الدور في مدينة ينبع، وحينما ركدت الحياة التجارية فيها في الستينيات الهجرية بأسباب الحرب العالمية انتقل بتجارته إلى مدينة رابغ ثم عاد إلى مدينة ينبع، وكان رجلاً على جانب من الأخلاق الفاضلة وحسن الاستقامة وكان من أكبر أنجاله علي من موظفي جمارك جدة، والأستاذ إبراهيم الذي كان مديراً لكنداسة ينبع، ثم انتقل إلى الرياض، وعمل مديراً للإدارة المالية للقوات المسلحة. ويعتبر واحداً من الشعراء المجيدين في شعر الكسرات.

وكان من أنجاله حسن الذي عمل بجمارك جدة ثم اتجه للأعمال التجارية، ومن أحفاده اليوم رجل الأعمال الأستاذ سامي حسن سلامة.

كانت هذه سيرة لواحدٍ من تجار ينبع، إنه محمد حسن سلامة رحمه الله.

***

جميل معيلف

أسرة آل معيلف من الأسر العريقة في مدينة ينبع وتعود بجذورها إلى بادية المنطقة، وكان من أبرز رجالها في هذا العهد الأستاذ جميل معيلف يرحمه الله ولد بمدينة ينبع ودخل أول مدرسة أسست في مدينة ينبع عام ١٣٢٧هـ وعين فيها مدرساً لسنوات عديدة، ثم انتقل موظفاً بمالية ينبع، وتدرجت به الحياة حتى أصبح رئيساً لقلم الحسابات فيها يوم كانت كافة الإدارات الحكومية مرتبطة مالياً بوزارة المالية. وقد أناب عن مدير مالية ينبع مرات عديدة في عهد مديرها محمود بن عبدالله الخطيب يرحمهم الله جميعاً.

كان الأستاذ جميل معيلف من الكفاءات المتميزة في عالم الإدارة والحسابات، إذ كان يشهد له أنه كان يعمل في خلال الأربع والعشرين ساعة اثنتي عشرة ساعة بدون ملل.

وكان له جلد على العمل، وكان يرحمه الله يدرك الشيء الكثير عن تاريخ مالية ينبع، إذ بعثت له برسالة استفسر فيها عن تاريخ المالية ومتى تأسست في مدينة ينبع، فأجابني في رسالة مطولة ومن قوله عن المالية: «وجود المالية في بداية العهد السعودي كان امتداداً للعهود السابقة، إذ كانت موجودة منذ عهد الأتراك والأشراف حسبما فهمت، وقبل بداية العهد السعودي كان مدير المالية أحد الأتراك ويدعى صالح وصفي، وفي بداية العهد السعودي كان الشيخ حمزة محمد علي بخيت ممثل المالية إذ كان معتمد الحكومة في صرف الرواتب وكان أول مدير للمالية في هذا العهد وفي عام ١٣٤٦هـ الشيخ حمد الميمان. وفي عام

١٣٤٧هـ الشيخ محمد العثمان الناجم».

وفي أول التسعينيات انتقل الأستاذ جميل معيلف من مالية ينبع إلى المدينة المنورة ليعمل مديراً لمصلحة الزكاة والدخل فيها، وفي نهاية التسعينيات اختاره الله إلى جواره وقد أنجب من الأولاد عبدالله.

لقد عرفت الأستاذ جميل معيلف فعرفت فيه السجايا الحميدة وحسن الاستقامة كان محبوباً بين أهالي بلاده ينبع وكان يتصف بالهدوء والرزانة فليرحمه الله رحمة الأبرار.

***

شاهر أبو العسل

كان شاهر أبو العسل واحداً من أعيان ينبع النخل، وهو شيخ فخذ رفاعة من جهينة، وكانت لآل أبو العسل بساتين عديدة في ينبع النخل، وحدثنا الشيخ سالم بن شاهين من رجال ينبع البحر وأعيانها رحمه الله في هذا العصر عن صديقه شاهر أبو العسل، حينما كانت تبعثه إمارة ينبع للإشراف على الزكاة في الزمن الماضي، إذ كان يشاركه في هذه المهمة إذ يقول عنه: إن داره كانت مفتوحة في ينبع النخل لكل وافد، إذ كان يقري الضيف ويساعد المحتاج إذ كان يعتبر من خيرة الرجال، وفيه شهامة ومروءة وحسن الاستقامة إذ كان له العديد من الأصدقاء من أعيان ينبع البحر.

وكان من آل أبو العسل صديقنا محمد أبو العسل من موظفي المديرية العامة للجمارك بمدينة جدة لقد لمست في ذلك الإنسان التربية الصادقة والأخلاق الرفيعة، وقد اخترم الموت شاهر أبو العسل في الثمانينيات الهجرية بعد أن ترك الأثر الطيب بين محبيه وأصدقائه.

***

سعد الشطيري

الشطارية من أفخاذ الصراصرة من قبيلة جهينة، ومن منازلهم قرية السويق وهذه القرية هي قاعدة ينبع النخل، إذ كانت تشتمل على خمس وعشرين قرية في الستينيات الهجرية، ويحدثنا التاريخ وما أشار إليه المؤرخ البكري أن محمد بن عبدالمجيد الصباح زعم أن في ينبع مائة عين إلا عين، وذكر ياقوت الحموي عن الشريف ابن سلمة العياشي الينبعي أنه قال: عددت فيها مائة وسبعين عيناً، وهذه حقيقة تاريخية صادقة لقد عثرت في ثنايا كتب التاريخ على عشرات المسميات لقرى ينبع المندثرة سنورد أسماءها في تاريخ ينبع في الطبعة الثانية.

وكان لآل الشطيري العديد من البساتين في ينبع النخل. والشطارية من أعرق سكان هذه المنطقة، ومن رجال هذه الأسرة في هذا العصر الشيخ سعد الشطيري رحمه الله لقد عرفته في السبعينيات الهجرية في مدينة جدة، إذ كان رَحَلَ من ينبع النخل واستقر في هذه المدينة، عرفته فعرفت فيه الأخلاق الفاضلة والطيبة الصادقة يلقى الناس بكل الحب، وكان كريم اليد والعشرة.

كما عرفت ابنه مسعد الذي يتصف بصفات أبيه وقد توفي في الثمانينيات الهجرية في مدينة جدة فليرحمه الله.

***

محمد علي طوري

تعتبر أسرة الطوري من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكانت هذه الأسرة تسكن بين ينبع النخل وينبع البحر، فكانت تقضي الشتاء في ينبع البحر أما في الصيف فتظل مقيمة في قرية البركة بينبع النخل، وقرية البركة من منطقة قرى العشيرة التاريخية وكان من رجال هذه الأسرة في هذا العصر محمد علي الطوري عمدة محلة السور الذي قضى في هذه المهنة سنوات عديدة، وكان على جانب من الأخلاق الفاضلة وحسن الاستقامة، محبوباً بين الناس، وبعد رحيله عن هذه الحياة تسلم العمدية من بعده أحد أفراد أسرته منصور الطوري رحمه الله، والذي سار على نهج عمه ومن أشقاء محمد علي الطوري عبدالحميد الطوري رحمه الله كان على جانب من الأخلاق الفاضلة، وحسن الاستقامة وهو والد اللواء عطية والعميد محمد بالقوات المسلحة في عصرنا الحاضر.

ومن آل الطوري محسن الطوري ومسعد ومساعد الطوري رحمهم الله.

***

الشريف مهنا بن عطية الله

الشريف مهنا بن عطية الله من الأشراف ذوي زاهر القرون سكان قرية اليسيرة.

واليسيرة وقرية البثنة القريبة منها تسمى تاريخياً البثنات. والبثنات أرض تلقاء سويقة اعتملها عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو جد أشراف ينبع جميعاً وكان له ولأولاده موسى وإبراهيم ومحمد وإدريس ويحيى أثر في تاريخنا الإسلامي.

اعتمل عبدالله البثنات بمال امرأته هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعه وأجرى عيونها وهي البثنات فلما عمرت قال لها ما خطوت من البثنه فهو لكِ.

ورحل الشريف مهنا بن عطية الله من منطقة ينبع بالحجاز شاباً إلى مدينة الرياض، وعمل في هندسة إدارة اللاسلكي حتى أصبح واحداً من المبدعين في هندسة التلغراف والراديوهات، وصمم في السبعينيات الهجرية مرسلة إذاعية، وقد خرج من بعده أخواه ولحقا به بمدينة الرياض، وهما حامد ومعلا وعملا معه في هندسة تلغراف مدينة الرياض واستقر الشريف مهنا وإخوانه في مدينة الرياض حتى أصبحوا اليوم من أهلها ولقد خلف مهنا وحامد العديد من الأولاد النافعين كما خلف معلا الأستاذ فهد وكيل وزارة المواصلات في الوقت الحاضر.

ومن أبناء عمومة الشريف مهنا الأشراف القرون منهم الشريف لافي ابن صالح شيخ قرية اليسيرة، والشريف علي بن لافي بن زاهر وعودة بن

لافي وإخوانه عبدالله وصالح وحمود بن حميد وعواد بن سعد والشريف ابن قطيل وعبدالله بن حمد بن حذيفة وعوده بن حمد بن معتوق وإبراهيم ابن زاهر من قضاة ينبع النخل في العهود السابقة . وتربط الأشراف القرون صلة رحم بالأشراف العيايشة والأشراف العنقاوية .

كان الشريف مهنا يشخص إلى مدينته ينبع في كل صيف فيلقاه الناس من أقاربه ومعارفه بكل الحب ، وهناك علاقة وطيدة تربط أسرتنا أسرة الخطيب بالشريف مهنا وإخوانه .

لقد عرفت الشريف مهنا أطال الله في عمره فعرفت فيه وفي أشقائه الصفات الحسنة الحميدة وحسن الاستقامة ويظل الشريف مهنا واحداً من رجال ينبع وأعيانها في هذا العصر .

***

محمد بن سليمان بن صديق النزاوي

تعتبر أسرة آل صديق من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان محمد بن سليمان واحداً من أعيان ينبع ومن رجالها المعروفين. كانت له صلة صداقة ومحبة مع العديد من رجال قبائل ينبع، وعاش فترة من حياته في «تلعه نزه» ونزه هي فخذ من جهينة، وكان من كبار ملاك البساتين في قرية الجابرية، وعين سليمان. وكانت داره من الدور المشرعة في ينبع النخل إذ كان يتصف بالكرم والشهامة والمروءة. كان يسعى بالصلح بين الناس من أهالي بلاده ينبع بحرها ونخلها، وكانت له دور وأملاك في مدينة ينبع البحر. وكما روى لي أحد أحفاده الأستاذ/ عبدالرحمن بن صديق شاعرنا الشعبي المعروف ومدير الفرع المالي في ينبع أن جده صاهر أكثر عشائر ينبع، إذ تزوج اثنتين وثلاثين امرأة وقد أنجب العديد من الأولاد حينما كان مقيماً في تلعه نزه لكن اختارهم الله إلى جواره، وكان ابنه صديق على جانب من الأخلاق الفاضلة والسمعة الطيبة، وقد ورث عن أبيه أحسن الصفات، وكان من أكبر أنجاله خلف وقد توفي في ريعان شبابه، ومحارب رحمه الله، وعبدالحميد من رجال الأعمال في ينبع، وعبدالرحمن الذي أشرت إليه يعتبر من أجود شعراء الكسرات في ينبع، وله شعر متميز في هذا المجال. ومن آل صديق فالح بن صديق رحمه الله كان صاحب متجر أقمشة في سوق ينبع القديم، ومن أنجاله أحمد الذي عمل مدرساً بالمدرسة الأميرية بينبع، ورحل فالح بن صديق في السبعينيات من ينبع إلى المدينة واستقر بها إلى أن اخترمه الموت هناك، ومن آل صديق صالح بن صديق إمام أحد المساجد في مدينة ينبع، وتظل أسرة صديق من الأسر العريقة في ينبع.

ومن آل بن صديق جابر بن صديق رحمه الله ومن أنجاله علي ومحمد وأحمد ومحمود الذي التحق بمدرسة الشرطة بمكة وأصبح فيما بعد واحداً من رجال الأمن.

كانت هذه سيرة عطرة لواحد من أعيان ينبع ورجالها الطيبين، إنه الشيخ محمد بن سليمان بن صديق النزاوي.

***

حسن عبدالله ضليمي

كم من رجال في هذه الحياة في بلادنا ينبع البهية كان لهم تاريخ، كما كان يسميها المتقدمون في العصور الغابرة ولم تأت هذه التسمية من فراغ لقد كانت ينبع بهية بتجارة أهلها الواسعة بهية بشهامة أهلها بأخلاقهم الرفيعة بكرمهم الحاتمي وحديثنا اليوم عن رجل أنموذج في الأعمال الخيرة والتضحية والوطنية إنه الشيخ حسن عبدالله ضليمي وأسرة الضليمي من الأسر العريقة في مدينة ينبع وآل الضليمي من الأسر العربية الأصيلة التي نزحت من منطقة ضلم باليمن إلى مكة بالحجاز واستقرت بها وأصبحت من أهلها كما قال المعمرون من هذه الأسرة أنه كانت لهم أملاك بمكة ومن ضمنها أرض موقوفة أمام باب العمرة للحرم المكي، وقد ارتحل آل الضليمي من مكة إلى جدة بغرض التجارة، واستقروا بها سنين عديدة، ثم قدم جدهم الأكبر حسن ضليمي إلى ينبع متاجراً هو وجميع أسرته فأصبح واحداً من أهلها، واندمجت أسرة آل ضليمي مع أسر ينبع الكبيرة بصلة الرحم كأسرة آل الخطيب وأسرة عبدالقادر وأسرة آل عاشور سبيه. وحسن عبدالله ضليمي ولد في مدينة ينبع وتعلم في مدارسها ثم عمل موظفاً بإدارة البرق والبريد لسنوات عديدة، ثم تفرغ للتجارة، وحسن ضليمي أمانة للتاريخ يعتبر واحداً من الوطنيين المخلصين، وكان أول رائد للرياضة في مدينة ينبع إذ كان مديراً لأول فريق رياضي تأسس فيها، وهو «فريق رضوي» بينبع وكان ذلك في عام ١٣٦٧هـ، وقد بذل من ماله وجهده الشيء الكثير في سبيل النهضة الرياضية، وقد نال فريق رضوي شهرة في الداخل والخارج وكان هو أول رئيس لجمعية البر في مدينة ينبع كما عمل على تأسيس جمعية

تحفيظ القرآن للصبيان والنساء كما قام بتشييد أحد المساجد في بلاده ينبع على نفقته الخاصة وهو مسجد الهدى كما قام بتشييد أول رباط في تاريخ ينبع ليأوي الأرامل والفقراء والأيتام في هذه المدينة فجزاه الله خير الجزاء على ما ظل له باقياً من أعمال الخير التي قدمها لبلاده .

لقد عاشرت هذا الرجل سنين عديدة ، فهو والد وصديق وخبرت له مواقف شهامة ومروءة مع كثير من الناس يثاب عليها عند الله وشقيق حسن ضليمي الأستاذ علي ضليمي كان واحداً من رجال التلغراف في ينبع ، وعبدالفتاح ضليمي كان من المدرسين الأوائل في مدرسة ينبع الأميرية ، وكان عمهم طه ضليمي واحداً من الذين عملوا مع الشيخ زكي عمر في جمارك المنطقة الشرقية ثم عين مساعداً لمدير عام جمارك جدة ، وكان عمهم ياسين ضليمي واحداً من موظفي جمرك ينبع ثم نقل إلى المديرية العامة للجمارك بجدة فعمل مديراً عاماً للاحصاء لسنين عديدة .

كانت هذه سيرة لواحد من رجال ينبع المخلصين الذين قدموا لبلادهم خدمات جليلة سوف لا يهملها تاريخ ينبع إنه الشيخ حسن بن عبدالله بن حسن ضليمي من أعرق الأسر في مدينة ينبع ولا يسعنا إلا أن ندعوا له بطول العمر ونسأل الله له التوفيق .

***

الفقيه محمد حسن عبده

الشيخ محمد حسن عبده وهو واحد من أبناء بادية ينبع النخل، ولد فيها وانتقل في بداية حياته مع والده إلى ينبع البحر، وفتح الله عليه فحفظ القرآن الكريم وجوّده على بعض علماء ينبع السابقين، وقد ميزه الله بصوت جميل، وفقد بصره في ريعان شبابه، وفتح كتّاباً لتعليم بعض أبناء ينبع القرآن، وهنا نقف على حقيقة تاريخية من بعض الوثائق الشرعية أنه كان يملك داراً في حارة عبدالقادر الجيلاني بينبع بجوار المخبز التي تملكه شقيقته عيدة عبده وتلك الدار تقع أمام عرصة الشيخ العباسي ولعل أبناء ينبع اليوم لا يدركون ما هي حارة عبدالقادر الجيلاني وما هي عرصة العباسي.

حارة عبدالقادر الجيلاني: هي المنطقة الواقعة في قلب مدينة ينبع القديمة والتي تقع فيها دور آل الخريشي، والميدان الواقع في تلك الحارة هو عرصة الشيخ العباسي، والشيخ العباسي هو الذي دفن في الجزيرة التي كانت تقع أمام ميناء ينبع القديم، وسميت باسمه جزيرة العباسي وقد شيد له قائم مقام ينبع في ذلك الزمان صادق أغا ضريحاً على قبره، وكان ذلك في عام ١٢٨٥هـ، وهذا ما يؤكده لنا شاعر ينبع حسن عبدالرحيم القفطي الخزرجي الأنصاري في ديوانه إذ يقول بمناسبة تشييد ضريح العباسي:

أيـــد الله صـــادقـــاً وحبـــاه ... مقعد الصدق يوم حسن المآب

قـد أشـاد الضريـح هـذا رجـاءً ... في جزيل الثواب يوم الحساب

فتـــلا السعـــد إن فتحنـــا ... لـك يـا شـائـد البنـا خير بـاب

غفر الله لأهل زمن مضى، وتشييد الأضرحة غير جائز شرعاً، وخير القبور الدوارس كما قال سيد البشرية ﷺ، ولقد أزيل في عام ١٣٨٥هـ الضريح وأدخلت الجزيرة بكاملها في ميناء ينبع الحديث.

ولعل أسرة أغا التي منها الحاكم ظلت واحدة من أسر مدينة ينبع ومنها الأستاذ/ محمد عنبر أغا الذي ابتعث في العهد العثماني هو والأستاذ/ أحمد أبو بكر أبو طالب ومحمد حامد العنيبسي للدراسة في بلاد الشام وعادوا حائزين على الإذن بالتدريس من المدرسة السلطانية، وما زالت لآل الأغا أملاك عديدة في قلب ينبع القديمة وما زال بعض أفرادها يسكنون ينبع والبعض منهم انتقل إلى المدينة واستقر بها، ولعل الكثير والكثير يتساءلون من هو الشيخ العباسي المدفون في الجزيرة التي سميت باسمه، لقد وقفت على حقيقة صادقة أرجو أن تعيها الأجيال السابقة والحاضرة، إذ يشير التاريخ الصادق على أن هناك ثلاثة لم يجيئوا الحجاز محاربين ولا جاءوا مع المصريين وهم جديرون بالذكر لأنهم من العلماء المستشرقين المستعربين الذين دخلوا مكة حينما كانت في يد الدولة السعودية الأولى أول هؤلاء رجل أسباني اسمه «دومينغو باديا أي لبلخ» انتحل اسماً ونسباً عربياً وجاء من داشق عن طريق الجزائر إلى الحجاز وهو علي بك العباسي الأمير المكرم والعالم المحترم والحاج الورع رسول بونابرت فنزل في جدة تحف به الخدم والحشم وسار إلى مكة محرماً وقد حاز شرفاً لم يحزه سواه من المستشرقين إذ تقرب إلى الشريف غالب وقام بكناسة الكعبة ولكنه ظهر في النهاية على حقيقته فحين قصد المدينة صده عنها الحكام[١] فعاد إلى ينبع واستقر في الجزيرة المقابلة لها ومات ودفن بها. هذه هي الحقيقة.

---

(١) حكام آل سعود في العهد الأول.

وانتقل الشيخ محمد حسن عبده رحمه الله في منتصف الستينيات الهجرية إلى مدينة جدة واستقر بها وفتح بها كتاباً لتعليم القراءة والكتابة والتجويد كما كان إماماً لأحد مساجدها وقد خلف من الأولاد عيد ومسعود ولازالا يقيمان بجدة، ومن هنا تفرعت الأسرة وصار إلى جوار ربه في السبعينيات الهجرية.

* * *

محسن عبدالله زارع

آل زارع من الأسر العريقة في مدينة ينبع وكان من رجال التعليم بها، الأستاذ/ محسن عبدالله زارع تلقى تعليمه في مدارس ينبع وأصبح فيما بعد واحداً من المدرسين الأوائل في المدرسة الوحيدة في ينبع يومذاك، وكانت تسمى المدرسة الأميرية، وكان آخر وظيفة له في هذه المدرسة وكيلاً لمديرها لعدة سنوات، ويحق لنا أن نسميه أستاذ الأجيال لخدمته التعليمية الطويلة في أول السبعينيات الهجرية. انتقل من مدينة ينبع إلى مدينة جدة وعمل مفتشاً أول في إدارة الجمارك. وقد اخترمه الموت في عام ١٤٠٨هـ.

في مدينة جدة كان رحمه الله رجلاً تقياً صالحاً محبوباً بين الناس يسعى لعمل الخير، حريصاً على صلة الرحم محباً لأقاربه عطوفاً على المحتاجين، عرفته فعرفت فيه السجايا الحميدة. وتشير الوثائق التي بين أيدينا في الوقت الحاضر أنه إلى جانب عمله في التدريس عمل وكيلاً لجريدة «البلاد» السعودية في مكة، وقد أنجب العديد من الأولاد منهم عصام من موظفي وزارة الداخلية سابقاً، وخالد رجل أعمال، وحاتم من كبار موظفي الخطوط السعودية، وفؤاد رجل أعمال، وزياد طيار بالقوات المسلحة، وعبدالله كابتن طيار للطيران السعودي.

لقد رحل محسن زارع وترك الأثر الطيب والذكرى العطرة بين تلاميذه ومعارفه ومحبيه.

***

حمدان أبو صابر

أسرة (أبو صابر) من الأسر العريقة في مدينة ينبع وتشير الوثائق التجارية التي بين أيدينا في الوقت الحاضر أنه كان لآل (أبو صابر) تجارة واسعة تنحصر بين مدينة ينبع ومدينة الوجه على ساحل البحر الأحمر مع موانئ جمهورية مصر العربية «القصير والسويس»، ومن رجال هذه الأسرة ومن أعيان ينبع في هذا العصر الشيخ حمدان أبو صابر الذي كان مقوماً «لتجار نجد» الذين يقصدون ينبع في كل عام إذ يسوقون تجارة السمن والإقط والجبن البلدي فيها ويستبدلون بقيمة تجارتهم الأقمشة والأرزاق، فكان هو المسؤول عن تصريف شؤونهم، وكان لهؤلاء التجار مناخ معين في قلب مدينة ينبع، يقيمون فيه لعدة أيام، وكثيراً ما كان يستضيفهم حمدان أبو صابر في منزله، كان هؤلاء التجار يصلون تباعاً من قلب نجد إلى مدينة ينبع في قوافل كبيرة، وكان تجار ينبع يشترون هذا السمن ويصدرونه إلى جدة وجمهورية مصر والسودان، وكانت لتجارة هذا السمن سوق خاص في قلب سوق ينبع القديم ويسمى «رقعة السمن». وندرك أن تجارة نجد مع مدينة ينبع والمدينة المنورة في السمن والإقط تجارة قديمة، وربما كانت من العهد العثماني، إذ يشير شاعرنا الينبعي حسن عبدالرحيم القفطي الأنصاري إلى هذه السوق فيقول:

في رقعة السمن لي قصد ولي غرض — وعند سوق الفواتي منتهى إربي

وربما يكون سوق الفواتي الذي يباع فيه الرطب الوارد من ينبع النخل، وكان من آل (أبو صابر) في مدينة ينبع في الستينيات الهجرية

حسن أبو صابر مدير مرفأ ينبع والذي كان يسمى في ذلك الزمان بأمير البحر وكان من الرجال الطيبين رحمه الله، ومحمد أحمد أبو صابر مأمور التخرجية[١]، وحمزه حمدان أبو صابر وكانت آخر وظيفة له مدير إدارة البرق والبريد والهاتف بينبع، وسنوسي حمدان أبو صابر كانت له تجارة في مدينة الوجه وهو والد العقيد متقاعد لطفي أبو صابر مدير شرطة الوجه سابقاً وعبدالعزيز أبو صابر مدير إدارة البرق والبريد والهاتف سابقاً في تبوك. واخترم الموت الشيخ حمدان أبو صابر في نهاية الستينيات الهجرية في مدينة جدة إذ رحل من ينبع بحثاً عن العلاج.

كان من خيرة الرجال الطيبين المعروفين.

***

(١) التخرجية: هو خروج البضائع من بوابة ينبع وتدفع عليها ضريبة الكوشان. والكوشان ورقة مرور.

عواد بن صالح بن عيد الدبياني

يعتبر الشيخ عواد واحداً من أعيان ينبع وهو شيخ قبيلة بني كلب من جهينة في الوقت الحاضر. ومنازل دبيان منطقة بواط وبواط من المناطق التاريخية وكانت لها غزوة إذ قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريد قريشاً حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع إلى المدينة فيما ذكر ابن هشام وفيما ذكر ابن سعد، وقال خرج في مائتين من أصحابه يعترض عير قريش فيها أمية ابن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير ثم غزا قريشاً حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الثانية وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة.

وتعتبر دار الشيخ عواد في قرية الفرعة بينبع النخل من البيوت مشرعة الأبواب يقري الضيف، ويكرم الوافد إلى هذه القرية ولعلنا ندرك في الشيخ عواد السماحة والطيبة والهدوء، ومن أنجاله صالح وعواد وهاني وأحمد.

ومن دبيان فخذ المحاتيت ومنهم الشيخ عيد بن مسعود المحتوت صديق الأهل أطال الله في عمره ولعيد المحتوت خبرة بالأماكن في منطقة ينبع ومن أنجاله عواد ومن دبيان الدكتور عيد بن مسعود الهلولي المقيم حالياً بمدينة الرياض.

***

بخيت بن عرفان بن عواد

بخيت بن عرفان هو شيخ قبيلة بني كلب من جهينة ومنازل بني كلب عباثر ويقول شاعرنا الينبعي كثير عزه:

ومر فأروى ينبعاً فجنوبه وقد جيد منه جيدة فعباثر

ومن منازل بني كلب الوضح بين بواط الغور وبواط الجلس، وكانت دار الشيخ بخيت مشرعة الأبواب في قرية خيف حسين بينبع النخل يقري الضيف ويساعد المحتاج ومن أبناء عشيرته وغيرهم، وإن كان الشيخ بخيث يتصف بالكرم فهو يتصف بالرزانة والأخلاق الرفيعة، صاحب تقوى وصلاح، ويحل المشاكل بين الناس. وقد خلفه في المشيخة رحمه الله ابنه سعود واستمر على نهج والده في مسيرته. ومن أبناء عمومة الشيخ بخيت دخيل الله جليدان وعبدالله جليدان وأولاد تحريمس ومنهم سليمان وأحمد ومحمد وهناك فخذ من بني كلب رحل من ينبع قبل مائة عام واستقر في منطقة حدة وكان من بني كلب المقيمين في مدينة ينبع البحر الشيخ مسعود بن يوسف الأمير رحمه الله.

وأبناء عمومته محمود عبيسي وعليثه وعواد أبو نوره الأمير والشاعر الشعبي المعروف محمد الأمير.

***

محمد أحمد الصعيدي

إذا كان لنا أن نترجم في هذا المؤلف لشخصيات رحلت عن هذه الحياة من أهالي مدينة ينبع بحرها ونخلها الذين كانوا يقطنون في قلب مدينة ينبع داخل أسوارها وفي قرى ينبع النخل وأسرة الصعيدي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من أبرز رجالها في هذا العصر التاجر المعروف محمد أحمد الصعيدي، ولد وتعلم في مدينة ينبع وأخذ في البيع والشراء حتى أصبح واحداً من التجار المعروفين، إذ كانت له تجارة واسعة مع الداخل والخارج جمهورية مصر والسودان، كان من أكبر تجار الفحم الشجري الذي كان يصدر من ينبع إلى ميناء السويس بجمهورية مصر العربية، إذ كان من وكلائه في تصريف تجارة الفحم في السويس كمال إسماعيل والذي هو صديق لأكثر تجار ينبع يصفون هذا الرجل بالإنسانية والمروءة والشهامة.

كان كافة أصحاب السفن الذين يحملون الفحم في سفنهم من ينبع إلى السويس يذكرون هذا الرجل بكل الخير، وكان من وكلائه الأشراف آل مرعي وآل الغفير، وكانت تقع محلات هؤلاء التجار في شارع المحكمة بمدينة السويس بالقرب من محطة السكة الحديدية، كان لآل الصعيدي سفن بحرية تمخر موانئ البحر الأحمر تنقل البضائع المختلفة كما كانت لهم دور في قلب مدينة ينبع الأثرية وبساتين في ينبع النخل، وكانت لهم سيارات أجرة تحمل الركاب، كان محمد أحمد الصعيدي واحداً من أعيان ينبع في زمانه وقد اختير أكثر من مرة لعضوية المجلس البلدي في ينبع، كانت داره مفتوحة لأصدقائه من الوافدين من جدة

والمدينة وينبع النخل . كان رجلاً سمحاً في تعامله مع التجار الآخرين، كريماً محباً للناس، لا يتوانى عن مساعدة المحتاجين، على جانب من الاستقامة، لا تراه إلا هاشاً باشاً يستقبل الناس من معارفه وغير معارفه بالروح الطيبة، رحل في منتصف السبعينيات الهجرية بعد أن ترك الأثر الطيب، وقد ترك العديد من الأولاد النافعين ومنهم رجل الأعمال في الوقت الحاضر إبراهيم، ورجل الأعمال كذلك الأستاذ عبدالله الذي كان في منتصف الثمانينيات رئيساً لبلدية ينبع، وكان من آل الصعيدي الأستاذ حمدي الصعيدي الذي كان من موظفي شرطة ينبع، تظل أسرة الصعيدي من الأسر العريقة في مدينة ينبع ورحم الله عميدها محمد أحمد الصعيدي .

***

محسن خُريشي

أسرة الخريشي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان عميد هذه الأسرة محسن خريشي رئيس طائفة عمال ميناء ينبع، كما كانت له سفن تعمل في تفريغ البضائع من البواخر في مرسى ينبع القديم قبل أن تكون فيه أرصفة ترسو عليها البواخر كان رجلاً فاضلاً رحمه الله ومن أنجاله علي محسن الذي كانت له تجارة بحرية واختير أكثر من مرة عضواً في المجلس البلدي، ومن أنجاله حسين محسن الذي كان كابتن أول فريق رياضي يؤسس في مدينة ينبع وهو فريق رضوي، ومن آل الخريشي عواد خريشي وكان صاحب متجر في سوق ينبع القديم وكان على جانب من التقوى والصلاح، ومن آل الخريشي زميل دراستنا في المدرسة الأميرية بدر منسى خريشي ويعمل حالياً في إدارة البرق والبريد في المدينة المنورة.

كانت لآل الخريشي بساتين في قرية عين عجلان بينبع النخل، وكانت منازل آل الخريشي تقع في قلب مدينة ينبع القديمة، وربما يجهل الكثير من أبناء هذا الجيل ماذا كانت تسمى هذه المنطقة والساحة التي أمامها ومن خلال اطلاعنا على وثائق مدينة ينبع الشرعية تبين لنا أن هذه المنطقة كانت تسمى بـ «حارة عبدالقادر الجيلاني» وعبدالقادر الجيلاني الحسني نسباً العالم الصالح المعروف أما الساحة فقد كانت تسمى بـ «عرصة الشيخ العباسي».

والشيخ العباسي هو الذي دفن في الجزيرة التي كانت بالقرب من ميناء ينبع القديم وسميت باسمه «جزيرة العباسي» وقد شيد له قائم مقام ينبع صادق أغا ضريحاً على قبره وكان ذلك في عام ١٢٨٥هـ غفر الله لأهل

زمن مضى، وتشييد الأضرحة غير جائز شرعاً كما قال سيد البشرية ﷺ: «**خير القبور الدوارس**» ولقد وقفت على حقيقة تاريخية أن الشيخ العباسي المدفون في الجزيرة هو رجل مستشرق اسمه «علي بك العباسي» رسول بونابرت إلى الحجاز جاء وتقرب إلى أمير مكة الشريف غالب ولكنه ظهر في النهاية على حقيقته فحين قصد المدينة صده عنها الحاكم في العهد السعودي الأول في عام ١٢٢٦هـ فعاد إلى ينبع واستقر بالجزيرة ومعه أدوات رصد فلكية ومات ودفن هناك وفي عام ١٣٨٥هـ أزيل الضريح وأدخلت الجزيرة في ميناء ينبع.

***

محمود عبدالله درويش

أسرة آل درويش من الأسر العريقة في مدينة ينبع، وكان من أبرز رجال هذه الأسرة في هذا العصر محمود درويش إذ كان هو المسؤول عن ميزان الحكومة المسمى بالقباني إذ كان للقباني أهمية في الرسوم الحكومية على الصادر والوارد إلى البلاد من البضائع التجارية التي تسوّق في مدينة ينبع ومنها ما يصدر للمدينة المنورة ومدن الشمال على السفن الشراعية، كان محمود عبدالله درويش من الرجال الطيبين محبوباً بين كافة تجار ينبع الذين كانوا يتعاملون معه، كما كان على جانب من الصلاح والاستقامة، وقد خلف العديد من الأولاد النافعين منهم حمزة رحمه الله كان من موظفي البلدية، وعبدالله من موظفي الجمارك، ومحمد المكنى بجمعة من موظفي ميناء ينبع، ومن أحفاده اليوم المهندس ناجي درويش مدير إدارة التحلية بينبع سابقاً، انتقل محمود عبدالله درويش إلى جوار ربه فترك الذكر الحسن والسمعة الطيبة.

***

خليل علام

أسرة آل العلام من الأسر العريقة في مدينة ينبع ويعودون بنسبهم إلى قبيلة غفار، وأسرة العلام وأسرة خلاّف في مدينة ينبع يجمعهم جد واحد وهو «مطاوع» وبنو ضمرة من غفار رهط عزة كانت منازلهم ساحل ينبع ومن منازلهم العديبه وذات السليم وودّان ونصع بساحل ينبع، ورحل بنو ضمرة من ينبع إلى صعيد مصر في عام ٦٧هـ حينما أصاب ساحل تهامة جدب كبير ونجد اليوم بقايا من قبيلة بني ضمرة في مدينة سفاجه في جمهورية مصر العربية ويسمون «بني ضامر» وكان من رجال هذه الأسرة في العصر الهاشمي حسين علام وفي العهد السعودي خليل علام الذي عمل مديراً لجمرك مدينة أملج، وكان ابنه أمين يعمل موظفاً في مالية ينبع، وخلف العديد من الأولاد النافعين وكان أكبرهم الأستاذ أحمد الذي عمل مديراً لجمرك جازان وجمرك طريف، وكان على جانب من الثقافة محباً للاطلاع يجيد اللغة الإنجليزية إذ درسها على يد رائد الثقافة في مدينة ينبع الشيخ ياسين أفندي الجداوي، هذا الرجل الذي يطلق عليه الناس ياسين الجداوي المصري السعودي، السعودي المصري، وكان أحمد علام رجلاً شهماً ذا مروءة محباً لكل الناس اخترمه الموت عام ١٤٠٤هـ في مدينة جدة بعد أن ترك الأثر الطيب بين معارفه ومحبيه، ومن أشقائه علي علام كان من موظفي بلدية ينبع رحمه الله وياسين من موظفي القوات الجوية بالرياض وطه من موظفي البرق والبريد بينبع وكان من أبرز رجال هذه الأسرة في هذا العصر محمد عباس علام الذي عمل مديراً لمالية مدينة أملج، ثم مفتشاً بوزارة المالية وعقب تقاعده استقر بالمنطقة الشرقية.

ومن آل العلام حسين عبدالجواد علام كان من كبار موظفي القوات الجوية وشقيقه المهندس زكي علام في أمانة بلدية جدة .

وتظل أسرة العلام من الأسر العريقة في مدينة ينبع .

***

عبدالرحيم بن محمد المحلاوي

أسرة آل المحلاوي من الأسر العريقة في مدينة ينبع، ومن خلال الوثائق الشرعية التي تؤرخ لهذه الأسرة من عام ١٣٢١هـ أنه كان لهذه الأسرة دور في الحياة في مدينة ينبع، إذ نجد لهم العديد من الأملاك في قلب مدينة ينبع، كما كان لهم دور في البيع والشراء في العطارة، وكان عبدالرحيم بن محمد المحلاوي شيخ العطارين في أسواق مدينة ينبع إذ كان يستورد العطارة من خارج البلاد من الهند ومصر ويصدرها لتجار العطارة في المدينة المنورة، وكان من تجار العطارة في هذا العصر في أسواق مدينة ينبع محمد ياسين محلاوي وحامد محلاوي، وكانت دور آل المحلاوي تقع في الحي المسمى بحي الرابغي في مدينة ينبع القديمة، وفي نهاية الحرب العالمية وحينما ضعفت أحوال ينبع التجارية رحل العديد من أفراد هذه الأسرة إلى المدينة المنورة وجدة وأملج واستقروا فيها، ونجد في إحدى الوثائق الشرعية أن عبدالرحيم بن محمد المحلاوي شيخ العطارين في مدينة ينبع يشتري دكاناً في سوق مدينة ينبع القديم في عام ١٣٣٨هـ من حمزة بن إبراهيم آل عواد قاضي ينبع وكان من شهود هذه الوثيقة بعض من أهالي ينبع القدامى ومنهم محمد صالح حادي وعبدالكريم طوري، وتظل أسرة المحلاوي من الأسر العريقة في مدينة ينبع.

***

جابر بن نويجع المورعي

المراوعة من الأسر العريقة في ينبع النخل وهم الأحامدة وهم من سكان القريتين المتجاورتين عين علي الحربية وعين علي الجهينية ومن أشهر رجال المراوعة في هذا العصر ومن أعيان ينبع النخل الشيخ جابر بن نويجع المورعي عرفته يوم كان عضواً في هيئة الزراعة بينبع النخل في منتصف الستينيات الهجرية وقبل أن يفتح مكتب للزراعة في ينبع النخل وقد قال لي رحمه الله إن والده كان حريصاً على تعليمه فجاء به من ينبع النخل إلى ينبع البحر وأدخله أول مدرسة فتحت في ينبع في العهد العثماني، وإن حرص والد جابر على تعليم ابنه فقد حرص هو كذلك شخصياً على ما حرص عليه والده فقد جاء في الستينيات الهجرية بابنيه حمد وحمدان وأدخلهما المدرسة الأميرية بينبع وكانا من زملاء الدراسة وكنا نرى فيهما مثال التلاميذ المؤدبين النجباء وكان والدهما من الرجال الطيبين ينتقل دائماً بين ينبع النخل وينبع البحر إذ كانت له صداقة كبيرة وعلاقة متينة مع آل خلاف في ينبع البحر وكثيراً ما كان يشارك في المناسبات التي تقام في ينبع البحر، أبصرته آخر مرة قبل وفاته في عام ١٣٧٣هـ إذ حضر مع أعيان ينبع النخل لاستقبال الملك سعود لزيارته مدينة ينبع.

كان رحمه الله على جانب من الهدوء والاستقامة فليرحمه الله.

***

محمد حسن كُرَّيم

آل كُرّيم من الأسر العريقة في مدينة ينبع وهي من البراهمة وكما يقول صاحب معجم القبائل العربية رضا كحالة: البراهيمه فخذ من جهينه ويجتمع آل كُرّيم وآل معلا في جدّ واحد في مدينة ينبع.

ومن رجال آل كريّم في هذا العصر الشيخ محمد حسن كريّم رحمه الله كان صاحب تجارة بحرية إذ كانت له في ميناء ينبع سفن تجوب موانئ البحر الأحمر محملة بالبضائع كما كانت له عدة دور في مدينة ينبع، ومن أنجاله أحمد كُرّيم إذ كان له متجر في سوق ينبع القديم وهو والد زميلنا الأستاذ الإعلامي مدير عام وكالة الأنباء السعودية سابقاً في الوقت الحاضر «بدر كُرّيم»، وجد بدر كُرّيم لأمه التاجر المعروف من أعيان مدينة ينبع في زمانه الشيخ حامد بن محمود عبدالرؤوف بن مصطفى بن سليمان بن عبدالعزيز الخطيب الهاشمي والأستاذ بدر تلقى التعليم الأولي في المدرسة الأميرية بينبع ورحل مع والده في الستينيات الهجرية من ينبع إلى جدة واستقروا فيها بحكم التجارة والتحق الأستاذ بدر في عام ١٣٧٦هـ بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر يوم ذاك إذ عمل في إدارة المطبوعات ثم التحق مذيعاً بالإذاعة ومن هنا بدأ يجاهد ويكافح في التحصيل العلمي حتى حصل على آخر مؤهل «الماجستير».

وللأستاذ بدر العديد من المؤلفات النافعة وبعضها يدرس في كليات الإعلام، ومن أنجال بدر كُرّيم الإذاعي المعروف «ياسر»، ومن أنجال محمد حسن كُرّيم حامد كُرّيم والد صالح كُرّيم من زملاء الدراسة ومن موظفي البرق والبريد ومن آل معلا الأستاذ حامد مُعلى من موظفي

لاسلكي المدينة سابقاً ومن أشقائه حامد وعبدالله من موظفي البرق والبريد في المدينة وكان الشيخ محمد حسن كُرّيم يشهد له بالتقوى والصلاح ومن خيرة الرجال الطيبين.

* * *

علي حسين زارع

آل زارع من السر العريقة في مدينة ينبع هو شقيق إبراهيم زارع الذي أصبح في عهد الملك فيصل مديراً عاماً للبرق والبريد وشقيق أحمد سنده زارع مدير مكتب أمارة ينبع عمل في مالية ينبع ثم أصبح معتمداً لتجارة آل الخريجي في ينبع ثم عُين في أول السبعينات هجرية أميناً عاماً لجمارك الحدود الشمالية .

علي زارع حينما عمل ممثلاً لتجارة آل الخريجي بينبع كان له دور كبير في الستينات هجرية في توزيع التموين على المواطنين أبان الحرب العالمية الثانية إذ كان آل الخريجي هم الذين يمثلون وزارة المالية في توزيع التموين بمساعدة مالية ينبع وعمد المحلات .

علي حسين زارع كان عيناً من عيون ينبع يحترمه الكبير والصغير ، كان يتمتع بأخلاق رفيعة كان ساعياً للخير دائماً ، وقد ميزه الله بعقل راجح إذ كان يستشيره الناس في بعض الأمور ، كان موفقاً ، وطنياً مخلصاً .

عرفت هذا الرجل فعرفت فيه سجايا حميدة وخلف العديد من الأولاد النافعين ومنهم الأستاذ ناجي كان موظفاً

بمحكمة ينبع ، والأستاذ سامي كان من رجال الأعمال فـــي المنطقة الشرقية ، والأستاذ محمد كان مديراً عاماً للخطوط السعودية بالعاصمة الرياض رحم الله علي حســين زارع إذ كان من خيرة رجال ينبع فليرحمه الله .

الشريف
عبدالله بن حمد العياشي

الشريف عبد الله بن حمد العياشي ، ولد الشريف عبد الله بينبع النخل ــ قرية حسين عام (١٣٥٨هـ) ونشأ في كنف أسرته المعروفة ، وهم أمراء وأشراف بينبع ودخل إلى الوظائف الحكومية وتقلد عدة مناصب كان أخرها منصب مدير فرع وزارة التجارة بينبع حتى أحيل إلى التقاعد عام (١٤١٨هـ) .

ويتصف الشريف عبد الله بالهدوء والرزانة والحكمة ويتمتع بأخلاق فاضلة وله محبة كبيرة بين أهالي مدينته ينبع وهو حالياً رئيس أشراف ينبع وقرية عين حسين بينبع النخل وله من الأولاد أربعة هم : الشريف حمد والشريف فهد والشريف محمد والشريف بدر .

والأشراف العياشية تربطهم قرابة نسب مع ملوك المغرب العربي أصدقاء حكامنا السعوديين الغر الميامين ومن الأشراف العياشة ذوي الجبارات ومنهم : آل الصفار المقيمين بوادي الدواسر وبيشة وذوي عبد الكريم وذوي سند وذوي محمد وذوي ظيف الله وذوي الكناعين ومن

أشهر رجال العياشة في العهد الســعودي الأول الشــريف جابر بن جبارة العياشي الذي ذكره التاريخ أنــه كــان لــه مواقف مشرقة مع الدولة السعودية الأولى في الحرب التــي شنها عليهم محمد علي باشا ، والذي كافــأهم الملــك عبــد العزيز (رحمة الله عليه) وإعطائهم أرض كبيرة تقديراً لمــا بذله العياشة في الدفاع عن هذا الوطن المعطاء حيث توفي من أفراد قبيلة العيايشة الأشراف أكثر مــن (٧٠) رجــلاً نحتسبهم شهداء عند الله تعالى (نسأل الله أن يتقبلهم عنــده بواسع رحمته) ومن أشهر رجال العيايشة في هذا العصــر الشريف أحمد بن جابر بن حمد العياشي (رحمة الله عليه) وهو من خيرة الرجال وهو عم للشريف عبد الله بن حمــد العياشي موضوع بحثنا .

ويعتبر الشيخ عبد الله بن حمد العياشي ومــن خيــرة الرجال الذين عرفناهم في بلادنا ينبع حيث يتمتع بــأخلاق رفيعة وسمعة طيبة (أسال الله أن يطيل في عمره ويكتــب له التوفيق) .

آل القاضي

آل القاضي من الأسر العريقة في مدينة ينبع ، ومن هذه الأسرة الطبيبة الشعبية النطاسة التي طالت شهرتها في كافة أنحاء المملكة ، فكان يتوافدون عليها المرضى في مدينة ينبع فيلتمسون العلاج عندها وبقدرة الله يكتب لهم الله الشفاء إنها الطبيبة سعود والدة عبد الرحمن أبو السماسم ، وكان كثيراً ما يبعثون إليها الأعيان والوجهاء في مدينة جدة ومكة والمدينة بسياراتهم الخاصة تحملها إليهم إذ يلتمسون عندها العلاج .

ومن هذه الأسرة عطا قاضي كان من أشهر صناع السفن في الستينيات الهجرية في مدينتنا ينبع وهو جد الكاتب والصحفي والإعلامي عاطف محمد قاضي من أشهر أدباء ينبع .

وله نشاط واسع في الكتابة ومراسلات الصحف ومن أهم مؤلفاته كتاب : " قمة رضوى " .

آل باجنيد

هذه الأسرة من الأسر العريقة في مدينة ينبع ، وكانوا من سكان حي القاد ، وكانت لهم تجارة في ينبع من أمـــلاك منازل ودكاكين ومستودعات وبرك ماء وكان من أشهر هذه الأسرة الرجل الفقيه محمد صالح باحنيد الذي ولد وعـــاش في مدينة ينبع ثم انتقل إلى مكة ليعمل إماماً لإحدى المساجد وكما قال لي الشيخ محمد حامد القباني ، كاتب عدل محكمة ينبع سابقاً وإمام مسجد الزاوية الشاذلية بحي الرابغي القديم أنه عرض على الشيخ محمد صالح باجنيد أن يتولى القضاء فاعتذر .

ولازالت أسرة باجنيد من الأسر المعروفة فـــي ينبـــع ومنهم الأستـــاذ عمر باجنيد من موظفي الغرفة التجاريـــة بينبع . كما انتقل بعض من أفراد هذه الأسرة في الســـتينات هجرية إلى مدينة جدة وامتهنوا التجارة بها .

حامد حلول

كان الشيخ حامد حلول واحداً من أعيان ينبع ومن تجارها إذ كانت له تجارة مع بعض تجار المدينة كان رجلاً يتصف بالسماحة وحبه للناس وحب الناس له. كان موفقاً لعمل الخير يسعى للصلح بين الناس، كان جواداً سخياً إذ كانت داره مفتوحة في حي المنجارة في مدينة ينبع لكل وافد من المدينة وجدة. كان شاعراً نبطياً ويحفظ الكثير من الشعر القديم وفي السبعينيات الهجرية وحينما ركدت الحياة في ينبع بأسباب الحرب العالمية انتقل إلى مدينة جدّة وعمل موظفاً في المحجر الصحي، وفي جدة لم تتبدل صفاته إذ كان يستقبل الوافدين من أهالي ينبع ويقوم بإكرامهم في داره الواقعة في حي الرويس.

في أول الثمانينيات الهجرية اخترمه الموت بعد أن ترك الأثر الطيب بين أهالي ينبع فإذا ما ذكر بعد رحيله ذكروه بالخير وبشهامته ومروءته وكرمه الحاتمي وكان أكبر أولاده محمد الذي ورث صفات والده كان كريماً جواداً محباً للناس، وكان شاعراً نبطياً ويحفظ الكثير من شعر الكسرات، ولم تطل به الحياة إذ رحل في ريعان الشباب إلى جوار ربه في عام ١٤٠٠هـ رحم الله الشيخ حامد حلول الذي وإن رحل سيظل ذكره باقياً في الشهامة والمروءة والكرم الينبعي المعهود.

***

محمد بن عبيد بن شهوان

قدم في بداية العهد السعودي عبيد بن شهوان موظفاً في إمارة ينبع في بداية إمارة الشيخ حمد بن عبدالعزيز العيسى عام ١٣٥٤هـ، وظل مقيماً بينبع حتى اخترمه الموت فيها، وجاء من بعده محمد موظفاً في الإمارة، وتدرجت به الحياة حتى أصبح أميراً لطارفة قرية السويق التي تعتبر هي القاعدة لقرى ينبع النخل، ويظل محمد بن شهوان واحداً من أهالي مدينة ينبع لطول الإقامة فيها إذ وفد والده إلى ينبع قبل ثلاث وستين عاماً فأصبحت أسرة ابن شهوان من أسر ينبع، وقد أصبح لمحمد بن عبيد العديد من الأصدقاء والمحبين في ينبع نخلها وبحرها، وقد أدى الرسالة والخدمة الوطنية كاملة حتى أحيل على التقاعد في عام ١٤١٠هـ ويظل ابن شهوان واحداً من الرجال الطيبين، إذ كان محبوباً بين الناس وعلى جانب من الأخلاق الفاضلة وحسن الاستقامة، وقد خلف العديد من الأولاد النافعين، وكان أكبرهم الأستاذ عبدالرحمن من كبار موظفي المديرية العامة للمطبوعات، وعبيد من موظفي إدارة الثقافة والتعليم بالحرس الوطني، وعبدالمحسن بالهيئة الملكية للجبيل وينبع، وخالد بوزارة الدفاع والطيران، وفهد بوزارة المعارف.

***

المراجع

١- وثائق إمارة ينبع عام ١٣٤٤هـ.
٢- وثائق السادة آل زارع.
٣- وثائق السيد مصطفى سبيه الشرعية.
٤- وثائق قائم مقام ينبع مصطفى الخطيب.
٥- وثائق آل الخطيب التجارية.
٦- وثائق حسن بابطين التجارية.
٧- وثائق مصطفى خلاف التجارية.
٨- وثائق أمير ينبع مقبل العصيمي.
٩- رحلة الحجاز للأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني.
١٠- بلاد ينبع، حمد الجاسر.
١١- تاريخ ينبع، للمؤلف.
١٢- شعراء ينبع وبنو ضمرة، للمؤلف.
١٣- مذكرات بشير السعداوي - جريدة الحياة ١١٦٩٧ بتاريخ ٢٩ رمضان ١٤١٥هـ.
١٤- درر الفرائد المنظمة في تاريخ الحج ومكة المكرمة.
١٥- المجلة العربية رمضان ١٤١١هـ.
١٦- كنز الأنساب، الطبعة الحادية عشر، الشيخ حمد الحقيل.
١٧- جريدة الندوة، عدد ١٠٢٠٠، تاريخ ١٥/ ١/ ١٤١٣هـ.
١٨- جريدة أُم القرى، عدد ٣٣٨، ١٨ محرم ١٣٥٥هـ.
١٩- جريدة أُم القرى، عدد ٢٩٥، في ٧ ربيع الأول ١٣٤٩هـ.
٢٠- كتاب شعراء ينبع وجهينه للمؤلف.

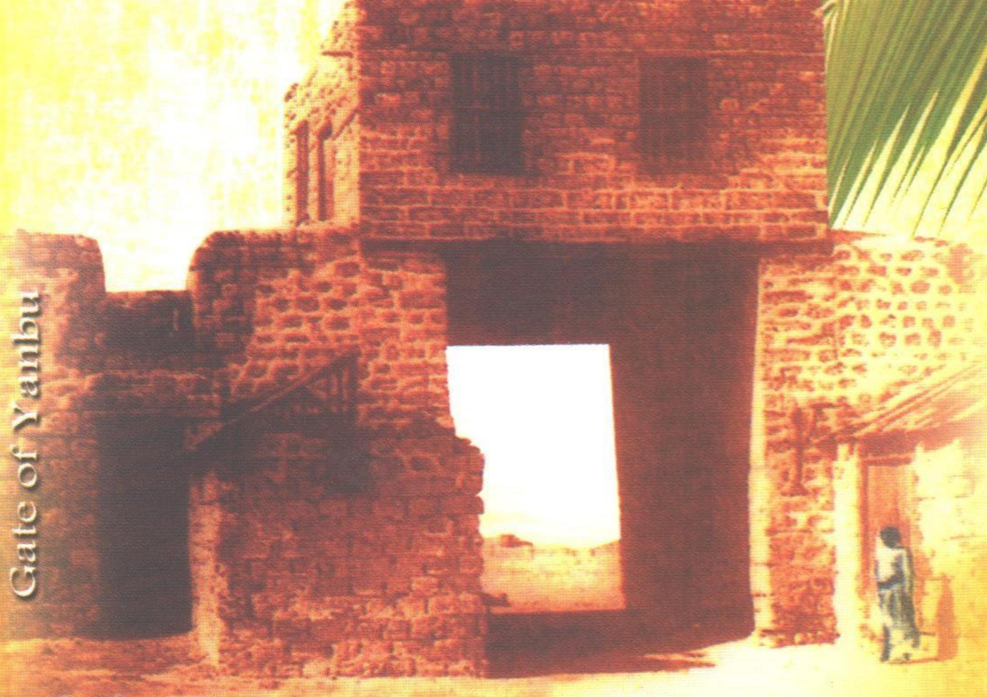
٢١- كتاب شاعر من ينبع للمؤلف .
٢٢- ديوان الشاعر حسن عبدالرحيم القفطي .
٢٣- وثائق آل المويلحي الوكيل .
٢٤- وثيقة نسب آل الخطيب عام ٧٧٥هـ .
٢٥- مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت باشا .
٢٦- فوات الوفيات .
٢٧- الدرر الكامنة .
٢٨- وثيقة نسب الأشراف أبو ماء بينبع .
٢٩- وثيقة نسب آل العلام وآل خلاف .
٣٠- وثائق وزارة الخارجية البريطانية عام ١٢٥٤هـ .
٣١- مذكرات لورانس ، أعمدة الحكمة السبعة .
٣٢- رحلة المغرب للأستاذ أحمد شرف الدين .
٣٣- رسائل في تاريخ المدينة ، تحقيق : حمد الجاسر .
٣٤- البلاد السعودية للأستاذ فؤاد حمزة .
٣٥- منزل الوحي للدكتور محمد حسين هيكل .
٣٦- أيام وأيام للأستاذ خلف أحمد عاشور سبيه .
٣٧- مجلة المنهل ـ العدد الرابع ـ السنة الثانية والأربعون .
٣٨- وثائق آل هندي بينبع .
٣٩- بلاد ينبع ، حمد الجاسر .
٤٠- وثائق مرفأ ينبع .

* * *


الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة
ملك الشريف النسابة
أنس يعقوب
الكتبي الحسني
المدينة المنورة - دار المجتبى

Men & Families From Yanbu

In Different Ages



Abdalkareem Mahmud AL-Khateeb



